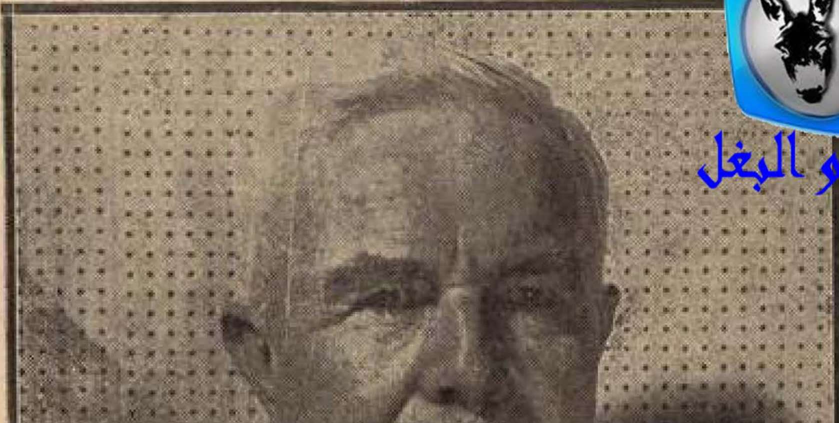
حنا خباز
مترجم جمهورية افلاطون

الدكتور جورج حداد
استاذ التاريخ في الجامعة السورية

فارس الخوري



حياته وعصره

فارس الخوري

حياته وعصره

Khabbaz, Hanna, jt. auth

حنا خباز
مترجم جمهورية افلاطون

الدكتور جورج حداد
استاذ التاريخ في الجامعة السورية

Faris al-Khuri

فارس الخوري

حياته وعصره

مطابع صادر ريحاني – بيروت ١٩٥٢

مقدمة

حفل التاريخ السوري بالعبقريات وانجبت سورية اعلاماً في العلم والادب والسياسة والفن طبقت شهرتهم الآفاق ووصلت اطراف العالم في مختلف عصور التاريخ . واليوم نضع بين ايدي القراء ترجمة فارس الخوري التي تعتبر حلقة مهمة في سلسلة العباقرة السوريين ، وركنا متيناً من اركان البلاد العربية ، وشخصية لها شأنها الكبير في الاوساط العالمية

وما وضعنا هذه الترجمة المقتضبة الا اجابة لرغبة الكثيرين من ابناء سورية والبلاد العربية المقيمين والمغتربين ، وهي بالاضافة الى وقائع حياة فارس الخوري الطريفة ، تاريخ للبلاد السورية في الخمسين سنة الاخيرة ، وسجل حافل لتاريخ جهاد البلاد العربية وبيان لكثير من الحقائق التي تهم كل سوري وعربي في الحقل الوطني والدولي ، ومجموعة من الدروس والعبر تدعو الاجيال المعاصرة والمقبلة الى الاطلاع عليها .

وقد تفضل صاحب الترجمة فاتحفنا بأخبار نشأته وجهاده في العهد العثماني ، واضاف احد المؤلفين ذكرياته الخاصة عن رفيقه الذي عرفه منذ عام ١٨٨٩ في مدرسة صيدا الاميركية ، ورجع المؤلفان في القسم الاعظم من الترجمة الى مجموعات الصحف والجريدة الرسمية ومناقشات المجالس النيابية وضبط اعمال المجالس الدولية وخطب صاحب الترجمة الكثيرة . فنحن نشكر صاحب الترجمة على المعلومات التي تفضل بها كما نشكر ادارات الصحف الدمشقية وخاصة جريدة الف باء التي تفضلت وسمحت لنا بمراجعة مجموعاتها ، كذلك وزارة الخارجية السورية التي سمحت لنا ايضاً بمطالعة بعض مطبوعات مجلس الامن في مكتبتها .

وانّنا نعتذر من صاحب الترجمة الذي حمله تواضعه على الاصرار بان لا نكتب عنه او على الاقل بان نرجئ نشر ما نريد كتابته الى ما بعد انتهاء سجل حياته الحافل، فلم نتمكن من اجابة رغبته. ونحن اذ نعترف باننا لم نحط علماً بجميع اعمال صاحب الترجمة ولم نعرض جميع نواحي نشاطه، نؤمل ان نكون قد قمنا ببعض واجبنا نحو الشعب السوري ونحو سائر البلاد العربية بوضع هذا الكتاب، فان اهم ما نرمي اليه هو وضع قدوة حسنة ومثالاً صالحاً للراغبين في بلوغ المعالي والفوز بافضل خدمة نحو رفع شأن الامة العربية والله من وراء القصد.

دمشق في ٢٩ ايار ١٩٥٢

جورج حداد   حنا خباز

تصدير
بقلم حنا خباز

وكان شهر تشرين الاول عام ١٨٨٩ وقت العصر. وقد رن جرس مدرسة صيدا الاميركية، واصطف الطلاب الداخليون، وهم نحو اربعين طالباً مختلفي الازياء والاعمار، من مدني وقروي بين الثالثة عشرة والخامسة والعشرين. اراهم الان بعين الخيال كما رأيتهم يوم ذاك بالباصرة. ولاول مرة تقع العين على فتى اروع في وسط الصف مستدير الوجه، كبير الرأس، عالي الجبهة، اشهب العينين، قصير القامة، متين البنية، كله نضارة ورونق وبهاء، لا يماثله احد في الطلاب ولا يماثل هو احداً منهم. ان شيئاً في محياه الوسيم وعينيه اللامعتين قد استهواني. هذا هو فارس الخوري.

كان لتلك النظرة الاولى في قلبي أثر لم تقدر اثنتان وستون سنة ان تمحوه. كان يوم ذاك في اواخر العام السادس عشر من عمره. والآن ما اجمل ما اراه — شيخاً قد كلل الشيب هامته، وطبقت شهرته الخافقين، وما اغرب الخط الطويل الموصل بين ذلك الفتى الاروع وهذا الشيخ الجليل! وما اخطر الادوار التي اجتازها من الفتوة الى الشيخوخة، وما اشد الصعاب التي اعترضت سبيله الى المعالي، وما اشرف تغلبه على تلك الصعاب، وما اثمن الدروس التي لنا في سيرته والحقائق الاخلاقية والنفسية والاجتماعية التي تتجلى في تلك السيرة!

ولا شك في ان الكثيرين ممن رأوه، وسمعوه، وقرأوا عنه، يودون ان يطالعوا ويقفوا على نشأته وتدرجه، ويلذ لهم ان يشاركوني في تتبع مراحل حياته، والاطلاع على الحوادث الوطنية والعالمية في مطاوي تلك العقود. واراني وانا في رحاب الثمانين، كما كنت في بحر العشرين، اعنى بالشخصية التي عرفتها فاحببتها واحترمتها.

رفيقي فارس يعقوب — هذا كان اسمه في مدرسة صيدا الاميركية عام ١٨٨٩ —

باهي المحيا، ولكن ليس كل جماله في محياه، فما لا تراه العين اعظم جداً مما تراه، وويل لمن ليست ثروته الا ما تراه العيون. كان علماً بين الرفاق، اصغرهم سناً، واصفاهم ذهناً، واوفرهم جهداً، واجملهم نفساً، وارهفهم حساً، واعلاهم كعباً، واطولهم باعاً، واثبتهم وداً، واوفاهم وعداً. فماذا سيكون من امر هذا الفتى؟ ذلك ما جال في خاطري يوم عرفته واعظمت مواهبه. ويسر الصديق ان تزاح الاستار وتعلن الاسرار.

!

فارس من صفي وليس في صفي. لقد درس في عام مضى دروس الصف الخامس، والان وقد دخلت المدرسة فانه يدرس معي دروس الصف الرابع. وفي نهاية العام الدراسي (١٨٩٠) ينهي دروسه وابقى بعده في الصف الخامس والاخير. هكذا كان ترتيب مدرسة الفنون في صيدا وهو ان يدرس الطلاب الصفين الرابع والخامس معاً، فكنا نلتقي في بعض الدروس ونفترق في بعضها. لقد تعددت نقاط اتصالنا، في قاعة المذاكرة، في غرفة الطعام، في ندوات الخطابة، في ساحة اللعب، في المتنزه، في المعبد، ما شعرت قط اني اكبر منه سناً فكنت اتهيبه واعامله كانه هو الاكبر سناً. ما كان يتقدمني في تحصيل العلم الا فارس ولكنني لم احسده بل اعترفت له بالاولية ولما عدت من المدرسة الى موطني في حمص لقيني الصحب والرفاق وقالوا عرفنا انك الاول في المدرسة، قلت كلا لم اكن الاول، انما الاول هو فارس يعقوب.

كنا احياناً نتلو ما حفظنا من ارجوزة الشيخ ناصيف اليازجي في النحو (نار القرى) فنتلو مئات الابيات طرداً وعكساً. ثم يرن الجرس فنذهب الى النزهة، الى البحر، او الى نهر الاولي او الى اماكن اخرى في ظاهر مدينة صيدا ويغلب في كل مرة ان نكون معاً. والحديث دائماً هو عبارة عن مذاكرات ومناقشات وابحاث علمية وتلاوة اشعار. وفي صباح الاحد كنا نذهب الى القرى المجاورة اثنين اثنين لخدمة الاذهان، وكان رفيقي فارس في هذه الرحلات. فتدور المناقشات بيننا ومن مواضيعها داروين، وسبنسر، والتطور، والتولد الذاتي، واصل الحياة، واصل الكون، وامواج النور، والظواهر الجوية، الله والكون الخ هذه احاديثنا وهذا شأننا.

هذا الفتى — وكنت اظنه في الرابعة عشرة — لا ادري اي علم او اي فن لا

يعرف . هو قاموس عام لكل مطلب وفن . كنت في التاسعة عشرة يومذاك . وقد قرأت عشرات من الكتب وكنت اظن انني اعلم اترابي ، وهذا فارس وهو اصغر مني سناً يبزني ويبز من هم اعلى مني علماً واطلاعاً . قضيت السنة في صحبة فارس ولا اذكر انـه اغضبني مرة واحدة ، بل لا اذكر له نقيصة معي ولا مع غيري . وفي ختام السنة (١٨٩٠) فارقته وقلبي مملوء بصور حبه واحترامه .

والان وقد مر على رفقتنا اكثر من ستين عـاماً نعود فنلتقي وقد اصبح فارس علماً من اعلام الشرق وحجة على الغرب ، واراني سعيداً ان اكتب شيئاً مـن ترجمة اخي ورفيقي .

الفصل الأول

نشأته وقدومه الى دمشق

١٨٧٣ - ١٨٩٩

نشأته الاولى في كفير حاصبيا : روى فارس عن نفسه قال ان اسم والده يعقوب بن جبور بن يعقوب بن ابراهيم الخوري . وقد اخبره جده جبور عن اسلافه قال : جاء جدنا الاكبر الخوري جرجس ابو رزق الى كفير حاصبيا مع اخيه عبد الله من قضاء الزبداني ومعهما عائلات ابي جمره وخلف والحاج وغيرها وكانوا جميعهم نساجين يحيكون القطن والحرير والصوف ويبيعون منسوجاتهم في البلاد المجاورة حتى حدود نابلس وعكا . وتقع قرية الكفير على بعد عشرة كيلومترات شمالي حاصبيا في وادي التيم . وكان قضاء حاصبيا حينذاك تابعاً لولاية سورية التي مركزها دمشق ، وهي احدى الولايات الثلاث التي انقسمت اليها سورية الطبيعية في زمن الحكم العثماني[١] .

ولد جده جبور عام ١٨٠٠ وعاش القرن التاسع عشر كله وتوفي عام ١٩٠١ فيكون قد ادرك ثلاثة قرون . وكان مولعاً بالمطالعة . فمالت نفسه الى نزعة في الدين تخالف ما كان عليه اهل بيئته . فخرج على تقاليد الكنيسة الارثوذكسية وتمرد على الاكليروس . ثم بلغه ان في بيروت جماعة من الافرنج يدعون الى مذهب جديد . فانحدر الى بيروت والتقى بالعلامة عالي سمث (Eli Smith) والدكتور يونس كين واطلع على آرائهما وعقائدهما فاذا هي نفس عقائده . فسرا بذلك واهدياه نسخة من الكتاب المقدس طبع فاليتا في مالطة باللغة العربية مع بعض الكتب الجدلية . وحمل هذه الكتب وعاد الى الكفير وقد ازداد رسوخاً في عقيدته . ثم اعلن انفصاله

---

(١) وتصل طريق السيارات اليوم الى الكفير ، والمنطقة اليوم تابعة لمحافظة البقاع في دولة لبنان .

عن الكنيسة الارثوذكسية واعتناقه المذهب الانجيلي (البروتستانتي) وكان ذلك في عام ١٨٣٠ .

وقد رأى فارس في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت نشرات قديمة فيها ان جده كان الانجيلي الاول في سورية ولبنان . وذكرت تلك النشرات ما عانى من المقاومة والاضطهاد بسبب ذلك . وكان صديقاً للعلامة ميخائيل مشاقة الذي كان حينذاك كاتباً للامير بشير الشهابي . وقد زار جده اسعد الشدياق في سجنه في دير قنوبين وهو شقيق العلامة احمد فارس الشدياق . ويذكر فارس في مكتبة جده ترجمة اسعد الشدياق وكتب ميخائيل مشاقة الجدلية وهي من اقدم ما طبع في المطبعة الاميركية في بيروت . واشترك جده في محاربة ابراهيم باشا المصري ١٨٣٣—١٨٤٠ وكان بين الذين طاردوا الجيش المصري منسحباً من سورية الى برية سينا .

ولد يعقوب والد فارس الخوري في عام ١٨٤٥ وكان قوي البنية ، مفتول العضل راجح العقل . ولم يكن له هم الا العمل وتربية اولاده . تزوج عام ١٨٧٠ من حامدة بنت عقيل الفاخوري وقتل والدها في حوادث عام ١٨٦٠ ، وعاشت بعد وفاة زوجها اربع عشرة سنة وقد ادركت يعقوب الوفاة عام ١٨٩٤ وترك خمسة بنين وثلاث بنات ، اكبرهم جميعاً فارس .

كانت ولادة صاحب الترجمة في شهر تشرين الثاني عام ١٨٧٣ . وكان المرسلون الاميركيون قد انشأوا مدرسة ابتدائية في الكفير فكان احد تلاميذها ، وارسلوا اليها معلما اسمه يوسف داغر وهو رجل مهذار ثرثار ، عريض الدعوى ، ضيق العقل ، مفتول العضل . يباهي بقوته العضلية ومهارته في الصراع . فلا يزور المدرسة احد الا ويتحداه للمباطحة فيثب عليه ويأخذ بتلابيبه ويلقيه على الارض في وسط المدرسة ، فكان الطلبة الصغار يكبرون بطولته ولا يجسر احد منهم ان يتنفس مهابة واحتساباً . فكان حضرته على الدوام مشمراً عن ساعديه استعداداً للصراع . وقد بطح على مرأى من التلاميذ اكثر رجال القرية التي كانت تفاخر بهم .

على هذا المعلم حصل فارس القراءة والكتابة وبعض الحساب . وكان يقدمه لكل زائر مفاخرا ببراعته في التدريس . وكان شيوخ القرية من دروز ومسيحيين يزورونه ليشاهدوا المدرسة . فيدعو المعلم تلميذهُ فارس . فيقف امامهم وهو دون

العاشرة فيقول له : هذا الرجل عمره ستون عاما فكم ساعة عاش ؟ ، فيضرب فارس ٦٠×٣٦٥×٢٤ ويقول الجواب ٥٢٥،٦٠٠ ساعة فيدهش الزائر . وينتفخ معلمه افتخاراً ويقول لزائره : « انظر ، هذا الولد قد عرف عمرك كم ساعة ويقدر ان يعرف عمرك كم دقيقة ، فاذا كان هذا حال اصغر تلاميذي فيمكنك ان تعرف حال كبار التلاميذ ». يسمع الزائر ذلك فيزداد دهشة مع ان الطلبة لم يتعلموا منه شيئا . ولو لا ان الله اسبغ على فارس كثيرا من النشاط لما تعلم منه شيئا .

ومن انواع العقوبات التي كان يفرضها هذا المعلم على الكسالى انه كان يوقف التلميذ الكسول في باب المدرسة وعلى رأسه حذاء (سرماية) فيظل التلميذ واقفاً « والسرماية » على رأسه حتى الظهر وهو مطرق خجلاً من المارة . وكان لفارس سرماية جديدة حمراء . فكان الاولاد يتسابقون اليها لتوضع على رأس الواحد منهم ، ولما كان اكثر التلاميذ حفاة الاقدام فان الاحذية القليلة الموجودة كانت دوما على رؤوس الكسالى !

وكان للمعلم مزية اخرى يفاخر بها وهي الوعظ يوم الاحد . فكان يتبوأ المنبر ويطيل في شرح ترهاته وليس امامه سوى بضعة رجال ونساء ما عدا التلاميذ . ويندفع في الكلام اندفاعه في الصراع والسامعون لا يجدون من الصبر بدأ خوفا من المصارعة وكان جد فارس كثيرا ما يقاومه بقسوة قائلا : « يكفي يا معلم ، دع الباقي للاحد القادم ! » وحدث مرة ان اجاب المعلم : « ولماذا لا اكمل ؟ ، الم يطل القديس بولس الكلام الى منتصف الليل ؟ » فاجابهُ جد فارس : « ولكن كلام القديس بولس فيه طعم واما كلامك فبلا طعم » . ذلك كان يجري في وقت العبادة والصلاة !

زار المدرسة مرة رجل من قرية ابل السقي وكان الرجل ضخم الجثة ، طويل القامة . فنظر اليه المعلم وقال له : « لو ان عقلك توزع في كل هذا الجسم ، وهب انه كعقل ارسطو ، لما اصاب هذا الرأس منه الا بقدر عقل الخنفساء » ، فاعجب الناس بهذه العبارة وصاروا يتناقلونها . وشاع في القرية ان ضخامة الجسم دليل صغر العقل حتى صار ضخام الجسم يخجلون .

هذا هو الرجل الذي حرّض والد فارس على ارساله الى المدرسة الداخلية في صيدا

التي كان يرأسها الدكتور فورد والمستر ادي الاميركيان . فلما زار هذان الرجلان مدرسة الكفير وعرفا فارساً اثناء الامتحان طلبا الى والده ان يرسله الى مدرسة صيدا فابى قائلا : « انني رجل مزارع ، وانتظر ان يساعدني فارس في اعمالي لانه اكبر اولادي» اما والدة فارس فكانت شديدة الرغبة في تعليمه، فخالفت والده وساعدها القس أسليم الحكيم في اقناعه حتى سمح له بالالتحاق بمدرسة صيدا .

دراسته في مدرسة صيدا : كانت البلاد السورية في زمن الحكم العثماني في حالة تأخر وجهل وقد اهملت السلطة شؤون التعليم والعمران . فلم تكن هنالك تلك المدارس الرسمية التي تعد الآن بالمئات والتي تغذيها بالمدرسين دور المعلمين ومعاهد التعليم العالي ، فكان الى جانب المدارس الرسمية القليلة مدارس للارساليات الاجنبية في جبل لبنان وفي مدن الساحل خاصة ومن تلك المدارس مدرسة صيدا . وكانت وسائل النقل صعبة حتى ان صاحب الترجمة ذهب الى مدرسة صيدا صحبة المكاري . وكان ذلك في عام ١٨٨٧ . أقام فارس في هـــذه المدرسة ثلاث سنوات وكان مثالا للنشاط والسلوك الحسن . واستاذه في الحساب كان الدكتور نجيب الصليبي من سوق الغرب واشتهر بمقدرته في الرياضيات . وكان حريصاً ان يعجز تلميذه فارساً في مسائل الحساب فلم يجد الى ذلك سبيلا . فكان يأتيه كل يوم بمسائل ومعضلات من الكتب الانكليزية فيأتيه فارس بحلها .

وعاد الاستاذ الصليبي الى الجامعة الاميركية في عام ١٨٨٩ كمدرس ثم ابدأ بدراسة الطب . وهاجر اخيراً الى اميركا حيث انهى دروس الطب والتحق بالجيش الاميركي في الفيلبين واحرز شهرة ونجاحاً عظيمين .

لم يكن اعجاب استاذ الرياضيات بفارس اكثر من اعجاب استاذ اللغة العربية . فقد حفظ فارس غيباً الفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل ، وكذلك ارجوزة نار القرى للشيخ ناصيف اليازجي وفي يوم الامتحان ذكر الاستاذ ذلك للجنة الفاحصة فصار الواحد منهم يتناول الكتاب ويبدأ ببيت من الارجوزة فيجري فارس من ذلك البيت حتى آخر الفصل واذا شاء الفاحص فالى نهاية الكتاب ويعود فارس القهقرى بتلاوة الابيات من النهاية حتى البدء بناء على طلب اعضاء اللجنة .

التدريس وانهاء الدراسة في الجامعة الاميركية : انهى فارس مدرسة صيدا صيف عام ١٨٩٠ فعينه المرسلون الاميركيون معلماً في مدرستهم الابتدائية في زحلة . وفي هذه البلدة تعرف على رجل يدعى ابا راشد الميماسي فاقنعه هذا بالذهاب معه الى الولايات المتحدة ووعد بان يدفع عنه اجرة سفره فاستقال فارس من المدرسة وكتب الى اهله مودعاً فاسرعت والدته الى زحلة واصرت عليه ان يذهب معها الى الكفير لوداع والده وافراد اسرته . فأطاعها وعاد معها الى الكفير . وهناك اجتمع حوله الاهل والاقارب واقنعوه بان يعدل عن السفر . تلك كانت اول نقطة تحول في حياة فارس . ولا ندري ماذا كان يصبح من امره لو انه هاجر الى العالم الجديد .

كان الناس في ذلك العهد يتهيبون السفر الى اميركا ولا يجرؤ على ذلك الا المغامرون . والذي رغب الميماسي في رفقة فارس هو معرفته الزهيدة في اللغة الانكليزية مع ان تلك المعرفة لم تتجاوز بعض المفردات والعبارات القليلة . ذلك لان مدرسة صيدا لم تكن تدرس في ذلك الحين الانكليزية الا في الصفين الاول والثاني واما فارس فقد دخل رأساً الى الصف الثالث . فلم يكن له حظ في درس الانكليزية ، غير ان الميماسي كان يراه ابن بجدتها ويعلق على صحبته آمالا جساماً . وكان الاثنان يحلمان بالثروة الطائلة ويقضيان الليالي في احاديث اميركا والمستقبل المجيد .

وافق والد فارس والمرسلون على ان يدخل صاحب الترجمة الجامعة الاميركية في بيروت وكان اسمها في ذلك الحين « الكلية الانجيلية السورية » . وكان الهواء الاصفر (الكوليرا) قد تفشى في دمشق وجوارها فضربت ولاية بيروت الحجر الصحي على ولاية سورية . ولم يتمكن فارس من السفر الى بيروت الا خلسة كي لا يمر بالحجر الصحي . فقام من الكفير الى جديدة مرجعيون عن غير الطريق العادية . وسار ليلا ورفيقه سعيد ابو جوده مشيا على الاقدام وكان امامهما مكار يحمل ثيابهما على ظهره ويدلهما على الطريق . فلم يصبح الصباح الا وكانا ضمن حدود ولاية بيروت وقد اجتازا النطاق الصحي . وفي اليوم التالي ركبا بغلا بالتناوب الى صيدا ومنها الى بيروت .

في الجامعة قابل فارس المستر « ووكر » رئيس الدائرة الاستعدادية وقدم له كتاب التوصية الذي اعطاه اياه رئيس مدرسة صيدا . وبعد الفحص اعطاه بطاقة دخول الى

السنة الاولى في القسم الاستعدادي . وفيما هو خارج من مكتبه رآه استاذه نجيب الصليبي فسر به وبدخوله الجامعة ، وما أن رأى البطاقة حتى عاد بصحبته الى المستر « ووكر » وقال له : « هذا التلميذ نشيط ومقتدر ويجب ان يكون في آخر صفوف الاستعدادية وانا اضمنه » ، فقبل الرئيس ذلك . وفاز فارس في التحصيل وحصل في نهاية السنة على شهادة القسم الاستعدادي . والقى في حفلة توزيع الشهادات قصيدة تجاوزت المائة بيت وموضوعها « حال الانام بعد مائة عام » . وقد سر بها السامعون وصفقوا كثيرا . وكان من جملة من حضر الشيخ ابراهيم اليازجي فدعاه بعد الحفلة الى غرفة الاستاذ جبر ضومط استاذ اللغة العربية في الجامعة حينذاك واثنى عليه ثناء جميلا وشجعه وفي اليوم التالي ارسل اليه كتاب « نهاية المتحفظ وكفاية المتلفظ » وعليه العبارة التالية : « جائزة التلميذ النجيب فارس يعقوب الخوري جزاء تفوقه في الشعر والخطابة » وهكذا ظهر ميل فارس الى الادب العربي ونظم الشعر منذ ذلك الوقت وكانت المناسبات التي اظهر فيها ذلك الميل كثيرة في حياته السياسية .

لم يشأ المرسلون الاميركيون ان يعود فارس الى الجامعة في خريف عام ١٨٩٢ لانهاء تحصيله في القسم العلمي او قسم الاداب والعلوم ، فعينوه في قرية مجدل شمس ونقلوه عام ١٨٩٣ الى صيدا حيث كان يدرس المرسلين الجدد اللغة العربية . وفي خريف عام ١٨٩٤ ارسلوه الى البترون ليعلم في مدرستهم هناك فمر بطريقه بمدينة بيروت وعرج على الجامعة فاستوقفه المستر وست استاذ الرياضيات وكتب الى المرسلين في صيدا يقنعهم بان يأذنوا له بالبقاء في الجامعة فاجابوه الى ذلك . غير انه لم يدخل السنة الاولى (الفرشمن) بل جاز امتحاناً عن هذا الصف ودخل السنة الثانية (الصوفومور) .

في بحر هذه السنة توفي والده فغادر الجامعة الى الكفير وعمره حينذاك واحد وعشرون عاماً . فدبر شؤون البيت واهتم باخوته الايتام وهو اكبرهم سناً ثم عاد الى الدراسة وانهى السنة وفاز في الامتحان في صيف ١٨٩٥ .

لم يعد فارس الى الجامعة في الخريف بل مارس التعليم سنة اخرى في معلقة زحلة براتب شهري قدره ٣٢٥ غرشاً عثمانياً (اي ثلاث ليرات افرنسية ذهباً) ، وتمكن من وفاء ديون عائلته في الكفير وتأهب لاتمام تحصيله . ودخل الجامعة في خريف ١٨٩٦

وأدى امتحاناً عن السنة الثالثة في الدوائر العلمية (جونيور) ودخل الصف الاخير . وحاز على شهادة بكالوريوس في العلوم في نهاية السنة ، وهكذا فقد اتم دروس الدائرتين الاستعدادية والعلمية في مدة ثلاث سنوات بدلا من تسع . وهذه علاماته في السنتين الثانية والرابعة في الدائرة العلمية كما وردتنا من دائرة التسجيل في جامعة بيروت الاميركية :

١ - في السنة الثانية (الصوفومور) عام ١٨٩٤ — ١٨٩٥
الرياضيات ٩٣، الحكمة الطبيعية او الفيزيا. ٩٥، اللغة العربية ٩٢، التاريخ ٨٢، اللغة الانكليزية ٦٨ ، اللغة الافرنسية ٥٩

٢) في السنة الاخيرة (سينيور) ١٨٩٦-١٨٩٧
الرياضيات والفلك ٩٣ ، الاخلاق ٩٠ ، الطبيعيات ٨٦ ، الاقتصاد السياسي ٩١ ، النبات ٨٤ ، ما وراء الطبيعة ٧٥ ، التاريخ ٧٥ ، اللغة العربية ٩١ ، اللغة الانكليزية ٨٠ ، الافرنسية ٦٠

وهكذا يتضح ان شهادة بكالوريوس في العلوم في ذلك الحين كانت شهادة ثقافية عامة ليس فيها اختصاص في احد فروع العلوم او الآداب كما هي الحال اليوم ، وكان مستوى دروس اللغة الاجنبية عموما ضعيفا وخاصة اللغة الافرنسية .

عندما انهى فارس تحصيله في الجامعة دعاه رئيسها الدكتور دانيال بليس Daniel Bliss للتدريس في القسم الاستعدادي فقبل الدعوة ودرّس في هذا القسم سنتين فكان يعلم اللغة العربية والرياضيات . واستقال من الجامعة في ١٨٩٩ اجابة لدعوة الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف لكي يساعده في تحرير المجلة براتب قدره خمسة عشر جنيها مصريا . وقصد دمشق لتصفية قضية حقوقية لاسرته في المحكمة قبل ان يغادر الى مصر . ولكن الطاعون الذي تفشى في مصر والحجر الصحي الذي كان نتيجته حال دون سفره فبقي في دمشق وكان بقاؤه نقطة تحول اخرى في حياته .

الفصل الثاني

إقامته في دمشق ودخوله مجلس المبعوثان

١٨٩٩ — ١٩١٤

الوظائف الاولى في دمشق : بقي فارس في دمشق وقرر الاقامة فيها خصوصاً وقد دعاه البطريرك ملاتيوس دوماني لادارة المدارس الارثوذكسية. فوضع برنامجاً لهذه المدارس وكان يعلم فيها اللغتين العربية والانكليزية والرياضيات كما انه كان يعطي بعض الدروس في المدرسة الرسمية المعروفة باسم « مكتب عنبر ». ودعاه المستر رتشارد قنصل انكلترا في دمشق ليقوم بعمل ترجمان في القنصلية فقبل الدعوة واستقال من ادارة المدارس الارثوذكسية في ١٩٠٢ بعد ان اظهر فيها نشاطاً لا يزال يذكره تلاميذها القدماء .

بقي فارس في قنصلية انكلترا حتى اعلان الدستور في ١٩٠٨ ، وتمكن بعمله في القنصلية من الحصول على نوع من الحماية ضد استبداد الحكم العثماني ، خاصة والعهد يسوده السلطان عبد الحميد كذلك ساعدته وظيفته في خدمة اشخاص كثيرين من جملتهم الشيخ عبد الحميد الزهراوي الذي كانت السلطة العثمانية على وشك طرحه في البوسفور تخلصاً منه وذلك قبل اعلان الدستور .

اتخذ فارس عملاً آخر بالاضافة الى عمله في القنصلية وهو وكالة شركة جرشام للتأمين على الحياة . وكان نجاحه في هذا العمل عظيماً وزادت وارداته حتى بلغت ١٥٠٠ ليرة ذهباً في السنة الثانية من ابتداء عمله . وعلى هذا الشكل ضمن تعليم اخوته واعدادهم للحياة . وفي عام ١٩٠٩ تزوج من الآنسة اسماء ، ابنة جبرائيل عيد من مدينة حيفا وفي ٥ حزيران ١٩١٠ ولد ابنه الوحيد سهيل .

كان فارس في دمشق شخصية ترمقها العيون منذ سنوات اقامته الاول وكانت الالسن تلهج بالثناء عليه . وقد اجمع الناس على حبه واحترامه وهو لم يبلغ الثلاثين من العمر . ويشهد حنا خباز الذي قصد دمشق بين ١٩٠٢و١٩٠٤ واقام في فندق الخراب قرب مأذنة الشحم حيث كان يقيم فارس، ووقف على حاله وعلاقاته بالناس وعلى اهدافه – بان كل ما عرفه من هذا القبيل بشأن صديقه كان مشرفا . ويضيف الى ذلك بان مسكنه كان كعبة القصاد ونجعة الرواد وبان سيل القاصدين من جميع طبقات المجتمع ما كان ينقطع وبينهم الموظفون والعلماء ، والمدرسون والوجهاء والملاكون ورجال الاعمال . وكان كل واحد يسعى الى احراز صداقته وكثيرون يحتاجون الى مساعدته وكان فارس يحادث كلا منهم بما يتناسب وعمله ، ويحدث كل واحد في فنه واختصاصه .

دراسة الفرنسية والتركية والحقوق : لم يترك فارس الدرس والتحصيل بعد حصوله على شهادته من الجامعة الاميركية واثناء قيامه بوظيفته في قنصلية انكلترا . ذلك انه نظر الى الشهادة كمرحلة من مراحل الدراسة بدلا من ان تكون آخر المراحل ونهاية المساعي العلمية كما هي الحال عند الكثيرين من اصحاب الشهادات . وبينما كان منهمكا في وظائفه وعلاقاته الاجتماعية واتصالاته بالناس كان يشتغل ايضا في الدراسة والمطالعة . فقد درس اللغة الفرنسية التي كان حصل على بعض مبادئها في الجامعة الاميركية وبدأ بتحصيل اللغة التركية، كما انه اخذ يطالع الحقوق لنفسه . كانت الفرنسية لغة شائعة في الاوساط الدمشقية التي كان يتردد اليها وخاصة في اوساط باب توما المسيحية . وكان فارس محبوبا يحبه الجميع ويرغبون في حضرته لشمائله الحلوة ، ونفسه الكريمة، وعلمه وادبه ، وخفة روحه ، وطلاوة حديثه . وعندما كان يعرف انه سيزور بيتا ، كان ذلك البيت يملأه الزائرون والزائرات وتلتف حوله الاوانس والعقائل واكثر محادثاتهن بالفرنسية . ولا بد انه شعر بضرورة معرفة هذه اللغة ، فانقطع مدة من الزمن عن المجتمعات العائلية . وكثر التساؤل عنه وعن اسباب غيابه . وبعد بضعة اسابيع يعود ، ويفاجىء جلساءه مشاركا اياهم باستعمال اللغة الفرنسية . وتسأل السيدات والانسات «اين كنت يا فارس طيلة هذه المدة؟» فيجيبهن باسماً « كنت ادرس اللغة الفرنسية » . وتقول بعضهن : « وهل نجحت في ذلك ؟ »

فيجيب « دونكن الامتحان » ، ورحن يحدثنه فلم يعثر في جملة واحدة . وقد افادته هذه اللغة في دراساته وفي حياته السياسية وخاصة في زمن الانتداب .

اما اللغة التركية فقد بدأ بدراستها في هذه المدة ايضاً . والتركية كانت اللغة الرسمية في الدولة العثمانية وقد درسها كثيرون من الشباب السوريين خاصة في المدارس الرسمية . وفارس درس في مدارس اجنبية فلم تتح له فرصة تعلم التركية خصوصا وقد انهى دراسة تسع سنين في الجامعة الاميركية في ثلاث سنوات . كذلك لم تحط به حسان الاتراك ليحملنهُ على الرغبة في تحصيلها لاجل محادثتهن ، غير انه كان يلامس هذه اللغة اثناء عمله في قنصلية انكلترا ، بداعي علاقاته بالولاية وبالموظفين . ولذا ألف سمعه الفاظها . وزادت رغبته في دراستها عندما اصبح عضوا في جمعية الاتحاد والترقي في ١٩٠٨ بعد ان افتتحت لها فرعا في دمشق ، . واخذ يستعد لترشيح نفسه للنيابة في مجلس المبعوثان . وفيما بعد اتقن التركية اثناء اقامته في استانبول عندما يصبح مبعوثا ويخطب في مجلس المبعوثان بالتركية كما يخطب في باريس بالافرنسية في عهد الانتداب .

بدأ فارس بمطالعة كتب الحقوق بدون استاذ ولا مدرسة في اوقات الفراغ القليلة التي كانت تتركها له واجبات الوظيفة واعماله المختلفة وعلاقاته الاجتماعية ولم يحصل على شهادة رسمية في الحقوق ولم يكن خريج اي معهد حقوقي . وكل ما هنالك انه عندما كان نائبا في المبعوثان بعد ١٩١٤ تابع دروس الحقوق في معهد استانبول ليحصل على شهادته وكانت تستوجب دراسته ثلاث سنوات . واوشك ان يظفر بها غير ان السلطات التركية اعتقلته في صيف ١٩١٦ وبدات محاكمته مع سائر الاحرار العرب كما سيأتينا . هذا الحقوقي غير الماذون اصبح استاذا في معهد حقوق دمشق (وكان احد مؤسسيه) ونقيب المحامين في مدينة دمشق وعضوا في لجنة الحقوق الدولية التابعة لهيئة الامم المتحدة وعلما من اعلام القانون .

وكان فارس يتسلى بنظم الشعر اثناء قيامه بوظائفه ودراساته المختلفة ومن أهم ما نظم في هذه الفترة قصيدته الكبرى عن الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤–١٩٠٥) في اكثر من خمسمائة بيت فأتت على شكل ملحمة اضاف فيها الى شاعريته تلك الدقة في تتبع الحوادث ووصفها وتحليل عواقبها . وقد نشرت القصيدة في القاهرة في عام

١٩٠٦ على نفقة احد اصدقائه الدكتور حسين حيدر . كذلك نظم في عام ١٩١٣ قصيدة رثى فيها الطائرين التركيين فتحي وصادق اللذين ذهبا ضحية حادث طيارة ودفنا في دمشق بجوار قبر صلاح الدين .

دخوله جمعية الاتحاد والترقي : كان فارس من افراد الحلقة التي كانت تلتف حول الشيخ طاهر الجزائري وهو من احرار العرب المعروفين ومفتشي دور الكتب وزعيم حركة تأسيس المدارس ونشر العلم في مطلع القرن العشرين . وكان من افراد تلك الحلقة الشيخ سليم البخاري ورفيق العظم وشكري العسلي وعبدالحميد الزهراوي ومحمد كرد علي وعبد الرحمن شهبندر . وفي ١٩٠٨ تأسس فرع لجمعية الاتحاد والترقي بعد اعلان الدستور فاصبح فارس من اول اعضائه وكان من زملائه احمد الاش وعبد الرحمن اليوسف وجبران لويس . كذلك اشترك في تأسيس محفل ماسوني سمي محفل « نور دمشق » وقد ارتبط بالمحفل الاسكوتلاندي ولم يلبث ان اصبح فارس رئيساً له . ويروي فخري البارودي في مذكراته انه كان بين كبار الاتراك المنفيين في دمشق قبل اعلان الدستور المستر فؤاد باشا وعندما اعلن الدستور لم يطلق سراحه فذهب فارس الخوري واسعد بك اركان حرب الى مدعي عام الولاية وطلبا اليه اخلاء سبيل فؤاد باشا فاطلق سراحه بعد جدال واقيمت له حفلة تكريم في حديقة الدفتردار (امام بناء التجهيز الاول) وقد خطب فيها لاول مرة الدكتور عبد الرحمن شهبندر .

وهكذا فقد دخل فارس ميدان السياسة والحياة العامة واستقال من وظيفته في قنصلية انكلترا . وكانت الحماية الاجنبية في العهد العثماني تحفة نفيسة تشترى ولا تباع بثمن والسعيد من يحصل عليها ولا سيما حماية الدولة الانكليزية . ولكن هذه التحفة النفيسة طرحها فارس بدون ثمن وبدون ان يعبأ بها ، وذلك عن عقل وروية . ونصحه بعض اصدقائه قائلين : « اتترك الحماية الانكليزية وانت ادرى الناس بقيمتها ؟ » فاجاب : « الان نلنا الحرية وصار الدستور والدولة امامها تقدم ، وامام المجتهدين رفعة وعلو شان . فانا اريد ان اخدم دولتي » . وكان البعض لا يثقون بالدولة العثمانية فيقولون : « وماذا ترجو من خدمة هذه الدولة ؟ » فيجيب : « اتوقع

ان اكون حاكماً او متصرفاً او ما هو فوق ذلك !؟ كان فارس متفائلاً في امكان خدمة دولة بني عثمان ، وقد فرح واخوانه العرب الاحرار بالحرية واعلان الدستور بقدر ما فرح الاتراك وتأملوا ان يأتي عهد الحرية الجديد بالخير لبلادهم العربية ولكن نوايا الاتراك ظهرت بعد قليل .

فارس في مجلس المبعوثان : بعد ان اعلن الدستور في ٢٩ تموز ١٩٠٨ نظم الاتحاديون صفوفهم واستعدوا للانتخابات التي كانت على درجتين ففازوا بالاكثرية. وكان عدد النواب الاتراك كبيراً في المجلس بالنسبة لعدد نفوسهم في الدولة ذلك لانهم قسموا المناطق الانتخابية بحيث تكون الاكثرية منهم . فبينما كان عدد نفوس الاتراك نحو سبعة ملايين ونصف وعدد العرب عشرة ملايين ونصف في امبراطورية عدد سكانها نحو ٢٢ مليوناً ، كان عدد النواب الاتراك في المجلس ١٥٠ ، وعدد النواب العرب ٦٠ في مجلس مؤلف من ٢٤٥ نائباً . اما في مجلس الاعيان المؤلف من اربعين عضواً فان الاعضاء العرب كانوا ثلاثة فقط .

حاول السلطان عبد الحميد قلب الحكم الدستوري الجديد في ١٣ نيسان ١٩٠٩ ولكنه فشل وصدرت فتوى من شيخ الاسلام بعزله في ٢٩ نيسان وخلفه اخوه محمد رشاد باسم محمد الخامس . وحصل في دمشق اثناء محاولة السلطان عبد الحميد قلب الحكم الدستوري ان بعض الرجعيين وثبوا على الاحرار فاضطر الدكتور حسين حيدر صديق فارس ان يغادر دمشق وكذلك توارى الميرالاي اسعد بك الدرويش. فنظم فارس قصيدة في ذلك وارسلها الى صديقه حسين حيدر قال فيها :

وثبوا على الاحرار وثبة غاشم	داس العواطف وافترى وتصلفا
وتستروا بالدين للدنيا كما	رفعوا على شط الفرات المصحفا
احسين لا تجزع فاهل الشام قد	صرعوا سميك وهو سبط المصطفى
واشرّ ما في الشام ان حكيمها	يُقصى وجاهلها يطاع ويقتفى

وفي ١٩١٤ اتى موعد الانتخابات لمجلس المبعوثان من جديد وعزم فارس على ترشيح نفسه عن سنجق دمشق . وكان قد بلغ الاربعين من عمره . ولم يكن في

قانون الانتخاب ما يقضي بتوزيع النواب على الطوائف والمذاهب كما حصل فيما بعد في زمن الانتداب الافرنسي حيث حرم فارس من النيابة لان طائفته اصغر الطوائف ولان قرارات المفوضين السامين قضت بان لا يكون منها نائب . وكان فارس قد ترك جمعية الاتحاد والترقي في ١٩١٢ ولذلك لم يمكنه الاعتماد على تأييد طائفته القليلة العدد ، ولا على مناصرة الاتحاديين . والواقع ان الاتحاديين قاوموه وسعوا ضده وكان الوالي حينذاك عارف بك المارديني . على انه كان معروفاً ومحبوبا في جميع الاوساط وكان موفقاً في حياته العامة حتى انه فاز باكثرية كبيرة في الانتخابات التي كانت على درجتين ، ولم ينل من الاصوات اكثر منه سوى محمد فوزي باشا العظم . وكان من زملائه في المجلس عن سنجق دمشق عدا محمد فوزي باشا العظم ، بديع بك المؤيد والامير علي باشا الجزائري وعوني بك القضماني . وعندما ذهب الى استانبول وكان معظم النواب من الاتحاديين اتاه طلعت باشا عميد الحزب الاتحادي واقنعه بالعودة الى الحزب فعاد اليه .

كان فارس ينطق باسم العرب في المجلس في عهد ظهرت فيه سوء نية الاتراك نحو العرب واتضحت سياستهم في محاولة تتريك سائر العناصر وجعل العنصر التركي سائداً في الدولة العثمانية . وكانت اهم اماني العرب الحصول على الحكم اللامركزي في الولايات العربية واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في هذه الولايات وجعل الخدمة العسكرية في زمن السلم ضمن الولاية . ومن الامور التي كانوا يشكون منها اقصاء الكثيرين منهم عن الوظائف واستبدال الولاة والمتصرفين والقضاة العرب بالاتراك وعدم تعيين موظفين من العرب او من الذين يعرفون العربية في الولايات العربية . وكان الاتحاديون يعارضون المشاريع العلمية والادبية في البلاد العربية ويناهضون لغة العرب حتى ان سفير تركيا في واشنطن اراد بان لا تخاطب السفارة بغير التركية رغم ان السوريين هناك يجهلون التركية . وكان يظن ان الاتحاديين الذين عزلوا السلطان عبد الحميد لظلمه واستبداده سيسلكون سياسة حرة ولكنه اتضح انهم كانوا يلجأون الى مختلف الاساليب للتخلص من خصومهم ولاضطهاد الحريات والقضاء على المعارضة .

لذلك كانت ترتفع اصوات النواب العرب احتجاجا على هذه الاوضاع ونورد على

سبيل المثال ما قاله سليمان فيضي بك نائب البصرة في جلسة ١١ تموز ١٩١٤ اثناء مناقشته ميزانية وزارة العدلية : « اننا نعرف كثيرين من ابناء العرب يستحقون الترقية ولكنهم عزلوا فاذا كانت وزارة العدلية التي هي منبع العدل تعامل المأمورين بما يخالف القانون فالى من نشكو امرنا اذاً ؟ . . . لقد صدرت الارادة السنية في ٢٢ اغسطس سنة ١٣٢٩ موجبة المحاكمة باللغة العربية في البلاد العربية فسر الجميع بذلك وابتهجوا ولكننا نرى والاسف مل‌ء صدورنا ان المحاكمة لا تزال تجري في العراق مثلا باللغة التركية وليس بين اهل العراق واحد في المئة يفهم هذه اللغة » . وتكلم سليم سلام احد مبعوثي بيروت عن حالة المعارف في البلاد العربية في خطبة القاها في جلسة ١٤ تموز ١٩١٤ اثناء المناقشة في ميزانية المعارف وهذا بعض ما قاله :

« ان وزارة المعارف تعين لتدريس اللغة العربية الشريفة اناسا ليست معارفهم بها باكثر من معارف العوام . بل هي تعين مديرين تبرأ الادارة الى الله منهم . . . كل هذه الاسباب جعلت مدارسنا الرسمية في الانحطاط الذي تعرفونه . هذه مدرستنا السلطانية في بيروت تأسست منذ ٣٠ سنة ولا يبلغ عدد طلابها مائتي طالب في حين ان عدد الطلبة في الكلية الاميركية الف ومائة طالب وفي كلية اليسوعيين في بيروت ٧٠٠ طالب وفي مدرسة الفرير ٧٠٠ ايضا . . . لجمهورية فرنسا ايها النواب الكرام مدارس في سورية فيها ٤٣ الف تلميذ ولروسيا مدارس فيها ٣٥ الف تلميذ ما عدا المكاتب الايطالية والالمانية والاميركية وغيرها فاذا علمتم ان عدد تلاميذ المدارس الرسمية دون ذلك العدد الكبير بكثير ادركتم الخطر الذي يتهدد البلاد . . . ولم تكتف الوزارة بهذا الاهمال فقط بل تعمدت هضم حقوق العرب بأرسالها مئات من الترك على نفقة الامة الى اوروبا . فقد سعيت كثيرا لاعلم ابين هؤلاء الطلبة عربي واحد فما وجدت واحدا في المئة علاوة على ان عدد المدارس في كل البلاد العربية يقل عن نصف عدد المدارس التي انشأتها الحكومة في الولايات التركية سنة ١٩١٣ فقط بمال الامة العثمانية كلها . » وقد قامت ضجة في المجلس على اثر هذه الخطبة واشتد الجدال ورعب النواب الاتراك في اكراه الخطيب على النزول عن المنبر فعطلت الجلسة موقتا .

ويقوم فارس في جلسة ١٧ تموز ١٩١٤ فيلقي خطبة عن حالة البريد والبرق في البلاد العربية ويقول : « ان بعض المكاتيب يفتح في البلاد العربية ولا

يرسل الى اصحابه الا بعد الاطلاع عليه ، وفي الاكثر انـه لا يرسل ... ان صون أسرار الناس السياسية والخصوصية من اهم واجبات البريـد والبرق واقدمها . وكثيراً ما ترد البرقيات غير واضحة والسبب في ذلك ان المأمورين غير عارفين اللغة المحلية ... وقد تلقينا كلنا برقيات على هذا الشكل فاضطررنا الى مراجعة مرسليها والاستفهام منهم عن فحواها وفي ذلك من ضياع الوقت والخسارة ما فيه . فلماذا لا يكون موظفو البرق من الواقفين على اللغة المحلية ، اليس بين ابناء العرب من يصلح لهذه الوظائف ؟ »

كان فارس نائباً جريئاً يستجوب ويعارض ويناقش بحجة قوية وببيان واضح . وكان يخطب باللغة التركية التي درسها لنفسه ويتصدى لاقطاب الدولة وزعماء الاتحاديين مثل طلعت وانور وجاويد . ومن المواقف الشهيرة التي وقفهـا سؤاله عن النائبين الارمنيين زهراب وورتكس . والحكاية من اوضح مظاهر تدهور الدولة العثمانية كما انها من اوضح مظاهر جرأة فارس الخوري . خلاصتها انه لمـا نشبت الحرب الكبرى حصل توتر شديد بين الدولة العثمانية والارمن فاتهمتهم – كما اتهمت سائر العناصر غير التركية – بالتواطؤ مع الاجنبي ، وخاصـة مع روسيا ، للتخلص من حكمها . واعتقلت الدولة عدداً كبيراً من وجهاء الارمن وزعمائهم فرفع بطريرك الارمن في استانبول احتجاجاً على اعتقال وجهاء طائفته وطلب الافراج عنهم ، وكان في عداد الموقعين على عريضته النائبان الارمنيان زهراب وورتكس . وكان زهراب عالماً كبيراً واستاذاً في معهد حقوق استانبول وشخصية محترمة . واستاء الاتحاديون المسيطرون على الدولة من العريضة ومن النائبين الذين وقعاها ، وادرجوا اسميهما في اللائحة السوداء . وبعد مدة طلب النائبان لتأدية شهادة في ديار بكر فتوجها اليها . وكان يصحبها خفر عسكري مزود باوامر سرية بشأنهما ويظهر ان النائبين اغتيلا في الطريق .

وبعد انقطاع اخبار النائبين بمدة ، تلي مرسوم في المجلس بانتخاب نائب عن استانبول ، فما كان من فارس الا ان قدم طلباً لمعرفة اسم النائب الذي حل محله هذا النائب الجديد ، وماذا جرى للنائب القديم (اي زهراب نائب استانبول) . ووافق المجلس على هذا الطلب . وكان على طلعت باشا ان يعطي الجواب فتبـادل الوزراء النظرات صامتين وليس في نيتهم ذكر اسم النائب ، ووقف طلعت فالتمس امهاله في

الجواب الى الاسبوع التالي . وعندما انتهت الجلسة استدعى اقطاب الحكومة فارساً وسألوه « الا تعلم بان النائب الجديد اتى مكان زهراب ؟ » وطلبوا منـه بان لا يحرجهم وبان يسحب سؤاله لانه لا يمكنهم اعلان خبر قتل زهراب ! وبما ان فارساً لم يشأ سحب استجوابه فانه حل المشكلة بان يتغيب عن الجلسة . لانه بموجب النظام الداخلي اذا غاب صاحب السؤال يسقط سؤاله ما لم يتبناه عضو آخر . وبما انه لم ينهض احد من اعضاء المجلس لاستجواب الحكومة في هذا الموضوع فقد انتهت القضية على هذا الشكل .

وكان فارس ينشد الشعر في مناسبات مختلفة في عاصمة آل عثمان وكانت اشعاره تنطق بالاخلاص للعرب ومنها تلك القصيدة التي القاها في ١٨ حزيران ١٩١٤ في نحو مائة بيت اثناء تمثيل رواية صلاح الدين من قبل المنتدى الادبي في دار التمثيل فقد ذكر امجاد العرب وثقافتهم وزراعتهم وصناعتهم واشار الى وجوب التقدم واليقظة وعبر عن امله في بلوغ الاماني بفضل الجد والوفاق وظهور بعض المفكرين .

الفصل الثالث

فارس وجمال باشا والمحاكم العرفية

١٩١٦ - ١٩١٨

توسطه لدى جمال باشا بشأن سجناء عاليه : كان نشاط الاحرار العرب في داخل البلاد وخارجها عظيما بعد اعلان الدستور في عام ١٩٠٨ . وقد تأسست جمعيات مختلفة غرضها احياء الثقافة العربية والروح القومية من جهة والتعاون لتحقيق الحكم الذاتي في الولايات العربية من جهة اخرى . وكان من اهم هذه الجمعيات المنتدى الادبي في استانبول والجمعية المركزية في القاهرة ، والجمعية القحطانية التي قلبها عزيز المصري الى حزب العهد في ١٩١٤ وجعلها مقتصرة تقريبا على الضباط ، والعربية الفتاة في باريس التي اصبح مركزها بيروت ثم دمشق في ١٩١٤ . وكان بين اعضاء هذه الجمعيات جماعة من خيرة شباب العرب منهم عبدالكريم الخليل وسيف الدين الخطيب ، ورفيق سلوم ، وجميل مردم بك ، ورستم حيدر ، وتوفيق الناطور ، ومحمد المحمصاني ، وعوني عبدالهادي ، والامير عادل ارسلان ، ورفيق العظم ، وعبد الغني العريسي وغيرهم كثيرون . ذهب بعضهم ضحية الارهاب في المحاكم العرفية والبعض الاخر لم تصله يد جمال باشا . وقد عقد العرب مؤتمرهم في باريس في ١٨ حزيران ١٩١٣ برئاسة عبد الحميد الزهراوي واتخذ مقررات بشأن مستقبل الولايات العربية . وتظاهر الاتحاديون بالميل الى العرب عندما لم يتمكنوا من منع انعقاد المؤتمر ووعدوهم بالاصلاحات وباجابة مطالبهم . وصدرت جرائد استانبول وفيها صورة الزهراوي بين الاتراك والعرب وقد اخذ بيد الاتراك وبيد العرب ليضع اليدين على القرآن متعاهدين وتحت الصورة كتبت هذه العبارة « الشيخ الزهراوي يجمع الترك والعرب على القرآن الكريم » . وصدرت الارادة السنية بتعيين الزهراوي وجماعة معه اعضاء في مجلس الاعيان وتولية بعض رجال العرب مناصب الولاية والوزارة .

ولم تلبث ان بدأت الحرب الكبرى فدخلتها تركيا في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٤ . وكانت الحكومة الاتحادية لا تزال مصرة على تطبيق سياستها العنصرية والقضاء على النهضة القومية العربية . ورأت ان صلة العناصر غير التركية بالدولة غير وثيقة ، فسعت الى تقليم اظافر الارمن والعرب . اما الارمن فقد نكلت بهم واغتالت قسماً منهم وشتتت الباقين في قارات العالم . واما العرب فهم اكثر من ان يستأصلوا واكبر من ان يستحقوا فعل الاتراك على اذلالهم وتقييد حريتهم . فارسلوا جمال باشا الى سورية بعد بدء الحرب بسبعة اشهر . وكانوا قد عينوا في اول الامر زكي باشا الحلبي قائداً عاماً لجيش سورية ليطمئن العرب اليهم وينفذوا خطتهم فيهم بسهولة . وتسلم جمال قيادة الجيش الرابع ومنح صلاحيات واسعة في ادارة البلاد السورية . وكان مشهوراً في تدبير مذابح الارمن بعد اعلان الدستور . كما انه كان مدير فرع الجواسيس والفدائيين في جمعية الاتحاد والترقي . وتظاهر بالميل للعرب في اول الامر . ثم اقنع كبار العرب من ضباط ومدنيين بقبول وظائف عسكرية في الاناضول كما انه اتم نقل آخر الفرق العربية . وحلت محلها جيوش تركية . ثم اماط اللثام عن سياسته واخذ ينفي الشخصيات والعائلات العربية بالمئات . وثقلت وطأة الحرب على البلاد السورية بعد ان ضرب الحلفاء الحصار الاقتصادي حولها وانقطع عنها السكر والبترول والنسيج والورق وغير ذلك . وارتفعت اسعار المعيشة وخلت البلاد من رجالها بعد ان ارسلوا الى جبهات القتال المختلفة . نقل الانتاج والدخل وفقدت النقود حتى صارت تباع الاملاك والرياش بابخس الاثمان . وبدأت المجاعة تنتشر بشكل مخيف ، وخاصة في لبنان حيث كان عدد ضحاياها نحو ١٥٠٬٠٠٠ نفس . وحصلت المصادرات العسكرية . وتدنى النقد . ونفد الفحم وقطعت اشجار الغابات . وطغى الجراد على المزروعات . وانتشرت الامراض وخاصة التيفوس . ففتكت بالسكان بعد ان اصبحت البلاد خالية من الاطباء ، والصيدليات خالية من الادوية .

واراد الاتحاديون صبغ فظائعهم في القضاء على زعماء العرب بصبغة قانونية فألفوا مجلساً عرفيا في عاليه بلبنان لمحاكمة المتهمين . واتصفت هذه المحاكمة بالقسوة . ورافقها التهديد والتعذيب . وتوسط شريف مكة الحسين بن علي لتخفيف الاحكام في ما اذا ثبتت التهمة . كما توسل الامير فيصل لدى جمال ، ولكن بدون جدوى .

وفي ٦ ايار ١٩١٦ أُعدم شنقا واحد وعشرون من احرار العرب، سبعة في دمشق، واربعة عشر في بيروت وصدرت احكام بالنفي والسجن على شخصيات اخرى كثيرة. واصدر جمال باشا عددا خاصا من جريدة الشرق لتبرير اعماله وصف فيه التهم الموجهة الى المحكومين بانها اشتراك في اعمال خيانة غايتها فصل سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية، وجعلها امارة مستقلة. وكان لهذه الاعمال اثرها البالغ في تعجيل اعلان الثورة العربية على الاتراك وكان الامير فيصل حينذاك مقيما في القابون في مزرعة آل البكري. وعندما بلغه النبأ المحزن صاح صيحته المشهورة «لقد طاب الموت يا عرب!» وبعد شهر تقريبا اعلن والده الشريف حسين الثورة العربية في ١٠ حزيران ١٩١٦ وتمكن فيصل من الالتحاق بها ومغادرة سورية.

بعد هذه المقدمة عن الثورة العربية نعود الى ما كان من شأن فارس الخوري. فقد جاء الى دمشق في عطلة المجلس قبل صيف ١٩١٦ . وكان له اصدقاء واخوان بين زعماء العرب واحرارهم الذين كانت تحتويهم سجون جمال باشا. فرأى ان يسعى في انقاذهم واستحصل على توصيات شفهية من اقطاب الدولة العثمانية في استانبول، ليستعين بها لدى جمال باشا. وذهب بعد وصوله من عاصمة السلطنة لمقابلة جمال في فندق فكتوريا. فاستقبله بعد انتظار نصف ساعة وقابله برزانة يرافقها كثير من العبوس. وبعد مجاملة قصيرة قال فارس: «يا دولة الباشا ان اخوانك طلعت وانور وجاويد والحاج عادل رئيس المجلس، وجميع رفاقكم الاعاظم في العاصمة، كلفوني عند الوداع ان اقرىء دولتكم السلام وشجعوني على ان التمس من دولتكم الرفق بسجناء عاليه». سمع جمال ذلك ثم اجاب بتجهم: «السجناء الان امام القضاء العادل ولاينال احد منهم الا ما يستحق (ويعني الاعدام) فدع هؤلاء الان واشتغل بتنظيف صفحتك. فان عندي عليك ما يجعلك تهتم بنفسك». فاجابه فارس: «انني اعلم ان صفحتي نظيفة يا دولة الباشا، فما عسى ان يكون لي عندكم؟» فقال جمال: «الامور مرهونة باوقاتها والمسألة الان تحت الدرس. وسوف اسألك عن بعض الأمور في حينها».

خرج فارس من مقابلته لجمال باشا وهو شديد القلق ليس على نفسه بل على المظلومين في سجن عاليه. فقد تبين ان الامال التي علقها على توصيات رجال العاصمة خائبة. وان هذا الرجل غير قانع بمن هم في سجونه. بل هو عازم على الحاق غيرهم بهم. انهُ سيبدأ

به قبل غيره ، لان اللهجة التي خاطبه بها جديرة باثارة الخوف والقلق. والواقع ان نقمة جمال بعد اعلان الثورة العربية كانت شديدة جداً . وادتّ الى انتقامه من زعماء العرب القلائل الذين لم تصلهم يده ُ . فقد اصدر الاوامر باعتقال الشخصيات المعروفة بالجملة . وصارت شرطته العسكرية تقبض على احرار العرب بسبب وبدون سبب حتى اجتمع في سجن دمشق نحو اربعين شخصية بينهم شكري باشا الايوبي وعبدالحميد باشا القلطقجي وزكي بك العظمة وقد ضُرب هؤلاء وعُذبوا . اما شكري القوتلي وكان من شباب جمعية العربية الفتاة فانه هدد بالضرب والتعذيب لكي ينطق ببعض ما عنده من معلومات . فحاول الانتحار بفتح شريانه بآلة حادة خوفاً من ان يضطره التعذيب الى الادلاء بالمعلومات المطلوبة عن الجمعية . وربما كان اعدم كثيرون من المعتقلين لولا تدخل الامير فيصل . حيث كتب الى جمال محذراً اياه بقوله انه اذا اعدم احد المتهمين او مات بسبب التعذيب فانه ينتقم من ضباط الاتراك الاسرى في مكة والطائف ، وانه يعدم عشرة منهم مقابل كل عربي يذهب ضحية ارهابه . وكانت النتيجة ان كثيرين من المتهمين افرج عنهم ووضعوا تحت مراقبة الشرطة او نفوا الى الاناضول . وكان من المتهمين الذين اعتقلوا وحوكموا امام المحاكم العرفية ثم نفوا فارس الخوري .

اتهامه بالتآمر على الدولة وافادته امام هيئة التحقيق : فكر فارس في ما عسى ان يكون الدافع الذي حمل جمال على مصارحته وتهديده بذلك الشكل القاسي . فلم يهتد الا الى عامل واحد ، وهو الشيخ اسعد الشقيري . وكان هذا مفتي الجيش ومرافق جمال باشا . وقد ذهب الى استانبول لمشاهدة الاعمال الحربية في جناق قلعة . وكان يزور مجلس المبعوثان ويسمع مناقشات فارس ونجاح تقاريره في القضايا التي يناقش بها . فلم يرق له ظهوره على هذا الشكل ولا استطاع ان يكظم غيظه . فقام يحرض سائر النواب العرب عليه ويقول لهم : « الا تخجلون من تفوق هذا النائب عليكم ؟ » فلم يهتموا بتحريضه . بل اتى راغب النشاشيبي نائب القدس يحذر زميله فارس مما قد ينصبه الشيخ اسعد له من الحبائل . وقال له : « سمعت من الشيخ اسعد الشقيري كلاماً ضدك يوجب الحذر . وقد كرره لي وللمبعوثين اكثر من مرة . فهو مستاء من ظهورك في المجلس النيابي حيث لك في كل يوم موقف

لا مع ، ويريد منا ان نزخرك ونتقدمك . وقد سمعته يبوح باستيائه بعبارات يشتم منها رائحة التهديد . ولا ريب عندي انه سينصب لك شركاً يوقعك فيه . واخشى ان يكون هذا الشرك عند صديقه جمال باشا في سورية . فلنذهب لزيارته لعلنا نفلح في اخماد جذوة كيده فهو غير مأمون الجانب » .

وذهب فارس بصحبة النشاشيبي لزيارة الشيخ في استانبول . وجامله محاولا ان يزيل ما عنده من شعور ضده ، بدون ان يشعره باطلاعه على ما قاله زميله النشاشيبي ، وفارقه آمناً ورجاه ان يشفع لدى جمال باشا بسجناء عاليه بما له من الكلمة المسموعة فوعدهُ خيرا . ولكن فارساً لم يلبث ان فوجىء باتهامات ملفقة ادّت الى اعتقاله ومحاكمته وهذه اخبارها :

يقول فارس انه في اثناء عطلة المجلس في ايار ١٩١٦ زاره ميشيل ابراهيم سرسق وطلب منه ان يرافقه الى حوران ، فيساعده في جمع الغلال التي تعهد بها لجمال باشا لاجل الجيش . وقال انه على هذا الشكل وباعتبار الصداقة التي بينه وبين الباشا تزول شكوكه بفارس . فلم يجد فارس بأساً في اجابة طلبه . ورافقه الى حوران وبقي معه حتى نهاية حزيران ١٩١٦ وفي نهاية حزيران اتاه حسني بك متصرف حوران يقول : « اتتني برقية من توفيق جلبي وكيل والي دمشق ، يطلب فيها ان ابلغك وجوب ذهابك الى دمشق » . ولاحظ المتصرف وجوم فارس لهذا النبأ فقال له : « هل تخشى سوءاً ؟ فاذا كنت تحتسب من هذه الدعوى فلك ان تتخذ طريقا اخر » . واشار بيده الى جبل الدروز . فاجابه فارس : « انني لا اخشى شيئا فالوالي صديقي ولا اظن في هذه الدعوة الا خيرا ، ومع ذلك فسافكر في الامر » . وانهى المتصرف المقابلة بان قال لفارس : « اذاً ساجيب الوالي باني ابلغتك الاوامر » .

عاد فارس الى دمشق وتوجه راسا الى السراي ليقابل توفيق بك الجلبي الذي كان جمال باشا قد عينه اولا مفتشا في الجيش ثم وكيلا عن الوالي . وقد استقبله توفيق بك ببشاشة وترحيب وقال : « دعوتك لاطلعك على امر هام . وهو ان السلطة العسكرية قبضت على شاب فار من الجيش يدعى عبد الغني الرافعي ، ولدى تفتيشه وجدوا معه اوراقا هي غاية في الاهمية والخطورة ، فهي تشعر بوجود جمعية متفقة مع الشريف فيصل

على احداث ثورة في هذه البلاد انتقاما للاشخاص الذين شنقهم جمال باشا . وها ان الثورة قد ابتدأت فعلا في الحجاز واعضاء الجمعية هنا يستعدون للالتحاق بالثورة. وهذا الشاب يزعم انك من اعضاء هذه الجمعية وها هو في دائرة البوليس ونحن مشغولون ليل نهار في استجوابه واستجواب الاشخاص الذين تناولتهم افادته وتقع عليهم الشبهات وانا اعلم انك بريء وانه كاذب في ما قاله عنك وان كلامه محض افتراء ، ولا يمكن ان يكون لمثلك ضلع في مثل هذه المؤامرات خصوصاً مع هذا الشخص . ولا اكتم عنك ان الباشا مشغول الفكر ومضطرب ومفعم غيظا من هذه الحادثة . وقد قبض اليوم على اللواء شكري الايوبي . وكان يريد ان يؤتى بك من درعا مخفورا . لكنني تعهدت له بجلبك مختارا . ولم تقنعه تأكداتي بانك بعيد عن الدخول في مثل هذه الاعمال الاجرامية . وغداً اسعى بجمعك بالباشا لعلك تنجح في اقناعه ، فهل تعرف شيئا عن عبد الغني هذا ؟ » فاجاب فارس : « انني لا اعرفه ولم اسمع بهذا الاسم قبل الان . وهذه التهم محض افتراء واختلاق ، فلا اعتقد بوجود جمعية من هذا النوع . وعلى فرض وجودها فلا علم لي بها ، والان ماذا تريد ؟ » فاجاب وكيل الوالي : « تذهب الان الى بيتك وتبيت مطمئنا وتعود الي في الغد » .

غادر فارس وكيل الوالي وهو في حيرة واخذ يسائل نفسه : « من هو عبد الغني الرافعي هذا ؟ ، وما هي غايته عندي ؟ لا بدّ وانهُ مدفوع من عدو لئيم ولكن ليس لي اعداء لهذا الحد . فما هي الحقيقة يا ترى ؟ . وهل اوعز جمال باشا الى مدير البوليس ليحيك لي هذه الاحبولة ؟ فاذا كان الامر كذلك فالدفاع عسير » . فكر فارس في الفرار ولكنه خشي ان يقبض عليه فيتخذ هربه دليلا على ثبوت جرمه وهو بريء مما نسب اليه ، ويمكنه الدفاع عن نفسه . على ان الدفاع والبراءة لا يكفيان اذا كان خصمه الحكم . وبعد تفكير طويل ، ومقايسة بين الفرار والبقاء ، رجح البقاء ، على اساس ان صفحته نقية ، وانه نائب ، واصدقاؤه كثيرون في سورية و في استانبول ، وان حجته قوية وهي سلاحه للدفاع عن حياته .

توكل فارس على الله وذهب الى السراي في اليوم التالي . وقد تاهب للسجن ولمواجهة الطواريء.. فقابل الوالي ودعاه هذا الى حفلة شاي يقيمها للشريف حيدر الذي عين شريفاً لمكة بدلا من الملك حسين بعد اعلان الثورة وكان فارس قد عرف شيئاً

عن الشريف حيدر في استانبول فقبل دعوة الوالي على ان يطلبا من الشريف ان يتوسط لدى جمال باشا لعله يستطيع ان يحوله عن عزمه على اعتقاله وسوقه الى الديوان العرفي للمحاكمة ، وفي المساء اجتمعا بالشريف وسردا له القضيـة فوعدهما خيراً . ولقد بر بوعده . ولكن جمال باشا لم يتحول عن عزمه انما وعد بان يقابل فارساً في الغد وذلك بعد ان يدلي بافادته امام هيئة التحقيق . وفي تلك الليلة نفسها ذهب فارس الى دائرة البوليس وادلى بافادته واستمر التحقيق حتى الساعة الثالثة صباحاً . وكان المحققون توفيق بك وكيل الوالي ، ومدير الشرطة وموظف اخر ورجل عسكري من قبل جمال باشا . واليك خلاصة الاسئلة وافادات فارس :

سؤال هيئة التحقيق : ما هي الجمعيات السياسية التي انت عضو فيها ؟

جواب فارس : لم انتسب لجمعية سياسية غير جمعية الاتحاد والترقي .

س — ما هي علاقتك الماضية والحاضرة بهذه الجمعية ؟

ج — يوم تالف الفرع في دمشق عام ١٩٠٨ دخلته وكنت من مؤسسيه وبقيت فيه مخلصاً نشيطاً الى ان فاز حزب الحرية والائتلاف ووقع الخلاف المعلوم فتراخت اعمال الحزب في دمشق . وانا بدوري انقطعت عن العمل في الجمعية فترة طويلة . ولم اشترك في اعمال الاتحاديين . لكن اليمين التي كنت اقسمتها تضمنت العهد بالاخلاص للجمعية والامتناع عن مقاومتها . فبراً بهذا الوعد المقدس لم انضم الى الحزب المعاكس . وفضلت البقاء على الحياد . ولما رشحت نفسي للنيابة عام ١٩١٤ في دمشق عاكسني الاتحاديون وحاولوا ان يحولوا دون نجاحي . لكنهم فيما بعـد عادوا الى الصواب ، وتحققوا اني لم استقل من الجمعية ، ولا انضممت الى غيرهـا . وانا اليوم في مجلس المبعوثان معدود من الفرقة الاتحادية .

س — كيف تفسر خطبتك في حديقة البلدية في الحفلة التي اقمتموهـا على شرف فكري بك لطفي وخطبت فيها انت وشكري العسلي خطبة نارية ؟

ج — انا ترجمت خطبة شكري بك الى العربية وكانت خطبته نارية فاضطررت ان احتفظ بلهجته ومعانيه حرصاً على امانة الترجمة . وقد كانت بترجمة هذه الخطبة

اثناء الحفلة التي حضرتها كما حضرها غيري من اركان الاتحاديين . ولم اضف شيئاً من عندي .

س – الك توقيع في برقية الاحتجاج على الاتحاديين وعلى الوالي ناظم باشا .

ج – لم اوقع برقية من هذا النوع .

وعند ابراز البرقية اجاب بان التوقيع ليس من قلمه وانه يوم كتابة الاحتجاج كان يرافع في بعض الدعاوي في القنيطرة . وانه يمكن التحقق من ذلك بمراجعة سجلات المحكمة .

س – يقول عبد الغني انك تقوم بهذه الافعال الاجرامية بالاشتراك مع الامير آلاي شكري باشا الايوبي فما هي صلاتك بهذا الباشا ؟

ج – انني لا اعرف الباشا الا بالوجه ولم اجتمع به ولا تكالمنا قط . ثم من هم اعضاء هذه الجمعية الخيالية غيري وغير شكري باشا ؟ انني ارجح ان لا وجود للجمعية الا في مخيلة الرجل الذى تسمونه عبد الغني الرافعي .

س – هو يقول ، ويؤيده رفاقه ، انكم تلقيتم اموالا تبلغ ثلاثين الف ليرة عثمانية ذهباً اتاكم بها الدكتور عبد الرحمن شهبندر وعبد الستار السندوسي من البصرة . وانكم تجتمعون في جناح خاص في احد فنادق باب توما لصاحبه ميخائيل القصير ، وفي محلة الجورة ، لتدبير هذه المؤامرات . وانه كانت لكم عربة خاصة مستأجرة بثلاثين ليرة عثمانية من محل حبيب سلمون . وكانت لكم اجتماعات سرية في بيتك ، وفي دار آل البكري بدمشق ، وفي القابون ، وفي دار شكري باشا في الصالحية . ويشترك في بعض اعمالكم هذه امير اللواء عبد الحميد باشا القلطقجي والاميرالاي زكي بك العظمة ، وعمر افندي الرافعي . وغيرهم ممن لا نسميهم الان » .

ج – هذا كله رواية افكية شريرة الفها عبد الغني الرافعي من نفسه او انه دعي الى تأليفها بهذا الشكل . فاسمحوا لي ان اقول بانني بدأت اشك في ان تكون هذه الجمعية ناشئة عن خيال عبد الغني وحده ، اذ لا يعقل ان يتعمد هذا الرجل اذية هؤلاء الناس والايقاع بهم ظلماً وعدواناً ، وهو لا يعرفهم ، ولا هم يعرفونه . فلا

بد اذاً من وجود يد عليا تديره وتملي عليه مـا يأفك به . وكيف يعقل ان يدخل عبد الرحمن شهبندر دمشق ، وهو محكوم بالاعدام ، فيسعى الى حتفه بظلفه ؟

هنا امروا باحضار عبد الغني . فجيء به الى صالون مدير الشرطة الذي كانوا فيه . واذا به شاب مزمّل الرأس واليدين والرجلين بعصائب بيضاء وهو يكثر من الانين . عندها علم فارس انه قاسى كثيراً من الام الضرب والتعذيب قبل ان يدلي بهذه الاتهامات المنكرة . وكان يحسبه اولا انه احد جواسيسهم . سأله مدير الشرطة اذا كان يعرف من هذا الذي امامه . فاجاب عبد الغني بالايجاب وذكر اسم فارس . فقال فارس : « لا غرابة في ذلك فكثيرون يعرفونني ولا اعرفهم » . وسأله المدير من اين يعرف فارس فقال : « عرفته المرة الاولى مع عبد الفتـاح بك الزغبي قائمقام بعلبك في دكان حلاق بالمرجة . ثم قابلته في باب توما وسألته عن شقيقه فائز الذي كان سجيناً في عاليه ثم اصابته حمى التيفوس . وعند ذلـك اخبرته عن الجمعية التي تألفت للانتقام لشهداء العرب وانها قريباً تبدأ اعمالها الثورية . وبعد ذلك زرته في بيته بناء على طلبه واجتمعنا عدة مرات » .

فاجاب فارس : « ان هذه الحال التي ادى بها عبد الغني شهادته كافية لوجوب اهمالها وعدم الاكتراث باقواله . وماذا كان ينتظر من رجل وقع تحت الضرب المبرح والتعذيب الجسدي اسبوعا كاملا ؟ ولا ريب في ان هذه الشقوق في رأسه ووجهه والخلوع في مفاصله والكسور في عظامه هي التي دفعته لاختلاق اقوال كاذبة يرضي بها معذبيه . ان الافادات التي تنتزع بهذه الوسائل الممنوعة قانونا لا يجوز ان تتخذ اساسا لاستجواب رجل مثلي قبل تأييدها بوسائل اخرى وادلة قوية مادية تثبت صحتها . لذلك لا اراني مكلفا بالجواب على اقواله . وانما اذكر شيئا واحدا في اقواله وهو انه قابلني في باب توما وانا لا اعرف من هو . وبعد ان سألني عن صحة فائز اخي حسبته من الشبان رفاقه . ثم ذكر لي اسماء اشخاص يريدون الانتقام لدماء الشهداء . ولما بدأ بهذا الحديث اعتقدت انه جاسوس يريد استدراجي لاقول شيئا يقدم فيه تقريرا لمرجعه . فسرت وتركته وتابعت طريقي . ولو لا رؤيتي اياه الان وذكره للحادثة لاستحالت معرفته علي » .

س – خطبت هذه السنة خطبة نارية في الحفلة السنوية التي اقيمت في فندق

شاهين باشا في استانبول وطالبت بحقوق العرب وزعمت ان الترك يهضمون حقوقهم فما سبب ذلك؟.

ج — حضر هذه الحفلة وزراء الدول ، واركان الاتحاديين ، واكثر النواب العرب والجميع سمعوا خطابي ، ولم يجدوا فيه بأساً بل وافقوني على كل كلمة فيه . فقد دعوت الى التآخي بين الامتين والتعاون المشترك ونبذ اسباب التفرقة وضرورة توحيد المساعي والقلوب في الازمة الحاضرة . وانحيت باللائمة على رجال الدولة الذين يرهقون العرب في ايام هذه المحنة ويجرحون عواطفهم بدلا من ان يعملوا لاستجلاب النافرين وطمأنة الخائفين . وقلت ان سياسة اللين والرفق افضل من سياسة الشدة والعنف وقد شاركني بهذا الرأي كل من حضر الحفلة من وزراء واعيان.

س — خطبت في بكركي في الحفلة التي اقامتها البطريركية المارونية عام ١٩١٢ احتفالا بالاسطول الافرنسي يوم زيارته لجونيه .

ج — لم اذهب في حياتي الى بكركي ولا سمعت بهذه الخطبة .

ولدى اطلاعه عليها في مجلة الاستراسيون الافرنسية قال : « ان هذا الاسم ف . خوري ليس اسمي (وكان اسم الخطيب فرانسوا الخوري) وكثيرون يتكنون باسم الخوري في لبنان وهذا رسم المحتفلين وليس بينهم رسمي ». ثم سألوه ثانية اذا كان يعرف عبد الغني الرافعي فاعاد نفس الجواب واضاف : « ان كل هذه الاقوال هي افتراء . وانا منذ شهرين في حوران اساعد في جمع الحبوب للجيش ». فاجابوه : « يقولون انك لم تقبل بهذه المهمة في حوران الا لتستر بها عملك في خدمة هذه الجمعية وانك ذهبت الى جبل الدروز تحت ستار جمع الحبوب . فحرضت الشيوخ سرا ، عندما جمعتهم في صلخد ، على العصيان ، وعدم تلبية طلب الحكومة » .

بعد المناقشة بين فارس والمحققين وظهور كذب عبدالغني سكت هذا سكوتا عميقاً متظاهراً بالاغماء فحملوه وعادوا به الى سجنه . ثم جاؤوا بمكتوب زعموا انه من عمر الرافعي الى شكري باشا الايوبي وجد بين اوراق الباشا عند تفتيشها . وقد استعانوا بفارس لترجمته من العربية الى التركية اذ تعذر عليهم فهم بعض عباراته وخاصة الاقتباسات من الحديث الشريف والاشعار . ولم يكن في ذلك المكتوب شيء من

العبارات التي توجب الشبهة .

استمر التحقيق ست ساعات ودام حتى الساعة الثالثة صباحاً وكان يظن فارس انهم سيتركونه وشأنه بعد ذلك . ولكنه بعد ان كشفوا له جميع اسرار الجرائم التي هم آخذون في تحقيقها واوقفوه على اسماء الاشخاص المشتركين بها من غير المعتقلين واشركوه في ترجمة الوثيقة التي بين ايديهم ، ايقن اخيراً ان لا خروج له من هذا المأزق وانه سينتقل في آخر الليل من صالون المدير الى السجن . ولما انتهى التحقيق قال له مدير الشرطة : « لقد تأخرت كثيراً والاوفق ان تقبل ضيافتي في لوكندة الحرام» فقبل وبات في غرفة تجاور غرفة المدير على ان يقابل جمال باشا في اليوم التالي .

مقابلة عاصفة مع جمال باشا : في الصباح ذهب فارس الى مقر الوالي ووافاه مدير الشرطة هناك واخبره ان جمال باشا مستعد لاستقباله . وذهب الاثنان لعند الباشا وبقي المدير في غرفة الانتظار . ودخل فارس لمقابلة جمال ، وكان الوالي عنده . فابتدره جمال بلهجة جافة يرافقها الغضب وقال : « الا تذكر ما قلت لك يوم قابلتني حين تجرأت ان تدافع عن اصحابك الخائنين الذين نالوا جزاءهم (اي اعدموا) ولقد قلت لك ان صفحتك ملوثة . وعليك ان تهتم بتنظيفها . وها قد تحققت ظنوني بما جاء عنك من التصريحات الدالة على اشتراكك مع اولئك المجرمين وآمالك العقيمة بالانتقام لهم . ولا حاجة بي الى ان اسمع منك شيئاً مما ادليت به المحققين . فقد عرفته كله ، وهو يكفي لادانتك . لانك اقررت بصورة غير مباشرة بصلاتك مع هؤلاء الخونة . الم تقل ان الرافعي قابلك وصرح لك بوجود جمعية تتهيأ للانتقام ؟ هذا وحده كاف لادانتك وانت مؤاخذ بهذا الاقرار . فلو كنت مخلصاً لكنت قبضت على هذا الرجل وسلمته الى اقرب مخفر وعلى الاقل كنت اسرعت واخبرتني . فكنت اتلافى الخطب قبل وقوعه . لان فيصلاً كان في قبضة يدي يراوغني ويخدعني . فكان في امكاني ان اقبض عليه وكان اخوه علي في متناول يد الحكومة في المدينة . فلو انك اخبرتني كنت حجزتهما رهينة عندي فلا يجرؤ ذلك الشيخ الخرف والدهما على اعلان العصيان وولداه في قبضة يدي . ارأيت عظم الشر الذي جنيته على الدولة والوطن بسكوتك واخفائك الجرم ؟ انت رجل قانون وتقوم بمهمة

النيابة ويقولون انك عالم بالحقوق ، وتدعي انك مخلص للدولة . اهكذا يكون الاخلاص عندكم ؟ فلو انك جاهل لعذرتك عن سكوتك . ولكنك عاقل ومبعوث في البرلمان ، وتقدر العواقب وتعرف النتائج . فهل لك ان تعلمني ما الذي حملك على هذا السكوت وكتمان الامر الذي وصل اليك ؟ انا لا اسألك عما انكرت من الاتهامات الخطيرة بل عما اعترفت به . افليس ذلك عادلا وقانونياً ؟»

كانت هذه العبارات تتدفق من فم الباشا مشفوعة بنبرات الغيظ والحنق ، والشر يلوح في عينيه دليل الالم الشديد لفرار فيصل من قبضة يده ، ولم تخف على فارس ملامح الخوف والاضطراب البادية عليه . وقد استمر في كلامه اكثر من ربع ساعة . وبقي لاهثاً ينتظر الجواب وكان فارس يظن انه سوف لا يفسح له المجال للكلام فقال :

« نعم يا سيدي الك الحق في ما قلت . انه واجب على كل عثماني مخلص ان يسعى الى منع الشر قبل وقوعه بكل الوسائل المشروعة . ولكن القانون لم يرتب عقوبة على الاشخاص غير المسؤولين عن حفظ الامن لعدم الاخبار . وانا لست بحاجة الى الدفاع عن نفسي . ولكن استسمحكم عذرا فابسط لكم سبب تقصيري بهذا الواجب الادبي الذي يحق لكم ان تؤاخذوني عليه انه لم يخطر على بالي ان هذا الثرثار الذي صادفته عرضا في الطريق يخاطبني بصورة جدية عن الجمعية الخيالية وهو لا يعرفني وانا لا اعرفه . واول ما تبادر الى ذهني اذ ذاك انه جاسوس يروم استدراجي الى كلام مريب يتسلح به ليبيض وجهه بتقرير يرفعه الى رئيسه وهو ظن حازم في مثل هذه الظروف لا يجوز لعاقل ان يتصور غيره لان الجد في الحديث لا يعقل صدوره من مثله الى مثلي مع فقدان كل صلة بيننا . وماذا عساني ان افعل مع هذا التصور غير ما استقر في ذهني ؟. وهو ان اصده وازدريه ، واقول له : امض في طريقك اذ ليس لي شأن بما تهرف به . وهذا الذي فعلته وانا مضطرب البال على اخي فائز الذي كان يعاني خطر الاحتضار بالحمى وانا مسرع لادعو له الطبيب . ولو اني تركت عملي وجئت لاخبر بما سمعت لكنت رميت بالسخف والسعاية والنميمة . وليس ذلك من خلقي . فاذا كنت قد قصرت فحسن النية شفيعي . وقد اكدت لحضرة الوالي والمحققين رفاقه ان كل ما قاله الرافعي عني هو محض افتراء . واؤكد لدولتكم انني لست من القائلين بالثورات . ولا انا من انصار العصيان . فلا اشتركت ، ولا اشترك ، في

جمعية تجنح الى العنف والشدة في تنفيذ منهاجها . بل انا من دعاة السلام وطلاب الحق بالطرق القانونية الدستورية المشروعة . وماضيّ يشهد لي باحترامي القوانين وتمسكي باحكامها . وليس من خلقي ان ارتكب فعلا معاقبا عليه قانونا. ولو اني من اعضاء هذه الجمعية وان الرافعي يعرف ذلك لما كان ثمة لزوم ان يخبرني هو عنها . فاخباري على هذه الصورة التي يرويها هو دليل على عدم معرفتي بامرها . وبعد هذه المقابلة المشؤومة ذهبت الى حوران بمهمة الحبوب التي تعرفونها الى ان دعيت بالامر لمقابلة الوالي وانا خالي الذهن من كل شيء . ولو اني موصوم بما قاله الواشي عني وتركت حرا طليقا لكنت هربت . لان توفيق بك اخبرني بما قاله الواشي . لكنني مطمئن القلب واثق من نفسي بانني لم ارتكب جرما . هذه هي تحقيقاتكم في ديوان الحرب، وقد تناولت كل شاردة وواردة ، فهل مر ذكري في صفحات التحقيق ؟. او نسب الي فعل ينكره الحق ويدينه القانون ؟ وهذه هي سيرتي في مجلس المبعوثان في هذه السنين الثلاث يعرفها اصدقاؤكم الكثيرون فهل فيها ما يريب ؟ »

فاجاب الباشا : ضوغري (اي صواب) .

وكان فارس اثناء كلامه يميل بنظره من وقت الى آخر الى توفيق بك لعله يدعمه بكلمة . فلم يبد حراكا . واخيرا التفت اليه وقال له : « اليس كذلك يا توفيق بك؟» فقال « ضوغري » . ولم يزد حرفا واحدا بل انتظر ليشاهد تأثير كلام فارس في الباشا ، وبعد ذلك يتكلم حسب مقتضى الحال . ولما رأى الباشا مطرقا يفكر ولحظ انه قد خف هيجانه تجرأ وقال : « نعم يا سيدي الباشا ، وعبدكم يعتقد ان ما قاله فارس بك صحيح ومقارن الحقيقة » . فحدجه الباشا بنظرة شذر جعلته يطرق واجما . وقام جمال باشا ايذانا بالانصراف وقال : « قلت لك انك ملوث فاذهب الان واثبت براءتك امام القضاء . »

قال هذا بلهجة طرية فاجابه فارس « ولكن يا سيدي الباشا ان البراءة هي الاصل ولا تحتاج الى اثبات ، فعلى الذين يتهمونني ان يثبتوا دعواهم ». سمع الباشا هذه العبارة ورفع يده مسلماً تسليم الوداع وخرج من الغرفة . فقال فارس للوالي : « اتبعه وسله ماذا نفعل وهل سنكمل التحقيق الذي امر به ؟ » فمضى وسأله ثم عاد . وخرج الثلاثة فارس والوالي ومدير الشرطة الذي كان ينتظر خارجاً ، واتجهوا نحو دائرة

الشرطة وقال المدير لفارس : « ان الحال تستدعي ان تظل في ضيافتنا برهة من الزمن وقد اعددنا لك اللوكندة الحديدية لتقيم فيها . وها انا اذهب معك لاعطيك غرفة لائقة » . وصلوا اللوكندة فوجد فارس ان شكري باشا الايوبي قد سبقه اليها . فوضعوا كلا منهما في غرفة مع منع الاتصال بينهما . وشاهد فارس هناك رفاقاً آخرين كثيرين من دمشق وزحله منهم الياس بحمدوني والقس مفيد عبد الكريم وعمر الرافعي وزكي العظمة وشكري القوتلي ورشيد الرافعي وغير هؤلاء. وبلغ عددهم اربعين رجلاً. ولما غص بهم المكان هيأوا لهم الغرف في خان الباشا فنقلوهم اليها . وكان يجاور فارس عبد الحميد باشا القلطقجي وشكري باشا الايوبي . ونقلوا الديوان العرفي من عاليه واعادوا اليه فخري بك الاعرج ليتولى محاكمة القافلة الثالثة من العرب الاحرار . وكان مقره في السنجقدار ومحكمته مؤلفة من اربعة اعضاء ، وخمسة في هيئة التحقيق .

فواجع التعذيب في خان الباشا ومحاكمة فارس : بدأ التحقيق في خان الباشا بالعصا والفلق والسوط والمقرعة . ونجا فارس من هذه الاساليب (خلافاً لما ذكره جورج انطونيوس في كتاب « يقظة العرب » بالانكليزية ص ٢٠٢ من ان فارساً قد ضرب وجوّع) . وكان قد عزم على الانتحار في ما لو قرروا ضربه وتعذيبه . فاستحصل على حبة مورفين وشفرة حلاقة لهذه الغاية ليستعملها حين اللزوم . الا انه بقي مرعي الجانب بناء على توصيات اولي الامر في استانبول وفي سورية وكان يعامل بالحرمة والايناس ويخاطب بلهجة الاحترام التام ويذكر ذلك للاتراك . وهو حين يوازن بين وضعه في سجون الاتراك وفي معتقلات السلطة الافرنسية فيما بعد يقر بان معاملة الاتراك كانت جيدة وان مخاطبتهم له كانت مهذبة ولو انه لا يدري احد اذا كان يستيقظ حياً في صباح اليوم التالي ، اما معاملة الافرنسيين فكان يرافقها خشونة وتحقير في الكلام . انما كان الانسان امينا على حياته ولا ينتظر الاعدام في كل لحظة.

لجأت السلطة التركية الى التعذيب عند اجراء التحقيق مع الشهود وبعض المتهمين . وهذا مثال من نوع التحقيق وشكل التعذيب الذي كان يجري في خان الباشا : فقد اتوا بالشاهد الاول ميخائيل العبسي وضربوه كثيراً فلم يخضع لرأيهم ولم يشهد زوراً واخيراً يئسوا منه واخلوا سبيله . ثم اتوا بخادمين في الفندق الذي قيل ان فارساً كان

يجتمع فيه مع رفاقه في باب توما . وضربوهما حتى يعترفا بهذا الاجتماع . فرفضا في بادىء الامر . وكان عبد القادر حمزة ومحمد الحربوطلي تحت ادارة المدير يسألان المضروبين :

س – هل كان فارس الخوري ورفاقه يجتمعون عندكم في اللوكندة ؟

ج – نعم كانوا – دخيلك حاجي تضرب !

س – وهل استأجروا جناحاً خاصاً بهم ؟

ج – نعم استأجروا. آخ . آخ !

س – وهل تكرر اجتماعهم اكثر من عشرين مرة ؟

ج – نعم اكثر من عشرين مرة .

س – وهل كنتم تسمعون ما يقولونه ؟

ج – كلا .

عند ذلك تهوي العصا فيصيحان: نعم كنت اسمع – دخيلك حاجي تضرب !

س – هل سمعتما اقوالهم عندما تدخلان الشاي والقهوة حيث كانوا يقولون : بدنا نقتل جمال باشا ونطرد الاتراك ونجعل فيصلاً ملكاً علينا ؟

ج – نعم نعم – بس حاجي ضرب !

كانت غرفة فارس تطل على ساحة الخان حيث اتخذوا مرابط الدواب محلاً للتعذيب . فكان يسمع بعد منتصف الليل اصوات الاسترحام والانين الى ان يغمى على الذي يعذبونه وحين يفيق كانوا يستأنفون الضرب فيضطر المسكين للخضوع لهم والاعتراف بما يريدون ان يشهد به. على هذه الصورة اتوا بالشهود ضد فارس. واعظم الضرب والتعذيب اصاب الواشي عبد الغني الرافعي . رآه فارس مرة في غرفة مدير الشرطة والندم ظاهر في عينيه لكنه لا يجسر ان يبوح بالحقيقة . فرثى لحاله وعذره لانه مرغم على الافتراء . وقد استحصل الرافعي على ورقة وقلم وكتب لفارس

معتذراً ورمى الورقة التي كتبها على باب غرفته فالتقطها وقرأها وحرص على حفظها لانها اعتراف صريح بانه انما وشى به وافترى عليه لتخفيف عذابه وانه كان يتوقع الفرج باتهامه فارساً وكثيرين غيره . فاخفى فارس الورقة الى حين المحاكمة .

كان محافظ السجن رئيس الطريقة القادرية من الاناضول ويلقب بالبابا . وكان ينظر الى فارس نظرة ملؤها الحنان والعطف والاخلاص . وكان دائماً يهمس في اذنه : « انكار ، انكار ، تكذيب شهادة ! » ولم تسمح السلطة لاحد بزيارة فارس الا زوجته مرة في الشهر لمدة ربع ساعة بوجود رقيب وبشرط الا تحدثه بشيء سوى السؤال عن صحته ونومه .

كان فارس يستثمر جميع قواه العقلية والنفسية لاجل الدفاع عن نفسه وعن رفاقه . وكان ينجح في التأثير على سامعيه بقوة حجته وتأثير شخصيته . فقد دعوه مرة ليلا الى غرفة التحقيق وتلوا امامه شهادات الشهود . وكانوا دائماً يخاطبونه بالتجلة والاكرام ويقدمون له شراب الليمون . ثم دعوا الشهود وسألوهم بحضوره عن شهادات مكتوبة فصادقوا عليها وامضوها . وبعد ذلك سألوه اذا كان يريد ان يستجوب الشهود . فقال لهم : « وما فائدة ذلك وانتم تلقنونهم وتعرفون ان شهاداتهم الحقيقية مختلفة عن هذه ؟ والذنب ليس ذنب هؤلاء الشهود الذين لا اعرفهم ولا يعرفونني » . واندفع فارس في حديث اخلاقي مؤثر اثار به حماسة الشهود . ودعاهم الى الجهر بالحق والصدق وناشدهم باسم الله والدين والشرف ان يصدقوا ويصرحوا امام هذه الهيئة كيف انتزعت منهم هذه الشهادات . فاندفعوا للاقرار بانهم عذبوا ، وحطمت اجسادهم حتى اضطروا للتوقيع على هذه الشهادات ضده . فاسرع مدير الشرطة وصرفهم . وطال الحديث الى آخر الليل وتليت عشرات الصفحات ولما طلبوا من فارس التوقيع كتب ما يلي : « ان الشهود قد رجعوا عن شهادتهم وكانوا مهشمي الاجسام من شدة التعذيب الذي اوقعوه بهم ليشهدوا ضدي . واني احتفظ لنفسي بحق مناقشتهم يوم المحاكمة امام ديوان الحرب . »

استمرت التحقيقات بهذه الاساليب اربعة شهور سجل فيها جمال باشا على نفسه وعلى امته عارا لا يمحى . وطال على فارس ورفاقه انتظار اخراجهم من السجن الى

الاعدام . وماذا عسى ان يتوقع رجل يعرف القانون غير هذه النهاية بعد ان رأى وسمع الادلة الجنائية متوافرة عليه بافظع اشكالها ولذلك كانوا يتوقعون الاعدام كل ليلة .

واخيراً دعي فارس للمثول امام الهيئة الاتهامية في ديوان الحرب وهي مؤلفة من امراء الجيش . فتلوا عليه الشهادات وسألوه ماذا يقول فيها . فاندفع يتكلم اكثر من ساعة مدافعاً عن نفسه بكل ما اوتي من قوة وحسب انه نجح لاتقانه الدفاع ولما تحلى به اعضاء الهيئة من شرف عسكري . وعوذهم بالله ان لا يكونوا آلات مسخرة لتنفيذ الغدر والظلم . وكانوا يظهرون اللطف نحوه الى اقصى حد مما شجعه على الاسترسال في الدفاع وبعد ذلك اتاه حسني بك محافظ السجن وقال : « يريدونك في ديوان الحرب ». فسأل عن السبب فاجابه حسني بك : « اظن ان عائلتك تطلب مقابلتك » . فرفض فارس الذهاب . ولكنه اضطر الى الخروج معه عندما عاد يقول ان رئيس ديوان الحرب مصر على الذهاب اليه في الحال . وعندما خرج فارس ولم يشاهد العربة ارتاع وسأل عن العربة فقال مرافقه « لا حاجة الى العربة فالموضع قريب» ورأى فارس جنديين يتبعانه والحراب بارزة في ايديهما . فادهشه ذلك . لكن مرافقه حسني بك امرهما بادغام الحراب والابتعاد فامتلأت نفس فارس ببهجة واطمئناناً .

وصل الى ديوان الحرب واذا بالامير شكيب ارسلان صديقه عند رئيس الديوان فظن انه جاء مودعا قبل ذهابه الى استانبول . وبعد ان تعانقا قال له الامير شكيب : « ازف اليك البشرى ! فقد دعاني جمال باشا وقال لي ان احضر الى هنا باسمه وابلغ فخري بك وجوب اطلاق سراحك بالكفالة على ان تستقيل من مجلس المبعوثان . فدبر كفالة بمبلغ الفي ليرة عثمانية ذهبا . فتخرج من السجن في الحال على ان لا تبرح دمشق قبل المحاكمة . وقد تبلغ الرئيس امر جمال باشا وهو مستعد لتنفيذه . فالتفت فارس الى الرئيس وسأله اذا كان تبلغ فقال : « طبعا وهل نفعل شيئا من دون امر ! »

وللحال ارسل فارس يستدعي خليل عبسي وغالب بك شاول مدير البنك العثماني فحضرا للكفالة ومعهما كاتب العدل وسجلت الكفالة حسب الاصول . ثم عاد فارس الى السجن الى ان يقرر اعضاء الديوان اطلاق سراحه وفرح رفاقه بذلك آملين ان يكون الفرج قريبا . واتى القرار بسرعة ولكنه آثر البقاء الى الصباح رغم انه لم ينم

تلك الليلة . وذهب برفقة الامير شكيب الى جمال باشا فحياه وشكره واخبره عن الفظائع التي شاهدها . فكان جواب جمال : « لم تظهر براءتك بعد ، انما اخليت سبيلك حتى موعد المحاكمة ولا حاجة بان اوصيك بالتزام السكينة » . فطلب فارس منه ان يأذن له بالسفر الى استانبول ولكن الباشا قال : « كلا بل انتظر اوامري » .

اما اسباب اطلاق سراح فارس فهي ان علي حيدر باشا رفع بالاشتراك مع بعض رفاقه تقريرا لرئاسة مجلس المبعوثان ، يطلبون فيه ايضاحا عن توقيفه ويطلبون اعادة حريته عملا بمبدأ الحصانة النيابية . وكان علي حيدر باشا ابن مدحت باشا المعروف بابي الدستور . فوعدهم طلعت باشا وزير الداخلية باعطاء الجواب في جلسة قادمة وابرق الى جمال باشا بوجوب اطلاق سراح فارس حالا . وقد بذلت مساع اخرى من قبل شخصيات مختلفة لنفس الغاية منها زيارة صلاح بك مبعوث استانبول وتوفيق بك مبعوث كربلا ونوري بك مبعوث الديوانية لجمال باشا في دمشق ، والحاحهم عليه بأطلاق سراح فارس . كما ان الامير شكيب ارسلان قام بنفس السعي . وقد ابرق الامير فيصل الى جمال باشا منذرا اياه بمعاملة الاسرى الاتراك بمثل ما يعامل به جمال احرار العرب المعتقلين .

وفي صباح ٣ كانون الاول ١٩١٦ اطلق سراح سبعة عشر سجيناً بقرار منع المحاكمة . اما بشأن فارس فقد رفعت الهيئة الاتهامية مضبطة الى ديوان الحرب باتهامه مع شكري باشا الايوبي وبعض المعتقلين . وفي ١٧ كانون الثاني ١٩١٧ دعي الى ديوان الحرب وابلغه الرئيس انه لا بد من اعادته الى السجن لان مضبطة الاتهام ضده . فعاد فارس وبدأت المحاكمة واتسع له المجال لمناقشة الشهود . ومن الامثلة على مناقشته ما جرى مع احد هؤلاء الشهود وهو الحوذي محمد الدرزي .

وقف هذا الشاهد امام المحكمة وبعد استجوابه عن هويته طلب منه الرئيس سرد معلوماته . فقال ان شهادته موجودة في الاوراق التي لديهم وانه لا يستطيع اعادة كل ما فيها . فقال له الرئيس : « بل يجب ان تقول الان كل شيء . » محمد الدرزي — قلت لكم كل شيء قبل مجيئي الى هنا .

الرئيس — الان نقرأ الشهادة التي اداها هذا الشاهد .

وقرئت الشهادة التي كان اداها محمد الدرزي في غيـاب فارس وكانت فظيعة للغاية . ثم سأل الرئيس الشاهد : أهذه شهادتك ؟ فقـال نعم ! وهنا تدخل فارس وقال : « يا حضرة الرئيس ، ان سماع شهادة الشاهد في غيابي وتلاوتها عليه ليصدق عليها امر غير صحيح . فيجب ان يسرد الشهـادة امامي بنفسه . ثم ان عليكم ان تحلفوه اليمين اولا . وكل شهادة بدون تحليف اليمين غير جديرة بالقبول . وقد يرجع الشاهد بعد ان يقسم اليمين عما قاله قبل القسم . ولا ريب عندي في ان هذه الشهادة التي تطلبون منه تصديقها تقود الى المشنقة رجلاً بريئاً . وبمـا ان هذا الرجل المحترم (مشيراً الى المدعي العام) يقوم بوظيفة المحافظة على القانون امام ديوانكم العالي فاني اطلب اليه ان يجري وظيفته . فقال المدعي العام : « نعم يجب تحليف اليمين » .

وبعد ان اقسم الشاهد اليمين وامروه بالكلام اندفع يصيح ويشكو مما قاساه من آلام الضرب والتعذيب . وكشف عن ساقيه ليظهر العصائب والجراح وصرخ : المتهم بريء . كل ما قلته قبلاً زور وبهتان لقنني اياه المعذبون ، واجبروني على تلاوته . استغيث بالله وبمولانا السلطان ! وكرر الاستغاثة مراراً .

عند ذلك طلب فارس بالحاح ان يدونوا كل هذه الاقوال بحروفها . وبعد اخذ ورد دون الكاتب ما جرى وصادق الشاهـد عليه فامر الرئيس بخروج فارس وبقي الشاهد في المحكمة . ثم استدعوا فارساً ، وقال له الرئيس :

« اسمع الشهادة التي اداها الشاهد في غيابك » واذا بالشاهد يقول : « بما انه اتاني اشخاص مجهولون من قبل المتهم ، وهددوني بالقتل اذا انا شهدت عليه ، لذلك لم اجسر بان ابوح بمعلوماتي . واما الان وقد امنني الرئيس على حياتي فانني اعود الى التصريح بان ما قلته سابقاً هو الحق » ثم اخذوا يستجوبونه فقرة فقرة وهو يؤيدها . وعندما انتهى سئل فارس عما يقول فأجاب :

« يا سعادة الرئيس . انني اعجب كيف يوافق المدعي العام على هذه الاجراآت الكيفية . وهو يعلم ان ديوان الحرب مأمور بتطبيق قانون اصول المحاكمات الجزائية في القضايا المحالة عليه . فاختلاؤكم بالشاهد وتلقينه هذه الاقوال يخل بسلامة المحاكمة ، ويمنع العدل من اخذ مجراه . ان هذا الشاهد مـا زال سجينكم والاختلاط بالناس

ممنوع عليه . فمن اتى الى سجنه وهدده؟ وانا ليس لي من يهدد ويتوعد ولا التجيء الا الى القانون والعدل لحماية حقوقي . ولهذا الشاهد دين يعصمه وضمير يمنعه . وقد سمعت المحققين يقولون له انه اذا رجع عن شهادته يسجن سنوات . فهم كذبوا عليه واخافوه بهذا الوعيد الملفق . لان الشهادة المعتبرة هي التي تسرد امام المحكمة فقط . وجميع الافادات السابقة تحت الضرب والتعذيب لا قيمة لها ولا عقوبة على صاحبها اذا هو رجع عنها الى الشهادة الصحيحة. فاطلب امام المدعي العام ان يطمئن هذا الشاهد بهذه الحقائق » . واندفع فارس في خطاب طويل مؤثر ايقظ فيه ضمير الشاهد الغافل فكان لكلامه تأثير حاسم عليه حتى صاح : الى متى عذابي؟ دخيل الله ودخيل السلطان! والله العظيم كله كذب وهذا الرجل بريء لم يفعل شيء . اعيدوني الى السجن . اشنقوني هذا كل ما عندي ، واخذ يشهق ويبكي .

وهنا ايضا أخرج فارس الى غرفة اخرى واختلت المحكمة بالشاهد ثم دعي فارس لسماع شهادته للمرة الثالثة . وقد منع فارس هذه المرة من التكلم باللغة العربية واصر عليه الرئيس انه يجب ان يتكلم بالتركية فقط لكي لا يفهم الشاهد ما يقول . فاصر على التكلم باللغتين العربية والتركية . ليفهم الشاهد اولاً والمحكمة ثانياً . كذلك منع فارس من النظر الى وجه الشاهد لان نظراته ساحرة تؤثر فيه تأثير التنويم المغناطيسي . فقال باسماً « يا سبحان الله! اتخيفه نظراتي اكثر مما تخيفه سجونكم وجنودكم وجلادوكم وسياطكم؟ » والقى فارس دفاعا دام اكثر من ساعة ونصف قبل ان يعطى الكلام للشاهد . وقد اعاد هذا سيرته الاولى واخذ يستغيث ويسترحم وامتنع عن الكلام عدا قوله : « لا اعرف » مشفوعا بالاستغاثة. ولما يئسوا منه صرفوه الى السجن وكذلك عاد فارس الى سجنه والحال لا تزال على هذا الغموض .

تبرئة فارس وابعاده : كان يدخل على فارس من وقت الى آخر في ساعات الانتظار ثاقب بك احد اعضاء المحكمة ويطلعه على شيء من ماجريات المحاكمة . وقد اكد له انه اتفق مع اثنين من الاعضاء على تبرئته مهما كان الامر . وانهم لن يصغوا للايعازات الواردة من فوق (من جمال باشا) لكنهم يماشون الرئيس خوفاً من

ان يأمر بتبديلهم فتضيع الغاية التي يتوخونها .

سمع فارس ذلك فسر كثيراً وشكر لثاقب بك نبله الذي طمأنه ونزع الروع من قلبه . ولما عاد الى السجن طلب ورقاً وكتب الى جمال باشا عريضة سرد فيها كل ما وقع من المخالفات والاساءات في استنطاق الشهود وضمنهـا النصوص القانونية . وطلب الى الباشا ان يستعمل سلطته القانونية لاعادة العدل الى نصابه . وقد جعل كل ذلك بعبارات ترضى الباشا وتثير في نفسه عزته واباءه . وارسل العريضة مع حسني بك محافظ السجن . وقد عاد هذا واخبره ان الباشا مستاء من هذه المعاملة وانــه استدعى رئيس المحكمة والمدعي العام والقى عليهما درساً جارحاً . حتى ان الرئيس صار يأذن بعد ذلك لفارس مـازحاً « ان ينوّم » الشاهد مغناطيسياً بنظراته قبل استجوابه. وكان دفاع فارس موفقاً في كل مرة باعادة الشهود الى الهدى بعد الضلال.

اما عبد الغني الرافعي فقد اصر على ان افادته الاولى هي الصحيحة . عند ذلك ابرز فارس الورقة التي كان قد كتبها له مع ترجمتها الى اللغة التركية . فاعترف الشاهد بها ووجم . وترك لفارس فرصة في تفنيد اقواله الكاذبة عنه وعن شكري باشا وعن سائر المتهمين .

وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩١٧ مثل فارس ورفاقه امام المحكمة وسمعوا بيان المدعي العام بتجريم قسم منهم . فدافع كل عن نفسه باقصى قدرته واعلن الرئيس ختـام المحاكمة وفي اليوم التالي ابلغ فارس قرار المحكمة ببراءته واطلاق سراحه . وهكذا خرج من السجن بعد ان كاد الارهاب الذي اقامه جمال باشا يودي بحياته. وكان اعتقال فارس في هذا العهد الارهابي اول حادث عرف فيه الظلم ومرارة السجن ولكنه لم يكن اخر حادث كما سنرى في عهد الانتداب الافرنسي ۰ وكان فوزه بالتبرئة بمجرد الدفاع القانوني دون اية واسطة ابدع ما كتب من السطور في كل حياته .

بعد ان غادر فارس السجن ببضعة شهور استدعاه جمال باشا وامره بالخروج من منطقة الجيش الرابع ۰ فاختار الذهاب الى استانبول فاجابه الباشا : « ولكن استانبول لا تكون منفى » واخيرا قبل على ان لا يذكره فارس بسوء ۰ وغادر فارس دمشق وعاد اليها، وامبراطورية آل عثمان تحتضر، في ايلول ١٩١٨ .

كان فارس يشعر بشعور اخوانه المسجونين والمعذبين ٠ وقد اثاره اعدام الشهداء في ٦ ايار فنظم قصيدة تزيد ابياتها على الستين رثاهم فيها وبكاهم بدمع سخين فقال :

ابكي ومعذرة عيني اذا ذرفت ... على المطاريف منا والاساطين
على الشيوخ على رهط الفتوة بل ... على الليوث على الغر الميامين
قد عابهم بقضاء الترك انهم ... اصحاب قلب بحب العرب مفتون
ضحوا بهم واسروهم الى حفر ... في الرمل من غير تكفين وتلقين
رب التتار اله الظلم ما نظرت ... عيناه اشرف من تلك القرابين

ثم يندد بالمأجورين الذين عفروا وجوههم على اقدام الطاغية جمال باشا فيقول :

قل للاولى عفروا حر الوجوه على ... اقدام طاغية دامي السكاكين
ومنهم الشاعر المطبوع علمهم ... حني الرؤوس لدى تمثال تنين
وكل من حملوا الاقلام واندفعوا ... جرياً الى السبق في تلك الميادين
ماذا دهاكم وفيكم اهل منزلة ... حتى اشدتم بتمداح الملاعين
هل سركم صلبهم احرار امتكم ... ام راقكم هتك اعراض الحواتين
فاستهدفوا لنبال الذم دامية ... وراقبوا يوم تحرير الموازين

الفصل الرابع

فارس في حكومة الملك فيصل
١٩٢٠

اعلان ملكية فيصل : عاد فارس من استانبول في ٢٤ ايلول ١٩١٨ وكانت قوات الحلفاء تقترب من ضواحي دمشق . وفي ٣٠ ايلول غادرت القوات التركية المدينة وكان على رأسها جمال باشا المرسيني المعروف بجمال باشا الصغير . واشترك فارس برفع العلم العربي على دار الحكومة بدمشق وكان معه شكري باشا الايوبي والامير سعيد الجزائري وعدد من الشخصيات . وفي اول تشرين الاول دخلت القوات العربية وجيوش الحلفاء دمشق وكان الامير فيصل على رأس الجيش العربي . وتشكلت حكومة عسكرية دامت حتى ٤ آب ١٩١٩ يرأسها الفريق رضا باشا الركابي وهو من قواد الجيش العثماني ومن ابناء دمشق . وكانت هذه الحكومة تعمل تحت اشراف الامير فيصل قائد الجيوش الشمالية ، وممثل والده الملك حسين ، وتحت قيادة الجنرال اللنبي القائد العام لقوات الحلفاء . وتلت هذه الحكومة (التي شملت سورية الداخلية اي ولايتي سورية وحلب السابقتين) حكومة مجلس المديرين ودامت حتى اعلان ملكية فيصل في ٨ اذار ١٩٢٠ . وكان الامير فيصل رئيس مجلس المديرين واصبح وكيله الامير زيد في اواخر هذا الدور . اما المدراء العامون الذين كانوا يقومون مقام الوزراء ويشتركون في تقرير سياسة البلاد ، فكانوا اسكندر عمون للعدلية ، ورشيد طليع للداخلية ، وساطع الحصري للمعارف ، وسعيد شقير – ثم تلاه احمد حلمي – للمالية ، وياسين الهاشمي – وتلاه يوسف العظمه ثم رضا الركابي للحربية ، وجبرائيل حداد للامن العام . ومنذ ان دخلت القوات العربية

دمشق توجه شكري باشا الايوبي الى بيروت لتأسيس حكومة عربية ورفع العلم العربي على دار الحكومة . وتوجه الى بعبدا واعلن اعادة امتيازات جبل لبنان . وعين حبيب باشا السعد حاكما على جبل لبنان . ولكنه اضطر للعودة بعد ايام عندما بدأت جيوش فرنسا منذ ٨ تشرين الاول باحتلال الساحل حسب خطة مدبرة . وذلك ان القيادة العليا البريطانية قسمت سورية الطبيعية الى مناطق عسكرية ثلاث وهي المنطقة الشرقية اي سورية الداخلية بقيادة عربية ، والمنطقة الغربية اي الساحل بقيادة افرنسية ، والمنطقة الجنوبية (اي فلسطين) بقيادة انكليزية .

دخل العرب في طور سياسي جديد بعد زوال الحكم العثماني ووجدوا انفسهم امام معاهدة سايكس بيكو ، التي كانت قد وقعت سراً في القاهرة في ١٦ ايار ١٩١٦ واقتسمت انكلترا وفرنسا مناطق النفوذ في البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية . كما وجدوا انفسهم امام وعد بلفور الذي قطعته انكلترا لليهود في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ . وكان على العرب في سورية والعراق ان يدافعوا عن قضيتهم وان يجاهدوا لنيل استقلالهم ولتحقيق الوعود التي اعطاهم اياها الحلفاء . وقد رافق فارس الخوري القضية العربية في جميع مراحلها . وكان من رجالها البارزين حتى ان تاريخ حياته اصبح قسما من تاريخ العرب الحديث . وعندما قامت الحكومة العسكرية في الدور الاول بتنظيم الدوائر ، وباحداث المصالح المختلفة ، قام فارس يقترح على فيصل تأسيس مجلس شورى يتمتع بصلاحية تشريعية . ذلك ان الدوائر كانت تتلقى اوامرها وقوانينها قبلاً من الاستانة فلما انقطعت الصلة وجب على الحكومة العربية ان تحدث المصالح اللازمة ومن جملتها مجلس الشورى الذي اصبح فارس احد اعضائه . كذلك سعى فارس مع اخوانه في تأسيس معهد الحقوق العربي وفتح المعهد ابوابه في ايلول ١٩١٩ برئاسة عبد اللطيف صلاح وكان فارس احد اساتذته . وجرت التعيينات والتشكيلات بسرعة في دوائر الدولة . واصبحت العربية لغة البلاد الرسمية . واستحدثت الدولة دروسا للموظفين لتعليمهم الانشاء العربي . واوجدت المصطلحات العربية اللازمة .

في هذه الفترة نفسها أُسسَ المجمع العلمي العربي في دمشق . وكانت الهيئة المؤسسة بتاريخ ٣٠ تموز ١٩١٩ مؤلفة من محمد كرد علي وفارس الخوري وعبد القادر

المغربي وانيس سلوم وسعيد الكرمي واسكندر المعلوف وعبد القادر المبارك ومرشد خاطر وأمين سويد ورشيد بقدونس وسليم عنحوري وعز الدين علم الدين.
وقد سمي محمد كرد علي رئيسا المجمع في اول نيسان ١٩٢٢ وكان قبلا رئيساً فخرياً (جريدة العاصمة في دمشق عدد ٢٤١ عام ١٩٢٢).

كان الوضع في سورية حتى اعلان الاستقلال ومبايعة فيصل في ٨ اذار ١٩٢٠ وضعاً غريباً. فالحكومة السورية حتى ذلك العهد كانت ادارة عسكرية وعندما تألفت حكومة المديرين في ١٤ اب ١٩١٩ احتج الجنرال اللنبي بان ذلك يعني تأليف حكومة مدنية. وقد رغب السوريون في الاستقلال وكلفوا الامير فيصل بالدفاع عن قضيتهم وقضية العرب عامة منذ ان حكم البلاد السورية. ولكن فرنسا كانت ترغب في احتلال البلاد وفي بسط نفوذها عليها وحكمها. واضطرت انكلترا التأييدها في ذلك لقاء موافقة فرنسا على رغبات الانكليز ومشاريعهم الاستعمارية. ولقد دافع الامير فيصل في مؤتمر الصلح عن حقوق العرب واماتيهم بعد ان غادر سورية للمرة الاولى في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨. وكان متفائلا لا سيما وان الرئيس ولسن قال له في مؤتمر الصلح: « اذا كان الشعب يطلب الاستقلال حقا فانا لا اسمح لدولة من الدول ان تسيطر على سورية ابدا » وبالفعل ارسل لجنة كرين لاستفتاء الشعب السوري. وعاد فيصل الى سورية في ٣٠ نيسان ١٩١٩ وبعد شهر ونيف (٧ حزيران) اجتمع المؤتمر السوري في دمشق لبيان رأيه في قضية الامة، وفي نوع الحكم الذي تختاره، ولتقديم مطاليبها الى لجنة كرين القادمة. وكان المؤتمر يضم ممثلين عن جميع مناطق سورية الطبيعية. ووصلت لجنة كرين في ١٠ حزيران وبعد ان اقامت نحو شهر ونصف، واطلعت على رغائب السوريين في الاستقلال، رفعت تقريرها الى وفد الولايات المتحدة في مؤتمر الصلح. واستاءت فرنسا من نتائج استفتاء لجنة كرين وطالبت انكلترا بتنفيذ العهود المعقودة بين الدولتين بشأن سورية. واضطر فيصل ان يذهب ثانية الى اوروبا في ١٣ ايلول ١٩١٩، لمفاوضة الحلفاء. ولكنه قبل ان يصل كانت اتفقت انكلترا مع فرنسا (١٥ ايلول) على اخلاء المنطقتين الشرقية والغربية بحيث تحتل فرنسا قسما من المنطقة الشرقية، وتصبح صاحبة الشأن في المناطق التي اختصت بها في معاهدة سايكس بيكو. وتوجه فيصل الى باريس فوضع اسس

الاتفاق المعروف مع كليمنصو ، بينما كانت الاحوال تزداد اضطرابا في سورية . وعاد الى دمشق في منتصف كانون الثاني ١٩٢٠ وعرض مشروع الاتفاق مع كليمنصو على البلاد ، فرفضته وهو مقتنع ان فرنسا لا يمكن ان تعطي اكثر من ذلك كما انه لا يمكنه الاعتماد على انكلترا .

كان فيصل يشعر بحراجة الموقف بعد عودته الثانية من اوروبا . وقد عبر عن ذلك في خطابه في النادي العربي بدمشق في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠ بقوله : « نحن في موقف حرج يجب ان لا نحتقر فيه الامم ... يجب ان نحترم كل امة وكل حكومة متى احترمت بلادنا واستقلالنا ومنافعنا ... » ولكنه مع عدم اطمئنانه لموقف الدول اتجه نحو مسايرة رغبات المؤتمر السوري . ولقد خطب فيه في ٦ اذار والقى خطبته كاتبه الخاص عوني عبد الهادي : « ان وظيفتكم اليوم خطيرة ومهمتكم كبيرة . فاوروبا تنظر الينا عن كثب وستحكم لنا او علينا بالنسبة الى الخطة التي سنسير عليها والاعمال التي سنقوم بها في المستقبل . فدولتنا الجديدة التي قام اساسها على وطنية ابنائها الكرام هي في حاجة اليوم الى تقرير شكلها اولا ووضع دستور لها يعين لكل منا حقوقه ووظائفه في حياتنا المستقبلة . »

في هذه الظروف يتحدث فيصل الى فارس بامر الاستقلال والمبايعة له بالملكية . فيجيبه فارس ان هذه امنية كل سوري . انما يجب الاعتماد على دولة كبرى على الاقل تعترف بهذا الاستقلال وبالملكية . على ان فيصلا قبل قرار المؤتمر السوري الذي اعلن في ٧ اذار ١٩٢٠ استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية ورفض الهجرة الصهيونية والمناداة بفيصل ملكا عليها على الاساس النيابي الدستوري وابقاء المؤتمر منعقدا يراقب اعمال الحكومة المسؤولة امامه الى ان يجتمع مجلس النواب بموجب القانون الاساسي . وفي ٨ اذار نادى المؤتمر السوري بالامير فيصل ملكا على سورية . وتلي القرار من شرفة البلدية على الشعب المحتشد في ساحة الشهداء .

ربما كان فيصل يرى ان الدول الكبرى تسلم بالامر الواقع بعد اعلان الاستقلال والمناداة بالملكية بناء على ان السوريين يبايعونه . ولكن الحلفاء لم يعترفوا بهذا الاستقلال . وانما كانوا يعتبرون فيصلا اميرا هاشميا يدير البلاد بصفته قائد الجيوش

الشمالية . وقد سئل فارس عما اذا كانوا استشاروا الانكليز بالامر قبل اعلان الملكية فاجاب : « خاطبناهم بذلك فقالوا نحن لا نقاومكم ولكن الامر على مسؤوليتكم . »

فارس في وزارة سورية المستقلة : قدم الامير زيد وكيل رئيس مجلس المديرين استقالته في نفس اليوم الذي اصبح فيه فيصل ملكاً على سورية . وقبل رضا باشا الركابي بتشكيل الوزارة في يوم ٨ اذار فشكلها على الوجه التالي : علاء الدين الدروبي لرئاسة مجلس الشورى ، رضا الصلح للداخلية ، سعيد الحسيني للخارجية · ويديرها بالوكالة عنه عوني عبد الهادي ، اللواء عبد الحميد القلطقجي للحربية ؛ فارس الخوري للمالية ، جلال زهدي للعدلية (وكانت تسمى الحقانية) ، ساطع الحصري للمعارف ، يوسف الحكيم للتجارة والزراعة والنافعة . تلك كانت اول وزارة في عهد الاستقلال . على ان ذلك الاستقلال لم يوافق مصالح فرنسا التي امتعضت من قرار المؤتمر السوري . ولذلك انعقد المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو في ايطاليا بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠ ، ووزع الانتدابات على البلاد العربية بين الدول الطامعة بالحكم بحيث تصبح فلسطين والعراق تحت انتداب انكلترا ، وسورية تحت انتداب فرنسا .

ادت قرارات مؤتمر سان ريمو الى ازمة وزارية في سورية · فاستقال رضا الركابي في ٣ ايار وكلف الملك فيصل هاشم الاتاسي بتأليف الوزارة فألفها بحيث احتفظ لنفسه بوزارة الداخلية · ثم سلمها لعلاء الدين الدروبي · واصبح رضا الصلح رئيسا لمجلس الشورى ، ويوسف العظمه وزيرا للحربية ، وعبد الرحمن الشهبندر وزيرا للخارجية ، وجورج رزق الله وزيرا للنافعة ، انما يأتي مكانه يوسف الحكيم فيها بعد · اما سائر الوزراء وهم فارس الخوري وساطع الحصري وجلال زهدي فقد احتفظوا بوزاراتهم السابقة ·

كان الجنرال غورو ، الذي ارسلته فرنسا كمفوض سام في سورية منذ اواخر عام ١٩١٩ ، يعزز جيشه في الساحل ويستعد لاحتلال ما بقي من سورية خلال الاشهر التي انقضت بعد مؤتمر سان ريمو · وكانت الاحوال تزداد اضطرابا ، ومناورات الافرنسيين تزداد· وقد رغب الملك فيصل في السفر الى اوروبا لاستئناف المباحثات

السياسية ، خاصة بعد اعلان مقررات سان ريمو ولكن غورو منع سفره . ووقف يوسف العظمه في ١٣ تموز ١٩٢٠ في المؤتمر السوري واعلن انه « بينما كان الملك فيصل يستعد للسفر الى اوروبا مع وفد لانهاء المفاوضات ، اراد غورو ان يعرقل سفر جلالته ويمنعه وقال لموفدنا انه يريد ان يطلب بعض الشروط » ، والواقع انه في يوم ١٤ تموز ارسل غورو مذكرة الى الحكومة السورية يطلب فيها الامور الخمسة المعروفة وهي : « اعطاء الخط الحديدي من رياق الى حلب لفرنسا ، وقبول الانتداب الفرنسي ، والغاء التجنيد الاجباري ، وتسريح الجيش ، وقبول التعامل بالعملة الورقية السورية ، ومعاقبة العصابات والاشقياء » . وكان موعد انتهاء مدة الانذار في ١٨ تموز ، ولكن الموعد مدد حتى ٢٠ تموز . وقد قررت الوزارة قبول شروط الانذار في عصر اليوم العشرين من تموز وارسلت برقية بذلك الى غورو ، واتخذت الاجراآت اللازمة لتنفيذ قرارها ومن جملتها اصدار الاوامر اللازمة لتسريح الجيش ، وقد فعلت ذلك وهي تعلم ان الجنرال غورو سوف لا يتردد في احتلال سورية اذا رفضت الشروط فكان عمل الوزراء عبارة عن اختيار اخف الشرين والاحتفاظ باعظم ما يمكن الاحتفاظ به من الاستقلال . وبعد ان اتخذت الوزارة قرارها قال فارس : « لا شك في اننا قمنا بما يقتضيه الواجب وتقتضيه مصلحة البلاد . ولكن الشعب لن يقدر ذلك وسيزعم باننا اضعنا عليه فرصة الانتصار وسيكون هنالك من يقول دائما : ليتهم كانوا رفضوا الانذار واختاروا الحرب والنضال »[1] . ولكن عبد الرحمن الشهبندر اجاب : « كلا ان الشعب سيقدر ذلك حتماً ، عاجلاً او آجلاً . وسيفهم باننا خلصناه من ورطة كبيرة جدا . وسيدرك باننا بعملنا هذا دخلنا في عداد من يستحقون كل تقدير » .

كان فارس مصيبا عندما قال ان الشعب لن يقدر عمل الوزارة . فقد اثار قرار الحكومة هياج الرأي العام . لان الناس كانوا يجهلون الاسباب التي حملت الحكومة على قبول الشروط ، بينما اصحاب الشأن كانوا يعلمون حقيقة الموقف ، وضعف

---

(١) راجع بشأن هذه التفاصيل كتاب ساطع الحصري «يوم ميسلون» بيروت ١٩٤٨ ص ١١٢ وما يليها .

استعدادهم لمجابهة الافرنسيين ، وقد ادرك ياسين الهاشمي الذي عين لرئاسة اركان جبهة مجدل عنجر ان الجيش لا يمكنه الدفــاع عن البلاد ، وكانت المظاهرات تنادي بالشوارع بسقوط الوزارة ولم يعلم المتظـاهرون ان كتاب الانذار يطلب تغيير الحكومة وان قبول الانذار يعني قبول التخلي عن الحكم ٠

ادعى الافرنسيون ان برقية الحكومة بقبول شروط الانذار قد تأخر وصولها بسبب انقطاع الاسلاك في جهات سرغايا ، لذلك اصدر غورو الامر بالزحف واخذت الجيوش الافرنسية تصعد اكمات مجدل عنجر وتدخل وادي الحرير دون مقاومة لان الجيش مسرح ٠ عند ذلك اوفدت الحكومة ساطع الحصري وجميل الالشي الى عاليه لمقابلة غورو وعقد هدنة غير ان غورو الذي قبل بعقد هدنة حتى مساء ٢٣ تموز طلب ضمانات وشروطا جديدة لتنفيذ الشروط القديمة ٠ وعاد ساطع الحصري فاطلع الحكومة على حقيقة نوايا الافرنسيين وهي لا تقل عن احتلال البلاد السورية ، وبينما كانت الحكومة تدرس هذه الشروط الجديدة واجمة ، اذا ببرقية من غورو تطلب السماح بالتقدم الى ميسلون نظراً لقلة الماء حيث الفرق موجودة ٠ عند ذلك ارسلت الحكومة برقيات الى الدول بطلب المساعدة كما انها اجابت على شروط غورو الجديدة في مساء ٢٣ تموز بقولها : « اننا نأبى الحرب ولكن الشروط الواردة في مذكرتكم الاخيرة تعرضنا لا محالة الى حرب اهلية ٠ اننا مستعدون لتنفيذ انذار ١٤ تموز بحذافيره ونفذنا اربعة شروط حتى الآن ونتعهد بتنفيذه باخلاص اذا انسحب الجيش الفرنسي عن الاماكن التي احتلها مؤخرا »٠

كان الافرنسيون مصممين على احتلال البلاد ولذلك لم ينفع جواب الوزارة السورية شيئا ٠ فقد بدأت حركة للدفاع عن البلاد ٠ فغادر يوسف العظمه وزير الحربية دمشق بعد العشاء في ٢٣ تموز قائلا : « انني اترك ابنتي ليلى امانة لديكم ارجوكم ان لا تنسوها . . . » واتجه نحو ميسلون . وقد وطد العزم انه لا يعود من الجبهة حيا . وحصلت معركة ميسلون في ٢٤ تموز ، فدامت نحو اربع ساعات استشهد فيها يوسف العظمه محافظا على شرفه العسكري ومظهرا بطولة خالدة . وانتهت المعركة بعودة فلول الجيش العربي الى دمشق . اما الوزارة فقد قررت الانتقال الى الكسوة جنوبي دمشق بالقطار ، وكان فيصل لا يزال متفائلا ويريد التفاهم مع الفرنسيين حتى بعد ان

علم بخبر ميسلون وبدخول الفرنسيين الى دمشق على اثرها .

عهد الملك فيصل الى علاء الدين الدروبي بتاليف وزارة تضمن التفاهم مع الافرنسيين ولكن هذه التضحية لم تجد نفعا . وقد شكل الدروبي الوزارة في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ وادخل فيها ثلاثة من الوزراء السابقين وهم فارس الخوري وجلال زهدي ويوسف الحكيم ، واحتفظ لنفسه بوزارة الخارجية واضاف اربعة وزراء جدد هم جميل الالشي للحربية ، وعطا الايوبي للداخلية ، وبديع المؤيد للمعارف ، وعبد الرحمن اليوسف لرئاسة مجلس الشورى ، غير ان نوايا الافرنسيين عادت فظهرت اذ علم احسان الجابري كبير الامناء انهم قرروا انهاء العهد الفيصلي . والقى الجنرال غوابيه ، الذي كان على راس الجيش الافرنسي المحتل ، بياناً على هيئة الوزارة قال فيه : « ان الامير فيصل قد اشرف ببلاده على قيد اصبعين من الهلاك »(١) وجعل مسؤولية الاضطرابات على عاتق فيصل ، وقال انه لا يمكن استمرار حكمه في البلاد بعد الان . وكان فيصل قد عاد من الكسوة الى دمشق . فاحتج على هذه الاتهامات . ولم يلبث ان اتاه كتاب باسم حكومة فرنسا يدعوه الى مغادرة البلاد في ٢٨ تموز ، فلم يجد بداً من مغادرة دمشق الى درعا ومن هناك اتجه نحو حيفا في اول آب بعد ان التف حوله شيوخ حوران مما اقلق الافرنسيين ، فانذروا اهل حوران بضربهم بالقنابل ان لم يغادرها في غضون عشر ساعات ، فغادرها حقنا للدماء وتوجه نحو اوروبا حيث تابع جهوده في القضية العربية ولم تمض سنة حتى كان ملكا على العراق .

هكذا انتهى عهد الاستقلال الاول في زمن فيصل بسبب اصرار فرنسا على حكم سورية وتفاهمها في ذلك مع الانكليز . وكان فارس طيلة هذه المدة وزيراً للمالية ومقربا من الملك فيصل ، وقد ادرك منذ البدء ان هذا الاستقلال وملكية فيصل في خطر ما لم تؤيدهما دولة كبرى ، والدولتان الكبيرتان صاحبتا الشأن كانتا متفقتين على تنفيذ مشاريعهما الاستعمارية في البلاد العربية . لذلك كان لابد من فتح صفحة الجهاد الكبرى التي انتهت اخيرا بالاستقلال السوري بعد ربع قرن .

---

(١) راجع مجلة العاصمة بدمشق ، لشهر تموز ١٩٢٠

الفصل الخامس

جهاده في عهد الانتداب الفرنسي

١٩٢٠ - ١٩٣٦

جميعهم رحلوا ونحن باقون : كانت وزارة علاء الدين الدروبي في الحكم عندما اتى الجنرال غورو لزيارة دمشق في ٧ آب سنة ١٩٢٠ ، اي بعد دخول الافرنسيين بنحو اسبوعين . واقيمت مأدبة في قصر المهاجرين (قصر رئاسة الجمهورية اليوم) حضرها الوزراء وبينهم فارس الخوري وعدد كبير من وجهاء دمشق . واخذ غورو يمتدح منظر دمشق وغوطتها اثناء الطعام . ثم اجال نظره في القاعة التي هم فيها . وكأنه اراد التهكم والاستخفاف بالملك فيصل فقال : اهذا هو القصر الذي كان يسكنه الملك فيصل ؟ فاجابه فارس : « نعم يا صاحب الفخامة . هذا هو القصر الذي سكنه الملك فيصل وقد بناه والٍ عثماني اسمه ناظم باشا . ثم حل فيه جمال باشا ، ثم الجنرال اللنبي . ثم فيصل ، والآن تحلونه فخامتكم ، وجميع الذين ذكرتهم



فارس الخوري في اوائل عهد الانتداب

«كلنا معهم في نفس القاعة وكلهم رحلوا وبقي القصر وبقينا نحن». سمع غورو هذه العبارة فصمت لان عبارة مثل هذه ليس لها جواب، وكذلك وجم كل من كان حول المائدة ولم ينطق احد بكلمة حتى انتهاء المأدبة. وكان الشيخ تاج الدين الحسني حاضراً. فقال لفارس بعد الحفلة: «منذ هذا اليوم قد انتحرت ولن تقوم لك قائمة مع الفرنسيين». فيجيب فارس: «وانا ايضاً لم ارغب بان تقوم لي قائمة، وانما هي معركة قد ابتدأت وستنتهي فقط عندما يحصل ما ذكرت ويرحل الافرنسيون».

كان الافرنسيون يمهدون لاعلان استقلال لبنان (وقد اعلن رسمياً في اول ايلول سنة ١٩٢٠) فقطعوا علاقة الاقضية الاربعة حاصبيا وراشيا وبعلبك والبقاع بسورية واعتبروها تابعة لادارتهم في لبنان فقامت الوزارة تحتج على هذا العمل في ٩ آب وكان فارس لا يزال في وزارة المالية. وكانت الحالة مضطربة في منطقة حوران منذ ان غادرها فيصل بعد ان استهتر به الافرنسيون وارغموه على مغادرة درعا. كذلك استاء الحورانيون من الحكم الافرنسي وتهددوا. فاشار مندوب المفوض السامي على رئيس الوزراء ان يذهب الى حوران ومعه وزراؤه لتهدئة الحالة. وقد قبل الدروبي بذلك ولكن وزير ماليته فارس رفض ان يصحبه كما انه نصحه بان لا يذهب. وكرر عليه النصح لما علم من شدة نقمة الحورانيين. كذلك لم يتمكن بعض الوزراء من الذهاب الا ما كان من امر عبدالرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى وعطا الايوبي وزير الداخلية فقد رافقا رئيس الوزارة. وكان هذا طيب القلب سليم النية حسن الظن. فرأى انه ينجح في مهمته. ولكن عندما بلغ القطار به وبوزيريه محطة خربه الغزالة، في طريق درعا، هاجمهم الحورانيون وانزلوهم من القطار وقتلوا الدروبي واليوسف في ٣١ آب سنة ١٩٢٠ ونجا الايوبي باعجوبة. وتشكلت وزارة جديدة بعد مقتل الدروبي واصبح رئيسها جميل الالشي فلم يدخلها فارس. وكان وزراؤها: عطا الايوبي للداخلية وحمدي النصر المالية، وبديع المؤيد للعدلية، ومحمد كرد علي للمعارف، وشاكر القيم للنافعة والتجارة والزراعة، وحقي العظم لرئاسة مجلس الشورى. منذ ذلك الحين لم يشغل فارس وزارة ولا رئاسة في ظل الانتداب حتى توقيع معاهدة ١٩٣٦ مع استثناء فترة شهر ونيف في عام ١٩٢٦ حيث كان وزيرا للمعارف كما سنرى.

خدماته الوطنية في مشروع الفيجة وفي نقابة المحامين : كان نشاط فارس في عهد الانتداب عظيما ومتعدد النواحي . وكانت خدماته الوطنية جليلة ومفيدة . فقد كان استاذا في معهد الحقوق منذ عام ١٩١٩ وبقي في كرسيه حتى عام ١٩٤٠ مع انقطاع قليل . ووضع في هذه المدة كتابيه في علم المالية وفي اصول المحاكمات الحقوقية ، كما وضع كتاب صك الجزاء . واوجد في هذه الكتب التعابير العربية المناسبة حتى اصبحت مراجع هامة في دراسة الحقوق باللغة العربية . كذلك كان ولا يزال عضوا في المجمع العلمي العربي منذ ١٩١٩ . وكان يخطب ويكتب ويحاضر في مختلف المواضيع الحقوقية والوطنية .

وكانت فرنسا قد بدأت عهد انتدابها على سورية بتجزئة البلاد الى دويلات : وهي دولة لبنان الكبير ، ودولة دمشق ، ودولة حلب ، وحكومة العلويين ، وحكومة جبل الدروز ، ولواء الاسكندرون المستقل اداريا وماليا . وتصرف الجنرال غورو بسورية كما لو كانت مستعمرة . ووضع على ثلاث من دويلاتها حكاما افرنسيين وذلك قبل اقرار صك الانتداب من قبل مجلس جمعية الامم . وقد اقر صك الانتداب هذا في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ .

كان حقي العظم رئيس دولة دمشق حين فكر الافرنسيون في ١٩٢١ في مشروع جر المياه الى دمشق ، وفي اعطاء امتياز هذا المشروع الى شركة افرنسية . وكان فارس الخوري مشاورا حقوقيا للبلدية منذ عام ١٩٢٠ حين تقدم الافرنسيون بهذا المشروع . كانت دمشق تشرب من نهر بردى وجداوله وكان سكانها يتعرضون للامراض بسبب عدم نقاوة المياه . ولذلك تقرر مبدئيا جر مياه عين الفيجة النقية وهي من اهم منابع نهر بردى الى دمشق . واقترح رجال السلطة الافرنسية اعطاء امتياز هذه العملية لشركة افرنسية . وعرض مستشار البلدية الافرنسي مشروع الامتياز وشروطه على رئيس البلدية لاجل الموافقة عليه ، وكان يحيى الصواف رئيس البلدية حينذاك . فأستأذن المستشار برفع المشروع الى المجلس البلدي لمناقشته ، وكانت جميع دوائر الدولة قد وافقت عليه . فتقدم رئيس البلدية من فارس الخوري وطلب اليه دراسة المشروع وترك الاوراق المتعلقة به بين يديه . وتبين لفارس ان شروط

الامتياز تضر بمصلحة السكان . وكتب اعتراضاته عليها واقترح تأسيس مشروع وطني تكون فيه المياه ملكا للامة فيبدأون بتوزيع المياه على خمسة آلاف منزل ويدفع كل منزل ثلاثين ليرة ذهبا وتشرف على المشروع هيئة وطنية . وانهى دراسته بوجوب رد المشروع . وكانت النتيجة ان اجتمع المجلس البلدي ، ورفض المشروع الافرنسي . واعيدت الاوراق الى المستشار . فغضب جدا خصوصا وقد كتب فارس مطالعاته على ظهر الاوراق المقدمة . وقد كتبها عمدا لكي يعطل مشروع الامتياز الاجنبي .

اجتمعت بعد مدة لجنة من تجار دمشق واغنيائها ورغبت في تأسيس شركة تجارية لتوزيع المياه . ولكن معارضة فارس كانت شديدة لانه لم يشأ ان تكون الشركة استثمارية بل عمومية ولذلك اسرع في اليوم التالي وعرض على اللجنة مشروعا وطنيا مفصلا لجر المياه على اساس تمليك الماء للمباني حيث يصبح من الحقوق الاساسية في العقار . ويجري الاكتتاب الاهلي لشراء الماء ، فوافق المجتمعون على المشروع ، وتشكلت لجنة للحصول على الامتياز باسم مدينة دمشق عضواها لطفي الحفار وعارف الحلبوني . وتألفت لجنة تأسيسية من اعضائها فارس . وقد قاوم الافرنسيون مسعى اللجنة ولكنها اخيرا نجحت . ونال مشروعها الموافقة في شباط سنة ١٩٢٤ . وانتهت عمليات جر المياه الى دمشق بعد صعوبات كثيرة . ودشن المشروع في ٣ آب سنة ١٩٣٢ باحتفال رائع . واصبحت شركة مياه عين الفيجه مفخرة من مفاخر الجهود الوطنية في سورية . وقد اعجب كبار المهندسين بهذا المشروع الذي ليس له مثيل في العالم من حيث مبدأ تمليك المياه للمنازل وقد ابتكرته عبقرية فارس . ونسجت على منواله اماكن مختلفة فيما بعد . ونشرت مجلة غرفة التجارة في دمشق تفاصيل المشروع في نيسان سنة ١٩٢٢ وذكرت كيف غاب فارس يوما وعاد بمشروعه المفصل للمجتمعين في دمشق في اليوم التالي .

رأى الجنرال غورو ان يشكل اتحادا سوريا من دويلات حلب ودمشق والعلويين . فاصدر قراره في ٢٩ حزيران سنة ١٩٢٢ بانشاء الاتحاد السوري برئاسة صبحي بركات وبتشكيل مجلس لهذا الاتحاد يؤخذ اعضاؤه من ممثلي الدويلات الثلاث . فكان فارس احد نواب دولة دمشق في مجلس الاتحاد . وكان معه الشيخ طاهر الاتاسي ونجيب آغا

الحزازي ومحمد علي بك العابد وسامي باشا مردم بك . وعندما قرر المفوض السامي انشاء مجلس تمثيلي لكل دولة بصلاحيات محدودة؛ قاطعت دمشق انتخابات مجلسها واضربت فاقامت السلطة الافرنسية مجلسا من اعوانها . ولم يلبث الجنرال ويغان الذي خلف غورو ان الغى الاتحاد السوري وشكل دولة سورية في نهاية ١٩٢٤ من دولتي حلب ودمشق برئاسة صبحي بركات ؛ وفصل دولة العلويين عن الاتحاد . فاصبحت تحت ادارة حاكم افرنسي كما كانت الحال فيها سابقا وفي جبل الدروز . اما في لبنان فقد كان الحكم فيه لحاكم افرنسي ايضا حتى عام ١٩٢٦ حين اصدر المفوض السامي دستور ٢٣ ايار وتأسست بموجبه الجمهورية اللبنانية وانتخب شارل دباس رئيسا لها بعد ثلاثة ايام .

فارس وساراي : كان فارس طيلة هذه المدة نقيبا للمحامين في دمشق منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٢٦ . وفي مطلع عام ١٩٢٥ استبدل الجنرال ويغان بمفوض سام جديد اسمه الجنرال ساراي على اثر تغيير الحكم في فرنسا . وحدث في هذه الاثناء ان السلطة الافرنسية اقرت تأليف محاكم مختلطة في سورية . فقام فارس وهو على رأس نقابة المحامين يقاوم هذا المسعى لانه لا يأتلف مع المصلحة الوطنية ، ورفعت النقابة احتجاجا شديد اللهجة ضد قرار السلطة . وقررت مقاطعة هذه المحاكم ، فلا يدافع المحامون ولا يرافعون امام قاض اجنبي . فاستاء الجنرال ساراي استياء شديدا . واليك ماحدث على اثر ذلك :

وزع المندوب الافرنسي شوفلر بطاقات يدعو بها كبراء دمشق واعيانها لاكرام المفوض السامي القادم الى العاصمة في اوائل شباط سنة ١٩٢٥ وكان من جملة المدعوين فارس الخوري وبعض اعضاء النقابة . وصادف ذلك اليوم ان المحامين كانوا مضربين ضد المحاكم الاجنبية . ورأى فارس ان يلبي دعوة المندوب . فذهب للسلام على المفوض السامي ومعه سعيد الغزي وخير الدين القضماني . ودخلوا القاعة وكان الجنرال ساراي واقفا في وسطها يتحدث الى الذين كانوا حوله . فلما قُدِّم له فارس الخوري نقيب المحامين صاح باعلى صوته : « ما دمتم مضربين لا نستقبلكم ، انكم تقاطعون القضاء الاجنبي وترسلون الاحتجاجات فاخرجوا من هنا » . قال ذلك مشيرا بيده الى باب القاعة ليخرجوا كما دخلوا . حار فارس في امره ولكنه رأى ان الكرامة تقضي بعدم

خروجه فاجاب برصانة وحزم : « لقد اتينا الى هذا المكان بدعوة رسمية من مندوبك المسيو شوفلار للقيام بواجب السلام على ممثل دولة فرنسا . وليس من مجال الآن للبحث في الاضراب . واذا شئتم البحث ففي مناسبة اخرى . على انه لا يمكننا الخروج الآن ما لم نقم بالواجب الذي جئنا من اجله » . فصاح الجنرال ثانية وبحالة جنونية : « اذا كنتم لاتخرجون من هنا فانا اخرج » . فاجابه فارس: «ذلك لك فاخرج، اما نحن فاننا هنا بدعوة رسمية ولو انا غير مرغوب فينا فقد كان على مندوبكم الا يدعونا » . وترك الجنرال وقفز مسرعا الى قاعة اخرى واوصد الباب وراءه . عند ذلك التفت فارس الى الجمهور وقال : « لقد اتينا الى هنا بدعوة رسمية من المندوب المسيو شوفلار للقيام بالواجب نحو ممثل فرنسا . وبما ان فخامة الجنرال ابى قبول الكرامة وخرج من بيننا عابثاً باصول المجاملات الرسمية ، فانه لم تبق لنا حاجة هنا فنخرج الان مسجلين لانفسنا القيام بالواجب ، ونسجل على فخامة الجنرال تقصيره في الواجب واخلاله بالمجاملات » .

وخرج فارس ومن معه واذا بالجنرال يتطلع من وراء باب الغرفة حتى اذا ما تأكد من انسحابهم عاد الى القاعة الاولى . ولا بد انه شعر بعد مدة بخطأه . فلما ذهب لزيارة حلب استقبل نقابة المحامين وكلف رئيسها ان يبلغ زميله في دمشق اسفه على الحادث واعتذاره .

في تأسيس حزب الشعب والثورة السورية : نشطت الحركة الوطنية على اثر تعيين الجنرال ساراي مفوضا ساميا بدلا من الجنرال ويغان في اول عام ١٩٢٥ خصوصا وقد عرف عنه انه من الاحرار غير الاكليريكيين . فقابلته وفود البلاد وبسطت له امانيها . وكانت الشكوى من مساوئ الانتداب مستمرة ومتزايدة . ومصدرها كثرة الضرائب ، والاستبداد بموارد البلاد ، وبتسيير مصالحها الاقتصادية والخارجية، واستيلاء السلطة الافرنسية على جميع المصالح الادارية ، ووضع المستشارين بجانب الموظفين السوريين ، وخنق الحريات ، زد على ذلك التجزئة السياسية ، وسلوك الموظفين الافرنسيين . وكانت قد حصلت ثورات في مختلف نواحي سورية بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ اهمها ثورة حوران ، وثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين ، وثورة سورية الشمالية بزعامة ابراهيم هنانو ، ولكن هذه الثورات اخمدت بعد مقاومة ضارية . ورأى الوطنيون ان ينظموا صفوفهم ويوحدوا آراءهم ، لان ذلك ادعى الى اجابة مطاليبهم . فباشروا

بتأليف حزب الشعب وكان فارس من مؤسسيه وهو الذي وضع نظامه . وكان عبد الرحمن شهبندر رئيس الحزب وفارس الخوري نائب رئيسه . كما ان بين اعضائه حسن الحكيم وفوزي الغزي وسعيد حيدر وغيرهم . غير ان المفوض السامي لم يهتم كثيرا بمطالب الوطنيين وبشكواهم . وقد ادى عدم اهتمامه الى حمل السلاح والقيام بثورة دامت اكثر من سنتين . ولقد طارت الشرارة الاولى للثورة من جبل الدروز ، وكان السبب المباشر لها اهانة زعماء الجبل وسوء معاملة الحاكم الافرنسي كاربييه لهم واعتقال زعمائهم ونفيهم .

وفي هذه الاثناء احتفلت دمشق بذكرى الشهداء . فانشد فارس بضعة ابيات في ٦ ايار سنة ١٩٢٥ اضافها الى قصيدته التي بكى فيها اخوانه اثناء الحرب الكبرى في ١٩١٦ وقد جاء في هذه الابيات ، وهو يشير الى اصدقائه الذين اعدمهم جمال باشا من جهة ، والى الدول التي اقتسمت النفوذ في البلاد العربية من جهة اخرى :

الحظ قدمهم عني واخرني ... حتى ارى دول التاميز والسين
تسدي الوعود بتحقيق العهود لنا ... عن كل حق بالاستقلال مضمون
لا بد ان يُرجعوا للشام وحدتها ... من بعد ما فصلوها عن فلسطين
من الفرات الى الاردن رابطة ... مثل التي بين صنين وقيسون
انا ندين بما دان الشهيد به ... من جرأة ومفاداة وترصين
حتى ننال بظل العدل بغيتنا ... وحافظ العدل يحميكم ويحميني

بدأت الثورة بهجوم سلطان باشا الاطرش ورجاله على قرية الكفر في ٢٢ تموز ١٩٢٥ ، وقضائهم على الحامية الافرنسية ومحاصرة قلعة السويداء . وكانت معركة المزرعة (على بعد ١١ كيلومترا غربي السويداء) في اول آب من مفاخر الجهاد في سورية انتصر فيها الدروز على قوات الجنرال ميشو . ومنذ ذلك الوقت امتدت الثورة الى غوطة دمشق وجبل القلمون وحماة واطراف حمص . وكان الاتصال وثيقا بين زعماء دمشق وزعماء جبل الدروز . وعقد اجتماع سري في منزل آل الحلبوني حضره الدكتور شهبندر رئيس حزب الشعب واقسم فيه المجتمعون ان يقوموا بثورة لا يخمد

سعيرها حتى ينالوا مطالبهم . كان فارس يحضر المؤتمر الماسوني العام في زحلة عندما بدأت الثورة . وقد كانت له الكلمة الحاسمة في مناقشات هذا المؤتمر . وعندما ابيدت حملة ميشو في معركة المزرعة ، قام الافرنسيون ينتقمون من الوطنيين لهذه الصدمة التي تعد من اعظم الصدمات العسكرية الافرنسية في سورية . وبما ان الدكتور شهبندر الذي ساهم في الثورة هو رئيس حزب الشعب فقد حكموا بمعاقبة شخصيات ذلك الحزب لانهم حسبوا الثورة من اعماله . ولذا اعتقلوا فارس واخوانه الوطنيين في ٢٦ آب سنة ١٩٢٥ ونفوهم الى جزيرة ارواد حيث سجنوهم منفردين . وقد بقي فارس ٧٦ يوما في ارواد . واخيرا غادرها الى بيروت حيث اقام حتى مجيء المفوض السامي الجديد دي جوفنيل في تشرين الثاني .

بينما كان فارس واخوانه في المنفى كانت الثورة قد اشتعلت في حماة في ٤ تشرين الاول بزعامة فوزي القاوقجي . كذلك كانت معارك الغوطة مستمرة وعدد المجاهدين يزداد حتى انهم دخلوا دمشق في ١٨ تشرين الاول وهددوا الجنرال ساراي نفسه . فافلت منهم وامر بضرب دمشق بالمدافع في اليوم التالي . واستمر تدمير دمشق اربعا وعشرين ساعة فتخرب قسم من مبانيها ودكت المنازل على رؤوس اصحابها . واحدث ضرب هذه المدينة استياء في العالم حتى ان حكومة باريس استدعت الجنرال ساراي وعينت بدلا عنه دي جوفنيل وهو اول مفوض سام مدني .

من ارواد الى الوزارة الى المنفى ثانية : اجتمع دي جوفنيل قبل قدومه الى سورية باعضاء اللجنة التنفيذية لمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهره (وكان قد عقد مؤتمر سوري فلسطيني في جنيف في اول ايلول ١٩٢١ برئاسة الامير ميشيل لطف الله . فطلب استقلال البلاد والغاء الانتداب . وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية لملاحقة القضية السورية كان مقرها القاهرة . كما عين وفدا دائميا في جنيف) . كما انه اجتمع بوفود البلاد السورية في بيروت فرأى اجماعاً على المطالبة باستقلال البلاد ووحدتها . وقد تم الاتفاق على تشكيل حكومة برئاسة الداماد احمد نامي بك (وكان صبحي بركات قد استقال من رئاسة دولة سورية ، ومضت فترة كان الحكم فيها مباشرة لمندوب المفوض السامي بدمشق) على ان تجري المفاوضات لوضع دستور للبلاد ولعقد

معاهدة مع فرنسا . وتسلم الداماد الحكم في ٢٦ نيسان سنة ١٩٢٦ وصدر قرار بتاريخ ٤ ايار بتشكيل الوزارة . فكان فارس الخوري وزيراً للمعارف وكان حسني البرازي للداخلية ، واطفي الحفار للاشغال والتجارة ، وشاكر نعمة الشعباني للمالية ، ويوسف الحكيم للعدلية ، ووائق المؤيد للزراعة والاقتصاد . وقد تعاهد الوزراء مع الداماد بان يدخلوا الوزارة معاً وان يخرجوا منها معاً .

بدأت المفاوضات مع جوفنيل واتفق الطرفان على برنامج يضمن حقوق سورية وكرامة فرنسا . وسافر المفوض السامي الى باريس لاقناع حكومته باقرار هذا البرنامج . ولكنه فشل وانتهى الامر باستقالته . وقد كان على جانب من الكياسة والمرونة ، ومن سوء حظ فرنسا انها خيبت مساعي هذا الرجل الحكيمة . وتابع الافرنسيون حربهم ضد الثورة فاحتلوا سائر مدن جبل الدروز . وانزلوا بحي الميدان بدمشق اضراراً هائلة ، بحجة انه يساعد عصابات الثوار . وفي هذه الاثناء كان قد أصدر المفوض السامي دستور لبنان الجديد في ٢٣ ايار . وقد نص على انه لا يجوز التنازل عن اي جزء من ارض لبنان وهذا مما يحول دون تحقيق الوحدة السورية التي اشترك الوطنيون في الوزارة لتحقيقها . فاستقال فارس الخوري ولطفي الحفار وحسني البرازي في ١٢ حزيران ١٩٢٦ . وقد تبين لهم عدم رغبة فرنسا في قبول البرنامج المتفق عليه مع دي جوفنيل . وقد اعتقلتهم السلطة الافرنسية ونفتهم الى (الحسكة) . اما الوزارة التي تركوها فقد انحلت ولكن الداماد بقي في الحكم كما ان يوسف الحكيم ووائق المؤيد دخلا الوزارة التي تشكلت بعد ذلك . ويرينا النص التالي لقرار حل الوزارة الذي اصدره الداماد وجهة النظر الافرنسية في سبب انتهاء امر هذه الوزارة التي كان فيها فارس ورفاقه . فقد جاء في القرار المؤرخ في ١٢ حزيران (كما جاء في العدد ٢٩٣ السنة الثامنة من مجلة العاصمة) ما يلي :

ان رئيس دولة سورية

بناء على الصلاحية الممنوحة له في انتقاء مساعديه بموجب احكام القرار المؤرخ في ٢٦ نيسان ١٩٢٦ رقم ٩٢٥ القاضي بتسميته رئيساً للدولة السورية ، وبما ان

الاسراع بتحقيق القضية القومية وفقاً لبرنامج الوزارة المصادق عليه من المفوضية العليا والجمهورية الافرنسية هو اهم امر لمصلحة الوطن ، وبما ان عدم تجانس اعضاء الوزارة يحول دون هذه الغاية يقرر :

١ – تعتبر الوزارة السورية منحلة اعتباراً من تاريخ هذا اليوم

دمشق في ١٢ حزيران ١٩٢٦

احمد نامي

وقد تشكلت وزارة جديدة في اليوم نفسه دخلها واثق المؤيد للداخلية ولوكالة الزراعة والاقتصاد ، ويوسف الحكيم للعدلية ، وشكيب ميسر للاشغال والتجارة ، وعبد القادر العظم المالية ، وشاكر الحنبلي للمعارف . اما فارس فقد اقام منفياً في الحسكة ثمانين يوماً . ولما ساءت صحته بسبب شدة الحرارة التي كانت حول ٤٧ درجة في الظل ، وبسبب الشروط القاسية المعيشة فقد نقل في شهر ايلول الى اميون في الكورة بعد ان قضى شهور الصيف الحارة في الحسكة . ثم فرضت عليه وعلى رفاقه الاقامة الجبرية تحت المراقبة خارج سورية . فاقام في لبنان الى ان صدر قرار المفوض السامي بونسو في ١٨ شباط ١٩٢٨ بالغاء القرارات السابقة . وقد دامت مدة نفيه واقامته الجبرية خارج البلاد نحو سنة وتسعة اشهر . وقد جاء في قرار المفوض السامي الذي اعاد الى المبعدين حريتهم ما يلي (وفقاً لما جاء في مجلة العاصمة عدد ٣ من السنة العاشرة) :

« يلغى القراران رقم ٢٧٠ و ٨٨٣ الصادرين في ٢٦ حزيران ١٩٢٦ و ١٩ آذار ١٩٢٧ بوضع الاشخاص الآتية اسماؤهم في الاقامة الجبرية وتحت المراقبة : فوزي الغزي ، اديب الصفدي ، بدر الدين الصفدي ، فارس الخوري ، حسني البرازي ، لطفي الحفار ، عبد المجيد الطباخ ، سعد الله الجابري ، اسماعيل حقي » .

عاد فارس وسائر المبعدين الى دمشق في ٢٤ شباط ١٩٢٨ وقد استقبلهم البعض من بيروت والآخرون من المحطات على طريق دمشق . واقام لهم المستقبلون ، ويعدون

بالالوف ، حفلة في محطة البرامكة أنشد فيها فارس قصيدة حيّ فيها دمشق وما حوته من خمائل وجنات وانهار وما احتوته من اشبال وشيوخ وشباب الى ان قال :

سلام محب غالبوه ببعدها ... فاوشك ان ينهار دون غلابها
ولكنه في غير فرقة صحبه ... صبور على مر الحياة وصابها
يذكره الخابور عذب مياههـا ... وواسعة البيداء وسع رحابها
اذا انشبت فيه الخطوب لاجلها ... فلا بأس من ظفر الخطوب ونابها
فكل مصاب عن بلادي محبب ... لدينا اذا افضى لدفع مصابها

ويختم قصيدته بقوله :

وها قد دنا يوم الموازين عندنا ... وكل يمين قد اتت بكتابها
وما كانت الافعال ذاهبة سدى ... وكل يد مسؤولة عن حسابها

اما الثورة السورية فقد ضاعفت السلطة الفرنسية جهودها حتى استطاعت اخيراً التغلب عليها . وكانت آخر معارك الغوطة في آب ١٩٢٧ ؛ وقد دلت الثورة بما سفك فيها من دماء بريئة وبما حصل فيها من تضحيات على عقيدة وطنية راسخة وايمان صحيح فهي مفخرة السوريين من جهة كما انها مظهر من مظاهر فشل فرنسا في الشرق من جهة اخرى .

حرمانه من النيابة وجهاده خارج المجالس النيابية : عين بونسو مفوضا ساميا في سورية بدلا من دي جوفنيل فوصل في تشرين الثاني ١٩٢٦ وظل يتنقل بين بيروت وباريس لحل القضية السورية حتى عام ١٩٢٨ واخيرا اصدر بيانا دعا فيه الى انتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً لسورية . وعهد بالحكم الى الشيخ تاج الدين الحسني بدلا من الداماد . فشكلت في ١٥ شباط ١٩٢٨ وزارة الشيخ تاج الدين على ان تكون كما نص قرار تشكيلها حكومة موقتة لتأمين سير الاعمال الرسمية الاعتيادية دون ان يتم تعيين رئيس للدولة وذلك الى ان تشكل حكومة نهائية . غير انه قدر لهذه

الحكومة الموقتة ان تبقى في الحكم ما يقرب من اربع سنوات . وفي ١٨ شباط اصدر بونسو قرارا (ذكرناه اعلاه) في العفو عن بعض المبعدين ، والغى الاحكام العرفية في منطقة دمشق . وفي ١٠ آذار صدر قرار باجراء الانتخابات العامة للمجلس التأسيسي في دولة سورية ، في ١٠ نيسان للدرجة الاولى ، وفي ٢٤ نيسان للدرجة الثانية. اما في كيفية الانتخاب فقد حرص الافرنسيون في جميع الانظمة التي وضعوها ان يحرموا فارس الخوري من النيابة . وذلك بان يجعلوا كراسي النيابة موزعة حسب المذاهب والطوائف. وهم يعلمون ان فارس ينتمي الى اقل الطوائف عددا فلا يخصصون – كما خصصت الحكومات الوطنية فيما بعد – كرسيا للاقليات غير الممثلة . وعلى ذلك فقد صدر قرار بامضاء الشيخ تاج الدين ووزير داخليته سعيد محاسن في ٤ نيسان يحدد عدد نواب المناطق الانتخابية والطوائف التي ينتمون اليها . وكان التوزيع في مدينة دمشق التي خصص لها ثلاثة عشر نائبا على الشكل التالي : عشرة سنيون، واحد روم ارثوذكس ، واحد روم كاثوليك ، واحد اسرائيلي .

قرر الوطنيون الاشتراك في الانتخابات . وقد كانت النتيجة انها انتهت في ٢٤ نيسان بفوزهم وافتتح المجلس التأسيسي في ٩ حزيران ١٩٢٨ وكان عدد نوابه سبعين نائباً . وانتخب هاشم الاتاسي رئيساً له . وكان فارس يعمل في الحقل الوطني خارج المجلس بعد ان حرمته الطائفية التي ابتدعها الافرنسيون من دخول المجلس . وكان الوطنيون قد شرعوا على اثر دعوة فارس ورفاقه من المنفى في تنظيم صفوفهم وفي تاليف « الكتلة الوطنية » لتكون نقطة ارتكاز في نيل سورية استقلالها . وكان بين مؤسسيها هاشم الاتاسي ، وفارس الخوري ، وابراهيم هنانو ، وجميل مردم بك ، وسعد الله الجابري ، ولطفي الحفار ، وحسني البرازي ، وتوفيق الشيشكلي وغيرهم . وقد جاء في قانون الكتلة الاساسي : « الكتلة الوطنية هيئة سياسية غايتها تحرير البلاد السورية ، وتأليف المساعي لتأمين الاتحاد مع الاقطار العربية . الامة جمعاء تعتبر انها الكتلة وكل ما لديها وقف على الجهاد » . وقد قادت الكتلة الوطنية حركة المعارضة والمقاومة السلبية ضد الافرنسيين . وكانت اكثر الهيئات السياسية السورية توفيقاً وفوزاً مدة عشرين سنة حتى انها كانت الهيئة السياسية الوحيدة في عهد الجهاد ضد الانتداب . وكان فارس عرقها النابض ولسانها الناطق وهو الذي كان

يضع قراراتها ويكتب منشوراتها .

اختار المجلس التأسيسي لجنة عهد اليها بوضع مشروع الدستور ومن اعضائها هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو وفوزي الغزي . فاخرجت دستوراً في ١١٥ مادة بينها ست مواد اعتبرتها فرنسا مخالفة للانتداب ولتعهداتها الدولية ولكن من وجهة نظر سورية لا تكون السيادة بدونها وهي المواد ٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١١٠، ١١٢ وتتعلق بالوحدة السورية وبحق رئيس الجمهورية بالعفو الخاص، وعقد المعاهدات، وحق المجلس النيابي بالعفو العام، والتمثيل الخارجي، وتنظيم الجيش السوري، واعلان الاحكام العرفية . وفي ٨ آب فوجيء المجلس ببلاغ افرنسي يحظر عليه البحث في هذه المواد الست . وعندما رفض المجلس هذا البلاغ ولم يقبل حذف المواد الست من الدستور امر المفوض السامي بتعليق المجلس ثلاثة اشهر اعتباراً من يوم ١١ آب . وفي ٧ شباط ١٩٢٩ قرر تأجيله الى اجل غير مسمى . وفي ١٤ ايار ١٩٣٠ فاجأ بونسو البلاد باعلان الدستور الجديد بعد ان كمله باضافة المادة ١١٦ التي تقيد تنفيذ الدستور بحقوق الدولة المنتدبة وواجباتها وتشل مفعول المواد الست .

بعد تأجيل المجلس التأسيسي ببضعة شهور فوجئت البلاد بصدمة اليمة، وهي وفاة فوزي الغزي الذي كانت له اليد الطولى في وضع الدستور . وقد رثى فارس الخوري صديقه بقصيدة نظمها صباح يوم الدفن في ٦ تموز . وتلاها على ضريحه مساء اليوم نفسه وقد جاء فيها .

يبكيك احرار سوريه وانت اخ ... يبكيك دستور سوريه وانت ابُ
من للصعاب اذا اشتدت معاضلها ... من للخطابة يا ملسان من خطبوا
فكم اصبت ورب الرأي مرتبك ... وكم عصمت وحبل الناس مضطرب

ثم يشير الى رفقتهما في المنفى :

كهوف ارواد مدت بيننا نسباً ... يا حبذا السجن بل يا حبذا النسب
حر الجزيرة اذكى من مودتنا ... فزاد حرٍ قلوب حشوهـا لهب
اخا لسجون اخا المنفى اخا وصبي ... ما فرق الموت ما قد الف الوصبُ

ويعود فيستنهض الهمم للجهاد بقوله :

ان مات فوزي فما ماتت قضيتنا ... ردي المطالب لا يودى به الطلب
ان ادركت سيدا منا منيته ... فما علينا ونحن السادة العرب
قد عودتنا البلايا خوض لجتها ... الى الخناجر اما غاصت الركب

بينما كان المجلس التأسيسي معطلا في اوائل ١٩٢٩ كان فارس يجاهد في ناحية وطنية اخرى هي الناحية الاقتصادية . فقد وضع نظام شركة الاسمنت الوطنية المساهمة . واعاد الى الناس ثقتهم بالشركات التعاونية ، او المساهمة ، بعد ان فقدوها منذ عهد بعيد على اثر فشل شركة الزجاج في اوائل هذا القرن حيث دفعوا اموالا لم يلبثوا ان خسروها . وقد قام فارس ورفاقه بتأسيس الشركة فجعلوا رأسمالها ١٢٠،٠٠٠ ليرة ذهبية مقسمة على ٢٤،٠٠٠ سهم ثمن السهم الواحد خمس ليرات . وقد كان الاقبال على الاكتتاب وشراء الاسهم عظيما . حتى ان الاسهم كلها غطيت في مدة شهر واتضح في ١٦ نيسان عندما انتهى الاكتتاب انه جرت اكتتابات باكثر من عدد الاسهم . وكان الناس قبلا يتشاءمون ، ويظنون نجاح المشروع مستحيلاً . فاتضح بعد مدة قصيرة انه كان فتحا في الشركات المساهمة في البلاد . وقد نسجت سائر الشركات المساهمة على النظام الذي وضعه فارس لهذه الشركة . وباشرت شركة الاسمنت اعمالها بنجاح وكان فارس رئيس مجلس ادارتها . وقد بقي في هذا الوضع حتى عام ١٩٤٥ حين اضطره منصب رئاسة الوزارة الى الاستقالة بالرغم من ان الاستفادة المادية من عضوية مجلس الادارة ورئاستها لم تبدأ الا في السنوات الاخيرة قبيل استقالته فلم يلجأ الى ما يلجأ اليه الوزراء عادة من استخدام مختلف الاساليب والحيل ليحتفظوا بعضوية مجالس ادارة الشركات وهم في منصب الوزارة[١] .

بقيت الامور معلقة بين السوريين[٢] والجانب الافرنسي حتى تشرين الثاني ١٩٣١ وكان قد مضى اكثر من سنتين ونصف على تعطيل المجلس التأسيسي واخيرا قرر المفوض السامي بونسو تطبيق الدستور الذي قيده بالمادة ١١٦ فاصدر قرارا بانتهاء حكومة الشيخ تاج الدين وألف الافرنسيون حكومة انتقالية برئاسة سولومياك مندوب المفوض

السامي توطئة للانتخابات . وقرر ان تكون انتخابات المجلس النيابي الذي نص عليه الدستور في ٢٠ كانون الاول ١٩٣١ وقد اصدرت الكتلة الوطنية على اثر ذلك بيانا جاء فيه : « ان الواجب الوطني يدعونا الى عدم الغياب عن ساحة الجهاد في هذه المرحلة الدقيقة . بالرغم من بقاء عدد كبير من ابناء سورية مشردين في الاقطار . رغما عن العيوب الجمة المعترف بها في قانون الانتخاب الحالي وعجزه عن ضمان الحقوق لاربابها » . وبالواقع فقد كان من اهم عيوب نظام الانتخاب ان يحرم رجل مثل فارس الخوري من كرسي النيابة ، بسبب عدم تخصيص مقعد نيابي للطوائف الصغيرة ، وبسبب تأسيس مبدأ توزيع الكراسي النيابية على اساس الطائفية . وجرت الانتخابات في موعدها المحدد ولكن الاضطرابات الدامية رافقتها في دمشق ودوما وحماة بسبب تدخل الافرنسيين ولذلك اجلت الى نيسان ١٩٣٢ ، وقد سجلت فوزا للوطنيين بالرغم من حصول التلاعب في بعض المناطق الاخرى وخاصة في منطقة حلب . واجتمع المجلس النيابي الجديد في ٧ حزيران وشرع بانتخاب اول رئيس للجمهورية السورية فلم يفز مرشح السلطة الافرنسية حقي العظم . بل كان الفوز حليف محمد علي العابد الذي نال ٣٦ صوتا وكان عدد الاصوات كلها ٦٨ ، فحصل صبحي بركات على الاصوات الباقية . اما في انتخاب رئيس المجلس النيابي فقد نجح صبحي بركات بعد ان نال ٣٠ صوتا ، وقد حصل حقي العظم على ٢٢ صوتا وهاشم الاتاسي على صوتين والقيت ١٢ ورقة بيضاء .

في هذه الاثناء كانت العراق قد وقعت مع انكلترا معاهدة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ واعترفت لها انكلترا بالاستقلال . وكان السوريون يطالبون بالاستقلال على اساس عقد معاهدة مع فرنسا لا تقل عن معاهدة العراق . فلما اجتمع المجلس النيابي وبدأ العهد الجمهوري في ١٩٣٢ تألفت وزارة برئاسة حقي العظم . ودخلها اثنان من الوطنيين ، هما جميل مردم بك ومظهر رسلان على اساس وصول البلاد السورية الى امانيها . ولكن عندما اتضح بعد المفاوضات ان المعاهدة التي يقترح الافرنسيون عقدها لا تحقق اماني البلاد استقالا في ١٨ نيسان ١٩٣٣ . واستدعي بونسو بعد فشل المفاوضات وعين بدله دي مارتيل في تموز . ووضع مشروع معاهدة لا تحقق وحدة البلاد وسيادتها ، فقرر المجلس رفضها . واستقال وزير آخر وهو سليم جنبرت وقامت

المظاهرات في دمشق . ولما عرضت المعاهدة على المجلس في جلسة ٢٥ تشرين الثاني ، وكانت تحيط به قوى الجيش والامن الفرنسية ، ابرز النواب الوطنيون مضبطة موقعة من اكثرية النواب برفضها . وكانت النتيجة تعطيل المجلس الى اجل غير مسمى . وبقيت وزارة حقي العظم في الحكم الى ان حلت محلها وزارة الشيخ تاج الدين الثانية في آذار سنة ١٩٣٤ بقرار من المفوض السامي . ولكن عهدها كان عهد اضطرابات ومظاهرات خاصة في المدة الاخيرة . وقد اضطرت للاستقالة في ٢٣ شباط ١٩٣٦ على اثر حركة اضراب واسعة عمت البلاد السورية .

كانت حوادث الاضراب في مطلع عام ١٩٣٦ نتيجة موقف الفرنسيين من القضية السورية . وقد حصل في شهر تشرين الثاني ١٩٣٥ ان توفي زعيم المجاهدين ابراهيم هنانو . وكان لنعيه دوي هائل في سورية . ونظم رجال الكتلة التي كان هنانو احد اقطابها حفلة تذكارية في يوم الاربعين من وفاته (٢١ كانون الاول ١٩٣٥) . وقد رأس هذه الحفلة فارس الخوري . وافاض الخطباء بما تكنه الصدور من حب الحرية والاستقلال فخرج القوم من الحفلة وهم كتلة حياة وعزم وثبات في طلب حقهم المهضوم . ونشرت الكتلة الوطنية بيانا باسم الشعب ضمنته ميثاق الامة القائم على امانيها الصحيحة وحقها المشروع بالوحدة والاستقلال . وما مرت ايام على هذا الميثاق حتى اغلقت السلطة مكاتب الكتلة في دمشق وحلب وقبضت على فخري البارودي وسيف الدين المامون . فاجاب الشعب على هذه التدابير بالاضراب الصامت عن كل عمل ومواصلة الاحتجاج صابرا على الضيم . ودام الاضراب نحو ستين يوماً فكان من اعظم ما عرف في تاريخ المساعي الوطنية . وقاطعت دمشق شركة التنوير الافرنسية مقاطعة تامة . حتى ان الاجانب اضطروا للمشاركة في هذه المقاطعة . واغلقت المدارس والمعاهد على اختلاف انواعها . واقفلت الاسواق على بكرة ابيها . وكانت الجرائد المصرية تحمل انباء المقاطعة والاضراب كل يوم حتى دهش الناس من ثبات السوريين وتضامنهم . وجنحت السلطة الافرنسية الى المفاوضة فاتى المفوض السامي الى دمشق . وقابل زعماء العاصمة . فطلبوا منه الامور الآتية : اعادة الدستور كما وضعه المجلس التأسيسي ، الغاء الانتداب الذي فرض على البلاد بدون حق ، الاعتراف بحرية سورية

واستقلالها ، اعلان الوحدة السورية التي جزأتها فرنسا لغرض استعماري ، اعادة المبعدين الى اوطانهم . ولما لم يجبهم المفوض السامي الى ذلك زادوا تضامناً وثباتاً . وعادت السلطة الفرنسية فلجأت الى التهديد . ونشر القائد الافرنسي العام الجنرال هونتزيجر بياناً الى سكان دمشق هذا نصه :

« بناء على الامر الصادر من الكونت دي مارتيل المفوض السامي للجمهورية الفرنسية تاخذ السلطات العسكرية على عاتقها ، اعتباراً من ظهر يوم ١٢ شباط سنة ١٩٣٦ ، اعباء صيانة الامن العام وحفظ النظام في مدينة دمشق . والسلطة الفرنسية لا تقصد الى النزاع ولكنها لا تخافه . فاذا لم تنجح وسائل الاقناع فانها ستستعمل الشدة ويحال المذنبون الى المحاكم العسكرية » .

على ان الشعب بقي متضامناً وواصل الاضراب . وفي هذه الاثناء نشرت الكتلة الوطنية بياناً من قلم فارس الخوري وبامضاء هاشم الاتاسي شرحت فيه اسباب رفضها للمعاهدة التي عرضها الافرنسيون . وشكت من اعمال المفوض السامي لحل قضية البلاد ومن التدابير الشديدة التي اتخذتها السلطة بعد اعلان ميثاق الامة ، بحيث امتلات السجون بالمعتقلين والمستشفيات بالجرحى . ثم يقول البيان « وقد جاءت هذه الافعال بعد ان مر على الامة ستة عشر عاماً تحملت فيها ما لا يطاق في كرامتها وسيادتها وادارتها واقتصادها دون ان تذوق طعم الحرية ، او ان تدنو قيد انملة من الاستقلال الذي كان يقصى عنها يوماً فيوماً . وكانت ثروتها تذوب تدريجاً بنقصان صادراتها وازدياد وارداتها وثقل الضرائب والتبذير في الاعمال العامة ، وعدم حماية الانتاج الوطني ، ومحاربة الكفاءات وتنشيط الزلفى ، وعدم الاخلاص ، الى غير ذلك من ضروب الادارة السيئة حتى هبطت قيمة الاملاك الى ربعها . ونضب رأس مال التاجر ، وكسدت سلع الصانع ، وبارت حاصلات الزارع ، واستفحل اليأس والقنوط في النفوس وصار الشعب يؤثر الفناء العاجل على هذا الفناء البطيء المتواصل . . . »

ويظهر ان السلطة الفرنسية قد ضايقها وجود فارس الخوري في معهد الحقوق وهو

نائب رئيس الكتلة الوطنية فعمدت الى فصله وفصل اخيه فائز عن المعهد في ١٥ شباط ١٩٣٦ . وقد اصدر المفوض السامي دي مارتيل القرار الآتي بفصلهما . وتظهر فيه الاسباب الموجبة كما رآها الافرنسيون :

ان المفوض السامي للجمهورية الفرنساوية في سورية ولبنان .
بناء على مرسومي رئيس الجمهورية الافرنسية بتاريخي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ و ١٦ تموز ١٩٣٣ ، وبناء على الدستور السوري المنشور بتاريخ ١٤ مايس ١٩٣٠ ، وبناء على القرار رقم ٢٤٤٩ تاريخ ٢٠ ايلول ١٩٣٠ المتضمن تحديد نظام الموظفين ، وبما ان المبحوث عنهما قد ساهما بوقفهما واعمالهما في اثارة وتغذية حركة اضطراب سياسي ظهرت نتائجها مضرة بصورة خاصة بشبيبة الجامعة التي كان يترتب عليهما تثقيفها وتنويرها يقرر :

مادة ١ – يفصل السيدان فايز الخوري وفارس الخوري الاستاذان في معهد الحقوق في دمشق من وظيفتهما اعتبارا من تاريخ ايقاف دروس الجامعة .

لم يمض اسبوع على هذا القرار الا وكان الافرنسيون قد بدلوا موقفهم تجاه السوريين بعد ان اتضح لهم ثبات البلاد في نضالها الصامت واصرارها على نيل حقوقها. فقد استقالت وزارة الشيخ تاج الدين في ٢٣ شباط سنة ١٩٣٦ وسمي عطا الايوبي رئيسا للوزارة ووزيراً للداخلية ، بعد ان جرى الاتصال بين مندوب المفوض السامي وبين هاشم الاتاسي في دمشق . وقد دخل الوزارة الجديدة الانتقالية سعيد الغزي للعدلية ، ومصطفى الشهابي للمعارف ، وادمون حمصي للمالية ، ومصطفى القصيري للاقتصاد الوطني . وتوجه وفد الى بيروت مؤلف من اعضاء الوزارة الجديدة ، ومن مندوبين عن الكتلة ، بينهم هاشم الاتاسي والدكتور عبد الرحمن الكيالي . فاجتمعوا بالمفوض السامي ومعاونيه في ٢٩ شباط وجرى الاتفاق على اساس اعتراف فرنسا باستقلال سورية ووحدتها وعقد معاهدة يقوم بالمفاوضة لاجلها وفد يسافر الى باريس . وعلى اثر هذا الاتفاق انتهى الاضراب بناء على بيانات اصدرها الوفد الذي ذهب الى بيروت وهاشم الاتاسي والحكومة السورية .

فارس في الوفد السوري وامضاء المعاهدة : تألف الوفد السوري من هاشم الاتاسي ، وفارس الخوري ، وجميل مردم بك ، وسعد الله الجابري ، ومن مصطفى الشهابي وادمون الحمصي اللذين انتخبتهما الوزارة. وانتخب الوفد هاشم الاتاسي رئيسا له وقد صدرت المراسيم ١٥٧–١٦٣ بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٩٣٦ بتسمية اعضاء الوفد . والى القارىء صورة المرسوم ١٥٧ الذي اصبح بموجبه هاشم الاتاسي عضواً في الوفد (وقد اقر المرسوم ١٦٣ انتخابه رئيساً للوفد) .

ان رئيس الجمهورية السورية

بناء على الدستور المنشور بتاريخ ١٤ مايس ١٩٣٠

وبناء على محضر الاجتماع الذي عقد في ٢٩ شباط ١٩٣٦ في غرفة فخامة سفير فرنسا المفوض السامي للجمهورية الافرنسية بحضور اعضاء الحكومة السورية وصاحب الدولة هاشم بك الاتاسي ، ذلك الاجتماع الذي تقرر فيه ذهاب وفد الى باريس مهمته اجراء مذاكرات لتهيئة مشروع معاهدة بين الجمهورية الافرنسية والجمهورية السورية .

وبناء على بيان الحكومة السورية المؤرخ في ٢ آذار والمؤيد لهذا القرار .

وبناء على كتاب صاحب الدولة هاشم بك الاتاسي المؤرخ في ١١ آذار ١٩٣٦ الموجه الى صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ، والذي ينص على انتخاب صاحب الدولة هاشم بك الاتاسي واصحاب المعالي فارس بك الخوري ، وجميل بك مردم ، وسعدالله بك الجابري ، اعضاء في الوفد .

وبناء على قرار مجلس الوزراء المؤرخ في ١٢ آذار ١٩٣٦ الذي يتضمن ايضا انتخاب صاحبي المعالي الامير مصطفى الشهابي وادمون بك الحمصي عضوين في الوفد.

يرسم ما يلي :

المادة الاولى – يؤلف وفد مهمته المفاوضة في باريز مع حكومة الجمهورية الافرنسية لتهيئة مشروع معاهدة تعقد بين الجمهورية الافرنسية والجمهورية السورية .

المادة الثانية – انتخب صاحب الدولة هاشم بك الاتاسي رئيس المجلس التأسيسي سابقاً ورئيس مجلس الوزراء سابقاً عضواً في هذا الوفد .

المادة الثالثة – ينتخب الوفد رئيساً له .

المادة الرابعة – تحدد نفقات الوفد وتعويضاته بمرسوم خاص .

المادة الخامسة – يذاع هذا المرسوم ويبلغ الى من يلزم .

محمد علي العابد

دمشق في ١٤ اذار ١٩٣٦ صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية

محمد عطا الايوبي

كان يوم ٢١ اذار ١٩٣٦ يوماً مشهوداً في دمشق حيث ركب اعضاء الوفد السوري الى رياق ، ومنها الى حلب ، ليستقلوا قطار الشرق السريع الى باريس . وقام فارس يخطب في الجموع المحتشدة لوداع الوفد فكان مما قاله :

« لا تنتظروا مني خطاباً حماسياً يثير عواطف النخوة العربية ويسكب على شعلة المحبة المضطربة في صدوركم لهيباً جديداً لانكم في غنى عن ذلك . وان ما تكنه قلوبكم من الاخلاص لقضيتكم ، والاستعداد للتفاني في سبيل بلادكم واستقلالكم قد اصبح اوضح من الشمس المشرقة . واقمتم عليه الادلة الكافية التي لا يستطيع احد انكارها . ولا تنتظروا مني ان اعود فاسرد عليكم شرحاً جديداً للعهود

التي قطعها المفوض السامي . او تفصيلاً للاسس التي ستبنى عليها المفاوضات . فقد اذعنا بياناً سابقاً في ذلك كما انني ارى من الفضول ان اقول : انا على مبادئنا مقيمون وللعهود حافظون وعلى سنة الاخلاص سائرون . ولا يلزم ان اطلب اليكم ان تثقوا بوفدكم ، وتمنحوه تأييدكم ، وتجهزوا جواً هادئاً لمعالجة اعماله بالروية والسكون . فانكم قد جهرتم بهذه الثقة وبذلتم هذا التأييد واجتمعت آراؤكم حول الكتلة الوطنية والسير معها في طريق الخلاص الى النهاية ... للمرة الاولى في تاريخ هذا النضال الطويل الامد يذهب وفدكم الى باريس . وفد معترف به من الجانب الفرنسي مشرف بثقتكم الغالية ومؤمن على امانيكم المحبوبة ... ولنا الرجاء الوثيق في ان نلاقي عند رجال فرنسا وشعبها النبيل ما نحمله من حسن الظن وصفاء الطوية لاجراء المفاوضات في جو مشبع بالولاء وسلامة القصد ، واثقين بما صرح به فخامة المفوض السامي في بياناته واقواله الاخيرة . فنصل بسفينة الوطن ، والله معنا ، الى مرفأ النجاة الامين بعد ان تقاذفتها العواصف الهوجاء امداً طويلاً ... ونحن لا نقول اليوم انا ظفرنا بكل شيء وانتهى عهد نضالنا بالفوز الكامل بل نكتفي الآن بالقول : اني آنست ناراً لعلي اتيكم بقبس منها ، ونرجىء شرح الصدور الى العودة القريبة . نستودعكم الله الذي لا يضيع عنده حق وبحبله نعتصم . وبه نستعين ، ليسدد خطانا ، ويقرن بالنجاح مسعانا . »

وصل الوفد السوري الى باريس في ٢٧ اذار ١٩٣٦ فاستقبله في المحطة المفوض السامي دي مارتيل وبعض موظفي المفوضية الفرنسية ، وعدد كبير من ابناء سورية ولبنان في باريس ، وجماعة من مندوبي الصحف ، واستقبل الوفد في وزارة الخارجية الفرنسية من قبل فلاندان وزير الخارجية وسان كنتان رئيس دائرة افريقيا والشرق . واقام فلاندان مأدبة في الكي دورسيه على شرف الوفد . كما ان رئيس الجمهورية المسيو ليبران دعا اعضاء الوفد فيما بعد الى الاوبرا . وكانت المفاوضات قد بدأت الا انها لم تتقدم كثيراً واعترضتها نفس الصعوبات التي فشلت امامها معاهدة ١٩٣٣ وهي تتعلق من جهة بالوحدة السورية وضم جبل الدروز والعلويين الى سورية . ومن جهة اخرى بمقدار السلطة التي تحتفظ بها فرنسا ، وبقضية تسلم الجيش . وتبدل الموقف في حزيران ١٩٣٦ حيث تسلمت وزارة الجبهة الشعبية الحكم ، وكان وزير الخارجية

فيها ايفون دلوس ، ووكيل الوزارة بيير فيينو ، اكثر ميلاً من زملائهم السابقين لتحقيق اماني سورية. وهكذا فقد ابتدأت المفاوضات من جديد . وتوصل الجانبان الى الاتفاق . ووقعا المعاهدة الفرنسية السورية في ٩ ايلول ١٩٣٦ . وقد احتوت على تسع مواد وعلى اتفاق عسكري ، واحدى عشرة مراسلة ، وخمسة بروتوكولات . ووقعها اعضاء الوفد السوري من جهة ، وبيير فينيو ودي مارتيل من جهة اخرى .



الوفد السوري يوقع معاهدة ١٩٣٦ في وزارة الخارجية الفرنسية بباريس وقد ظهر هاشم الاتاسي في الوسط والى يمينه صاحب الترجمة وسائر اعضاء الوفد السوري والى يساره الجانب الافرنسي

على ان تبرمها المجالس النيابية في فرنسا وسورية . وقد جاء في صدر المعاهدة ما يلي :

« ان الوفد الفرنسي والوفد السوري بعد ان درسا بالاشتراك طبقا للاتفاق الذي عقد في اول آذار سنة ١٩٣٦ مختلف المسائل المتعلقة بوضع معاهدة صداقة وتحالف بين فرنسا وسورية ، على اسس الحرية التامة ، والسيادة والاستقلال ، قررا بعد مفاوضات اجريت في باريس وضع صيغ الوثائق المرفقة التي تشكل نص معاهدة

الصداقة والتحالف وملاحقها . . . »

كانت هذه المعاهدة مع ملاحقها ، بالرغم من القيود والتحفظات التي احتوتها ، والامتيازات التي اعطيت بموجبها للجانب الافرنسي، خطوة واسعة نحو استقلال سورية التام . وكان يشترط لتنفيذها ابرامها من قبل المجالس النيابية وتبليغها لجمعية الامم وقبول سورية في هذه الجمعية . وقد عاد الوفد السوري الى دمشق في اواخر ايلول مسرورا فخورا . وجرى له استقبال حافل في المدن السورية التي مر بها ، وقد مضى على غيابه نحو نصف سنة . وكانت ايام دمشق وسائر مدن سورية ، بين اواخر ايلول واوائل تشرين الاول ، اعيادا ومهرجانات ومآدب تكلم فيها فارس الخوري شارحا المعاهدة والادوار التي مرت بها سورية قبل ان تتوفق بالحصول عليها .

وقد نشرت نصوص المعاهدة في ٢٢ تشرين الاول وبدأت الخطوات الاولى لتنفيذها وذلك باصدار الانتخابات النيابية .

الفصل السادس

رئاسة البرلمان السوري

١٩٣٦ – ١٩٣٩

الانتخابات النيابية ورئاسة المجلس : كانت حكومة عطا الايوبي قائمة عندما عاد الوفد السوري من باريس . وقد اصدرت في ٢ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٣٦ مرسوما يعين اجراء الانتخابات النيابية للدرجة الاولى في ١٤ منه وللدرجة الثانية في ٣٠ منه . وصدر مرسوم بنفس التاريخ يحدد عدد نواب المناطق الانتخابية وتوزيعهم على الطوائف فجعل عدد النواب كلهم ٨٥ نائبا . وجعل لمدينة دمشق اربعة عشر نائبا . بينهم عشرة مسلمون سنيون ، وواحد روم ارثوذكس ، وواحد روم كاثوليك . وواحد اسرائيلي ، وواحد عن الطوائف الصغرى غير الممثلة في الدولة . وكان هذا الاخير غير موجود في المجالس السابقة في عهد الانتداب ، وهو الذي سيحتله فارس الخوري .

وقبل ان تبدأ الانتخابات وقف فارس الخوري خطيبا في مدرج الجامعة السورية بدمشق في وسط حشد عظيم من السوريين ليوضح ماهية المعاهدة التي ستعرض على الامة السورية لتبدي رأيها فيها عن طريق نوابها . وقد بدأ خطبته بتحية الشهداء . وذكر نهضة العرب في القرن العشرين . قال : اذكروا معي بالتقدير شهداءنا البواسل الذين على جثثهم نبني صروح استقلالنا وبدمائهم الزكية نوقع صك حريتنا . ثم حيوا معي هذه النهضة المباركة التي انطلقت شرارتها منذ افتتاح القرن العشرين . وانتشرت من قطر الى قطر حيث شعر العرب انهم شعب كبير ذو تاريخ لامع ومواهب عنصرية تخولهم الحق في ان يتبوأوا في المدنية الحديثة مكانا متناسبا مع

تاريخهم المجيد وكفاءتهم العالية . فقاموا يطالبون بهذا الحق ويدعمون طلبهم بكل ما لديهم من وسائل . وحيال ما اظهروا من الصلابة والتفاني عرفت الدول المستعمرة انها لم يبق لها قبل بالاستعمار على اساليب الحكم العنيف . فجنحت عن الشدة الى اللين ، وعن القوة الى الرفق . . . ثم يذكر تخلص العراق من الانتداب في عام ١٩٣٢ وتوقيع المعاهدة المصرية الانكليزية في ٢٦ آب ١٩٣٦ وكيف توصلت سورية بعد جهاد طويل الى الاتفاق مع فرنسا على نصوص هذه المعاهدة الى ان يقول :

« ولا بد لي من الاشارة الى ان صلاح المعاهدات يستند الى حسن النية عند عاقديها ، والعزم الصادق على تنفيذها بامانة واخلاص ، واكثر مما يستند الى نصوصها ومعاني عباراتها . والقوة المؤيدة لحقوق كلا الطرفين هي كفاءته ومقدرته في الطلب والتنفيذ . فمع التصريح والتوثق من ان الروح التي سارت هذه المفاوضات كانت روح مودة وولاء تجلى فيها عزم جلي على التخلي عن سورية ، فانه يجب على الشعب السوري ان يكون كامل الاهبة مستمراً في الاستعداد لمواجهة المستقبل بنشاط وعزيمة . فاذا كانت النصوص تعني قوة الحق فان عزيمة الشعب تعني حق القوة » .

ثم يشرح مشروع المعاهدة فيقول انه مؤلف من قسمين احدهما اصلي وهو المواد التسع المكونة منها المعاهدة ، والآخر فرعي وهو الاتفاق العسكري والمراسلات الاحدى عشرة والبروتوكولات الخمسة . ويشير الى الفرق بينها من جهة الاستمرار وقابلية التعديل فيقول : « فالقسم الاصلي تتضمن مواده اموراً مثبوتاً بها تنفذ عاجلاً . واموراً تستمر متمادية طول المدة المعقودة بها . فالامور النافذة عند وضع المعاهدة موضع العمل هي اولا زوال الانتداب ، واستقلال سورية وتمتعها بالسيادة التامة ، وانتقال الحقوق والواجبات الى الحكومة السورية . والقسم الثاني ينص على اقرار عهد سلم وصداقة بين الدولتين ، وعلى انشاء تحالف بينها لمدة ٢٥ سنة . وقد وضعت واجبات وشروط كل منهما تجاه الآخر . وهذا القسم ايضا لا يعرض للتعديل والتجديد الا بعد مرور ٢٥ سنة الا اذا طلب ذلك احد الفريقين . والقسم الفرعي هو مجموع ملاحق وهو خاضع لاعادة النظر . . . »

كان عدد ناخبي الدرجة الثانية في دمشق ٦٨٥ ناخباً على ان عدد الاصوات التي اعطيت كان ٦٧٩ صوتا وقد نال منها فارس الخوري يوم ٣٠ (نوفمبر) تشرين الثاني ١٩٣٦

عندما اجريت الانتخابات الثانوية ٦٣٣ صوتا وهو اكبر عدد ناله نائب في دمشق ، وكان اصغر عدد من الاصوات ناله احد النواب الاربعة عشر ٤٧٥ صوتاً .

اجتمع المجلس النيابي في ٢١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ . وهو اول مجلس يجتمع في عهد الاستقلال الجديد بعد نضال ست عشرة سنة ضد الانتداب . وكان جميع نوابه تقريبا ينتسون الى الكتلة الوطنية . كان الرئيس الموقت للمجلس اكبر الاعضاء سنا وهو محمد الاضملي . وجرت انتخابات مكتب المجلس ، ففاز بالرئاسة فارس الخوري وكان فوزه بالاجماع تقريبا حيث حصل على ٨١ صوتا من ٨٢ ووجدت ورقة بيضاء واحدة . صعد فارس الخوري وهو الآن في الثالثة والستين من عمره الى منصة الرئاسة على اثر انتخابه ، والقى خطبة ذكر فيها المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق هذا المجلس واظهر امله في انضمام نواب منطقة اللاذقية وجبل الدروز عن قريب الى المجلس . واعرب عن اغتباطه لعدم وجود منازعات حزبية في هذا الظرف الدقيق وبدأ منذ الآن ولاول مرة يصبح فيها رئيس مجلس نيابي بالقاء نصائحه على النواب . مما جاء في خطبته قوله : —

« انه ليسرنا ، كما يسركم ، ان نجتمع اليوم في مجلس يمثل الامة تمثيلاً صحيحاً ناشئاً عن انتخاب شعبي سليم من الشوائب مارس فيه الشعب السوري حقوقه الدستورية بالحرية التامة في جو يسوده الهدوء والطمأنينة .. هذه المرة الاولى التي يجتمع لنا فيها مجلس يتمتع بصلاحية واسعة . ليمارس حق الاشتراع والمراقبة خلواً من القيود الضيقة ؛ والامة العربيه عامة ، والسورية خاصة ، في داخل البلاد وخارجها ، كما ان الشعوب الاجنبية ، والدول الاخرى التي لها صلة بهذه البلاد ، تراقب اعمالنا باليقظة والانتباه . فانتم ايها الاخوان مطمع الانظار . وعلى اعمالكم في هذا المجلس يبنى حق هذه البلاد في الحياة الحرة والاستقلال . . . وانه لمن دواعي الاغتباط انه لا يوجد في هذا المجلس منازعات حزبية فكل الاعضاء متساندون ومتكافئون وقد تقدم كل واحد منكم للانتخاب على مبدأ واحد وغاية واحدة . وليس هذا شأنكم وحدكم ، فان البلاد كافة في اول نشأتها لا بد ان يجمع نوابها على خطة

واحدة . وليس هذا مقصوراً على الشعوب المكونة حديثاً . بل ان الشعوب الغربية والعريقة منها في الاصول النيابية ، عندما يعتريها انقلاب اجتماعي في طور من الاطوار – والمانيا وتركيا اكبر شاهد – فهذه الدول ، لاجل خدمة الانقلاب الاجتماعي الذي تقوم به ، لا تقبل بغير ذلك . . . ان الامـة ايها الرفاق تريد عملاً سريعاً للوصول الى الغاية المطلوبة . واتحادكم في هذا المجلس يشير الى الاتحاد في الامـة التي تريدكم ان تكونوا على قلب واحد ».

ثم بعد ان يسجل بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن اخوانه شكره للامة في هـذا التضامن ، اذ بفضل كفاحها توصلت البلاد الى ما وصلت اليه اليوم ، يرسل التحية الى الامة والناخبين الذين منحوا النواب ثقتهم . ويسجل للحكومة الفرنسية سداد الرأي وتقدير المصلحة السورية ما تصبو اليه من الحريـة والاستقلال . ويشكر الكونت دي مارتيل على مساعدته ، في اثناء المفاوضة في باريس ، وبعد العودة الى سورية . ثم يقول :

« ولكي يكمل سرورنا في هذا المجلس ، فاننا نتوقع ، في القريب العاجل ، ان يضمنا الى اخواننا الآخرين في منطقة اللاذقية وجبل الدروز . اذ يتم بهم شطر كبير من الوحدة السورية التي نتوخاها . . . واذكركم ايها الاخوان قبل كل شيء ان خدمة النواب محصورة في الاشتراع والمراقبة . فهذا المجلس يضع القـوانين والانظمة بعيداً عن المخاصمات الكلامية . ومهمته محصورة تحت هذه القبة . واذا ما بدا من احدنا اقتراح او طلب يتعلق بالقوة الاجرائية فمقام الرئاسة يكون الواسطة بينكم وبين القوة الاجرائية ، وبذلك نكون قـد عملنا عملاً منسجماً . وتكون حياتنا مرآة صادقة الانعكاس للثقافة ورباطة الجأش في البلاد السورية وامام الشعوب الاخرى التي تراقبنا عن بعد » .

بعد هذه الخطبة شرع النواب بانتخاب رئيس الجمهورية . لان الرئيس السابق محمد علي العابد قدم استقالته . وبعد فرز الاصوات اعلن فوز هاشم الاتاسي بالرئاسة حيث حصل على ٧٤ صوتا من ٨٢، وحصل جميل مردم بك على ٤ اصوات ، وكل من محجم

بن مهيد وفخري البارودي ونجيب الريس على صوت واحد ووجدت ورقة بيضاء واحدة . وفي نفس النهار قبلت استقالة عطا الايوبي وسمي جميل مردم بك رئيسا لمجلس الوزراء فتشكلت وزارته بموجب المراسيم رقم ١٠٤٧ — ١٠٥١ على الوجه التالي : جميل مردم بك الرئاسة والاقتصاد الوطني ، سعد الله الجابري للداخلية والخارجية ، شكري القوتلي للمالية والدفاع ، عبد الرحمن الكيالي للعدلية والمعارف .

فارس في رئاسة المجلس ومشاكل المعاهدة : كان من اول اعمال المجلس النيابي في اليوم التالي لاجتماعه تصديق معاهدة التحالف والصداقة المعقودة مع فرنسا . وكان ذلك في ٢٢ (ديسمبر) كانون الاول سنة ١٩٣٦ . وبعد ان تعاقب الخطباء المناقشون اعلن فارس انتهاء المناقشة . وشكر للخطباء ما جاء في خطبهم من رزانة وحكمة . ثم قال : ان هذه المعاهدة قد انقذت سورية من وضع غامض دوليا . وادخلتها في وضع واضح . كانت سورية فيما مضى في حالة ارتباط . وجمعية الامم تحسبها وصاية وانتدابا . والشعب السوري يرفض هذا الانتداب ويحسب نفسه مستقلا . واذا تضاربت النظرات بين الشعب السوري والحكومة الفرنسية تعطل السير نحو الهدف الحقيقي . فكان لا بد من الخروج من هذا المازق . وقد جاءت هذه المعاهدة فانقذتنا » . وصدر قانون بتاريخ ٢٧ (ديسمبر) كانون الاول ١٩٣٦ يقول : « اقر المجلس النيابي ونشر رئيس الجمهورية القانون الآتي : تصدق معاهدة التحالف والصداقة المعقودة بين الحكومتين والموقعة بدمشق في ٢٢ كانون الاول ١٩٣٦ من قبل مندوب الجمهورية الفرنسية دي مارتيل ومندوبي الجمهورية السورية (الوزراء) » .

ما كاد يجتمع مجلس النواب ويصدق المعاهدة الا وظهرت الصعوبات التي قضت اخيرا على المعاهدة وادت بالاضافة الى ذلك الى اقتطاع جزء هام من اراضي الوطن السوري وهو لواء الاسكندرون . وقد اتضح ان مصدر هذه الصعوبات هو عدم

استعداد فرنسا للتخلي عن سلطتها وامتيازاتها في سورية . ولذلك فان مجالسها النيابية لم تبرم المعاهدة . وقد كان اول محك لسياسة التعاون الافرنسي مع سورية مشكلة الاسكندرون التي اثارتها تركيا في هذه الآونة . وعرضتها على جمعية الامم فحصلت على ايجاد نظام خاص للواء في ٢٩ (اكتوبر) تشرين الاول ١٩٣٧ كمرحلة اولى ، ثم على فصل اللواء عن سورية في ٢ ايلول ١٩٣٨ وتشكيل دولة هاتاي كمرحلة ثانية ثم على ضم اللواء اليها في ٣٠ (يونيو) حزيران ١٩٣٩ كمرحلة اخيرة . وذلك بفضل مساعده فرنسا التي وقعت الاتفاقات المختلفة مع تركيا على حساب سورية . وقد اعتبرت الامة السورية هذا العمل خيانة من فرنسا ، ودافعت الحكومة السورية عن اللواء . ولكن لم يمكنها الا الاحتجاج ، وسجل البرلمان السوري في جلسات متعددة عدم اعترافه بالوضع الجديد .

اما في قضية المعاهدة فقد كانت بعض الاوساط الافرنسية تعتقد بان النصوص غير كافية لضمان مصالح فرنسا الحربية والاقتصادية والثقافية ، ولحفظ حقوق الاقليات . ومع ان فرنسا وافقت على ضم منطقتي جبل الدروز واللاذقية الى سورية منذ اوائل كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ . الا ان المعاهدة كانت تنص على بقاء الجيوش خمس سنوات في هاتين المنطقتين المذكورتين ، وفي محافظة الجزيرة ساعد الافرنسيون في اثارتها وكانت النتيجة انهم ماطلوا في ابرام المعاهدة . وكانت جلسات المجلس النيابي تدور مناقشاتها في كثير من الاحيان حول هذه المماطلة . وكان النواب يردون على مزاعم الافرنسيين . ورئيس الحكومة يلقي بياناته ويعرض نتائج مساعيه . وكان فارس الخوري يلخص المناقشات ويوجزها واحيانا يصيغها في شكل مقررات ويعرضها على المجلس ليقرها ، او يعلق عليها ويستخلص منها بعض الاستنتاجات المفيدة . ففي ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧ القى رئيس الوزراء بيانا وزارياً عن الصعوبات بعد مضي سنة تقريبا من تسلم الحكم ، وتكلم عدد من النواب خاصة في موضوع الاقليات وبعد انتهاء المناقشة وقف فارس واوجز ما تكلموا عنه فقال :

« يؤخذ من نتيجة البحث ان اقوال رئيس الوزراء والنواب تلخص في الامور التالية : اولا احترام رغائب الامة الذي عبرت عنهُ في المجلس في قرارها في شهر ايار بشأن بقاء لواء الاسكندرون، ثانيا الاحتفاظ بالاقاليم السورية على وضعها الحاضر ، ثالثا عزم الحكومة على اقامة العدل والمساواة بين جميع العناصر والطوائف، رابعا تسهيل استثمار راس المال الاجنبي في المشاريع العامة لتقوية اقتصاديات البلاد ، خامسا السعي الحازم الذي عزم رئيس الوزراء على الذهاب الى فرنسا لاجله لابرام معاهدة التحالف وا كمال الاتفاقات. (وفي هذه المناسبة حلل المعاهدة فقال ان فيها شطرين : الواحد الغاء الانتداب وهذا من خصائص جمعية الامم . والثاني التحالف وهذا منوط بفرنسا) ، سادساً عزم الوزارة على تعميم الاصلاحات الداخلية . . . »

وبالواقع فقد غادر جميل مردم بك رئيس وزراء سورية في اواخر (نوفمبر) تشرين الثاني الى باريس وعاد في اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٧ . وكانت نتيجة مساعيه تبادل مراسلات مع دي تيسان (De Tessan) وكيل وزارة الخارجية في ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٧ احتوت على ضمانات من الحكومة السورية بشأن احترام حقوق الاقليات ، وقبول الخبراء الافرنسيين . وقرر الطرفان متابعة سياسة التعاون . وكان جميل مردم بك متفائلا في توقعه ابرام المعاهدة . ولكن بعض زملائه لم يروا ذلك . وفي ٢٢ آذار ١٩٣٨ استقال شكري القوتلي من الوزارة وصدر مرسوم بقبول استقالته . وقد القى بياناً في جلسة ٢٢ آذار عن سبب استقالته فقال انه كان نزولا عند رأي الاطباء بسبب مرضه ، واستغرب اللغط الذي قام حول بعض المسائل والاتفاقات قبل اوانه . وكان مما قاله : « ان ما يسميه بعض المتقولين بشهوة الكرامي هو بالحقيقة والتجربة مض لاصحابه يغبط احدهم على تركه ولا يغبط على الوجود فيه » .

لم يدع فارس هذه الفرصة تفوت بدون ان يعلق عليها ويعظ ويظهر فلسفته في قضية استلام الحكم وترك كرسي الوزاره فقد قال وهو في منصة رئاسة المجلس :

« اغتنم هذه الفرصة لاهنيء السيد القوتلي بهذه المظاهر التي تحف انفكاكه عن

كرسي الوزارة . فالتهنئة الحقيقية للوزير ليست عندما يتبوأ المقام . بل اذا كان الاسف على فراقه وتركه المقام اشد من السرور عند تبوئه اياه فهنا الغبطة وهنا السرور . وارجو ان تكون في هذه المظاهرة قدوة لنا جميعا . فيسعى جميع الوزراء في كل زمان ومكان للحصول على هذا التأسف عند تركهم للوزارة لا للحصول على سرور الناس عند تبوئهم الكرسي . . . وانه ليسر الامة ان يكون فيها مثل هذه الشخصيات التي لا يريدها الناس منفكة عن العمل . بل يريدون ان تبقى في مقاعد الحكم لكي تنفع الناس بما اوتيت من حكمة وروية ودربة ودماثة اخلاق . . . ويسر مجلس النواب ان ينتقل هذا النائب الكريم من مقاعد الوزارة الى مقاعد النواب . فالعمل في المجلس النيابي متسع وميدانه فسيح يستطيع كل نائب ان يقوم فيه بنصيبه من العمل على احسن منوال يرضى الامة ويرضى ضميره ويرضى الحق . . . . »[1]

بعد ان نالت وزارة جميل مردم بك الثقة في اواخر آذار (مارس) سنة ١٩٣٨ عادت الامور فتحرجت وقويت معارضة الاوساط الفرنسية للمعاهدة . فاضطر رئيس الوزارة الى مغادرة سورية في شهر آب (اوغسطس) والى الاقامة بين باريس وجنيف اربعة شهور . وفي ١٤ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٣٨ وضع اتفاق مع جورج بونيه (Bonnet) وزير الخارجية الفرنسية لم يعرف مضمونه الا بعد سنة ، لانه لم ينشر في حينه . وقد تألف هذا الاتفاق من بروتوكول وبيان مشترك . فالبروتوكول يؤكد اتفاق ١١ كانون الاول ١٩٣٧ ، ويعطي ضمانات تتعلق بحقوق الاقليات ، وباللغة الفرنسية في مدارس سورية ، وتجديد امتياز البنك السوري ، واستثمار البترول ، والغاء تجارة سورية مع فرنسا ، وقبول مساعدة مالية من فرنسا . كذلك جاء في البروتوكول ان حكومة فرنسا تجعل نهاية فترة الانتقال في ٣٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ . وانها ستقترح ذلك على البرلمان . اما البيان المشترك فقد ابدى فيه الفريقان املهما في ان توافق حكومة سورية على هذه المعاهدة المعدلة في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩ . وان

---

(١) راجع ضبط جلسة ٢٢ آذار ١٩٣٨ في الجريدة الرسمية .

يبرم البرلمان الافرنسي المعاهدة قبل نهاية الشهر نفسه بعد ان تأتيه تقارير لجنتي الشؤون الخارجية في مجلس النواب والشيوخ في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) .

لم تكن لهذا الاتفاق بين مردم وبونيه ، وما جاء فيه من تعديل للمعاهدة ، الفائدة المطلوبة . فالاوساط الافرنسية تابعت مقاومتها لسياسة التعاقد من جهة ، والمجلس السوري لم يقبل بالتعديلات التي ادخلت على المعاهدة من جهة اخرى . ففي ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٨ صرح مقررا لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ بان اساس المعاهدة لا يتفق ومصلحة فرنسا ، وحذّرا من ابرامها . كما ان مقرر اللجنة في مجلس النواب غاستون ريو (Gaston Riou) قال ان فكرة المعاهدة خاطئة بحد ذاتها . وقام بونيه نفسه بعد بضعة ايام فصرح بان الحكومة الفرنسية لا تنوي ان تطلب من البرلمان الفرنسي تصديق المعاهدة (وهو الذي وقع الاتفاق مع مردم بك قبل شهر) .

اما في المجلس النيابي السوري فقد عقدت جلسة هامة في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٨ طلب فيها فارس من رئيس الوزراء — وكان قد عاد من باريس — ان يجيب على اسئلة النواب [1] . واعلن فارس ان الجلسة تتعلق ببحث الوضع الحاضر والحالة التي انتهت اليها البلاد . ورجا النواب ان يسجلوا اسماءهم للكلام واضاف : « وبعد تسجيل اسماء المتكلمين لا اسمح لاحد ان يتكلم راجياً من حضرات النواب ان يراعوا الاختصار وعدم التكرار » . وعندما تكلم توفيق الشيشكلي واراد ذكر شخص يسيء الى القضية السورية قاطعه فارس : « ارجو ان لا تتعرضوا للشخصيات البتة » . وتتابع النواب يستنكرون الاتفاقات الجديدة وارسال لجنة تعيد النظر في اوضاع البلاد لعقد معاهدة جديدة . وقام جميل مردم بك فقال انه تكلم في جلسة

(١) انظر ضبط الجلسة ١٣ من الدورة العادية الرابعة في ٣١ كانون الاول ١٩٣٨ في الجريدة الرسمية .

سابقة عن سياسة التهديم والتحريض التي تقوم بهـا السلطة الاجنبية وانه دعي الى فرنسا ، وحرصاً على سياسة التفاهم سافر في الصيف وبقي اربعة شهور ، وانه ليس له ان يتقدم الآن بالاتفاقـات المعقودة اذ لا يوجد عرف سياسي او حقوقي يوجب عرضها او التمسك بها قبل ان يقوم الفريق الآخر بما تعهد به . ولكن بما انه شاعت شوائع جمة حول الاتفاقات فانه يعلن تكذيبها . ثم ذكر تحذيره للحكومة الفرنسية من نتائج عدم تصديق المعاهدة ، واشار الى الدسائس في فرنسا والى عدم وجـود سياسة عليا مرسومة بشأن سورية .

كان فارس اثناء هذه الجلسة يلخص على ما يظهر نتائج اقوال النواب ورئيس الوزارة لكي تنتهي المناقشة الى نتيجة واضحـة "والى اتخاذ قرارات ترتبط بهـا الحكومة ويطلع عليها افراد الامة . كما انه اراد ان يحمل رئيس الوزراء على اعتبار الاتفاقات التي وقعها مع الجانب الافرنسي والتي لم يرض عنها النواب لاغية . ولذلك فانه عند انتهاء الخطب والتصريحات شكر رئيس الوزراء على تصريحاته القيـمة كما شكر نواب على الصراحة التي عبروا بها عن رغائب الامة ثم قال :

« ارى قبل ان اعلن ختام هذه الجلسة ان اضع شيئاً عن الاتجاهات التي افصح النواب عنها ووافق عليها غير الخطباء من النواب الاخرين مما تنتج عنه الامور التي سأتلوها عليكم طالما اذا قبلتموها التصويت عليها وتصديقها لتكون نتيجة لهذه الجلسة التاريخية تسجل في اعمال المجلس وترسل الى المراجع الايجابية لتترك الاثر الصالح في نفوس الامة ، ولدى الحكومة والمراجع الاجنبية ذات الاختصـاص . فالذي استخلصته من الخطب التي تليت هو المقررات الآتية :

١ – تمسك المجلس بنصوص المعاهدة التي صدقها في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ . ويعتبر حقوق سورية المنصوص عنها في هذا الصك واجبة الاحترام والتنفيذ . واذا كان يحق للبرلمان الفرنسي ان يرفض التحالف مع سورية فلا يحق له ان ينكر

عليها حقها الطبيعي بالاستقلال المعترف لها به في نفس ميثاق عصبة الامم .

٢ — بما انه لم يعرض على مجلس النواب اي اتفاق او عقد آخر غير معاهدة ١٩٣٦ فالمجلس يعتبر بحكم العدم اي ادعاء كان يتعلق باتفاقات او ملاحق او ذيول او عقود لاحقة غير معروفة عنده ولا مصدقة منه .

٣ — يأسف مجلس النواب لنكول الحكومة الفرنسية عن احترام عهدها بدون مبرر . ويستنكر التردد البادي في تصديقها المعاهدة والتأخر في تنفيذ ما تعهدت بتنفيذه من نصوصها . وبذات الوقت يطلب من الحكومة السورية ان تحافظ على جميع الحقوق المؤيدة لاستقلال سورية ووحدتها . وان تسرع باتخاذ الوسائل الحازمة لاستلام الصلاحيات الباقية لها بدون تأخير .

٤ — يسجل مجلس النواب تصريح رئيس الوزراء السيد جميل بك بانه يعد نفسه في حل من جميع الاتفاقات والعقود التي يمكن ان يكون وقعها ويعتبرها لغواً .

٥ — حيث ان مجلس النواب السوري يمثل جميع الدوائر الانتخابية المنسوب اليها اعضاؤه وهو وحده يعبر عن رأي الامة ورغائبها تعبيرا شرعياً دستورياً حقيقيا فالمجلس يستنكر اي اسلوب آخر تجنح اليه الحكومة الفرنسية لمعرفة رأي الشعب السوري بشأن مصيره كايفاد لجنة لمثل هذه الغاية . وحيث ان هذا المجلس قد اعرب عن رأيه حيال جميع القضايا التي عرضت له وهو مستعد للاعراب عن رأي الامة في اية قضية كانت ، فهو ينكر جواز الاخذ باية رغبة تخالف رغبته ويدعو الشعب السوري افراداً وجماعات الى الامتناع عن الاتصال باي شخص او اية هيئة تحاول اخذ الآراء والمطالبات تذرعا لايجاد التفرقة في صفوف الامة وسعيا وراء غايات واهداف مضرة بوحدة البلاد وهادمة لاستقلالها .

٦ — يأسف المجلس لحوادث العصيان والتمرد على القانون والتعرض للاخلال

بالامن العـام في مناطق اللاذقية وجبل الدروز بعد حوادث الجزيرة المعلومة ويزيده اسفاً اذا كان صحيحا ما يقال من ان لبعض ممثلي السلطة الافرنسية ضلعاً في هذه الحوادث او رضاء عنها . ويطلب من الحكومـة ان تسرع بوضع حد حاسم لهذه الحوادث الغريبة .

٧ – يسجل المجلس النيابي ايضا مشاطرة الوزارة السوريـة المجلس النيابي الرأي المعرب عنه في هذه البنود .

عندما انتهى فارس من تلاوة هذه الخلاصة اقترح ناظم القدسي ان توضع على التصويت بتعيين الاسماء نظراً لاهميتها وايد نوري الفتيح الاقتراح فتليت اسماء النواب بما فيهم الوزراء واجابوا جميعا بالموافقة . وقد اتت هذه القرارات الحازمـة الشديدة اللهجة خالية من كل مرارة او غمز فبرهن فارس الخوري في وضعها وصوغها وتصديقها بالاجماع وايصاد كل باب في وجه من يرغب تحويل الامة السورية عن مجراها -- برهن عن لباقة وسياسة بارعة فكان في وجه فرنسا خصماً عنيدا قل ان لاقت مثله في تاريخها الاستعماري .

فارس الخوري وعبد الرحمن شهبندر : كان الدكتور عبد الرحمن شهبندر شخصية ممتازة في دمشق وكان طبيباً وسياسياً وخطيباً وكاتباً . وقد رأينا انـه كان رئيس حزب الشعب في ١٩٢٥ وانه اشترك في الثورة السورية وحكم الافرنسيون عليه بالاعدام . فذهب الى بغداد ومنها الى مصر حيث اقام حتى عام ١٩٣٧ وكان مطلعاً على الحوادث التي سبقت مفاوضات المعاهدة . والذي يعلمه العارفون ان فارس الخوري انصف الشهبندر واحبه وحرص على كرامته وبكاه بدموع غزيرة عند وفاته . فلما ذهب الوفد السوري الى فرنسا اصرّ فارس على اعادة المبعدين ومن بينهم الشهبندر . وكان يرسل اليه كل يوم من باريس معلومـات عن تطور المفاوضات مـع الفرنسيين . حتى انه كان احيانا يتعذر عليـه مواصلة الحكومـة بالاخبار في دمشق

ولكنه لا ينقطع عن مواصلة الشهبندر. وعندما اذنت فرنسا بعودة المبعدين جاء الشهبندر من مصر في ايار ١٩٣٧ فهبت دمشق باجمعها لاستقباله وعلى رأسها رجال الوفد السوري وكان فارس لسان الوفد ورئيس المجلس النيابي . فالقى خطبة رحب فيها بالشهبندر ودعاه « الزعيم الاوحد » وعندما اعترض البعض على هذا اللقب اصر فارس بقوله : « قلت وما زلت اقول انه الزعيم الاوحد » .

اقام الشهبندر في دمشق شهرا اظهر اثناءه معارضته للكتلة الوطنية لعدم اعتقاده بسياسة التعاون مع فرنسا . وحصل اثناء اقامته انه زار مكتب الكتلة في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٣٧ وخطب فيه خطبة ضافية . ومما جاء في تلك الخطبة قوله : « انني ارمي الى توحيد الصفوف ، لا اريد الاحزاب ولا اعنى بالشخصيات .» وفهم رجال الكتلة — صوابا او خطأ — انه عنى بالاحزاب الكتلة الوطنية ، وربما ساعد في هذا المفهوم بعض محادثاته التي تميل الى الغاء الاحزاب حتى الكتلة ايضا . على ان الكتلة الوطنية عند رجال الكتلة ليست حزباً بل هي رمز وحدة الامة فكان من واجبهم والحالة هذه ان يتخذوا موقفا تجاه تصريح الشهبندر . ولذلك انبرى فارس الخوري للكلام كخطيب الكتلة وترجمانها فقال :

« باسم الكتلة الوطنية اشكر الزعيم الكبير عبد الرحمن شهبندر على تصريحاته وبياناته . ولكنني اضيف الى هذه التصريحات شيئاً آخر . فاقول اننا في الماضي منذ كنا نجتمع في عهد السلطان عبد الحميد الى ان افترقنا عام ١٩٢٥ كان لنا منهاج واحد وضع اولاً ثم عُدِل تبعا للظروف والاحوال ولكن هذا التعديل لم يتحول عن الهدف الجوهري . والدكتور شهبندر لم يتبدل ولم يتحول عن الاساس الذي كنا نجاهد في سبيله . واول من وضع منهاجنا كان الشهبندر في طليعة حزب الشعب . وخرج قسم منا للثورة واخذ الباقون المعتقل في ارواد وكنا في هذه المدة نتراسل ونتواصل واتى دي جوفنيل الى هذه البلاد واتفقنا على برنامج وهو لا يختلف كثيرا عن المبادىء الاولى التي كنا ندعو اليها قبلا . ولكن حكومة دي جوفنيل لم توافق على برنامجنا وقامت الكتلة الوطنية، وهي ليست حزباً بل هي عبارة عن مجموع الامة، تطالب بحقوقها المسلوبة واستمررنا بالعمل والفنا الجمعية التأسيسية ولكن لم نلبث ان اختلفنا مع السلطة ،

وحلت الجمعية . وقمنا نكافح في داخل البلاد . واذعنا على الامة بياناً يبدأ على اثره الكفاح وذلك بعد وفاة المرحوم هنانو . وفي هذه الاثناء كنا مع الدكتور شهبندر على اتفاق تام وعلى اتصال مستمر باخواننا في خارج البلاد . ولما كنت في حمص لوضع أسس الكتلة وتأليف نظامها كتبت الى الزعيم الشهبندر وارسلت اليه نسخة من مشروع البرنامج الذي وضعناه فنقحه وارجعه الينا واخذنا ملاحظاته بعين الاعتبار . ونحن نحسبه عضواً معنا عاملا مقدماً نخابره ونراسله ونستشيره ونعتمد على آرائه . وكذلك الاخ حسن الحكيم والاخ سعيد حيدر وباقي الاخوان .

« وحين قال الاخ لطفي الحفار ان هؤلاء الاخوان لا يحسبون غرباء يوم يزورون الكتلة كان يستند في قوله هذا الى الحقائق . وقد صرح الدكتور شهبندر انه رفيقنا ومشترك معنا ومتحد مع الكتلة بوصفها قائمة على مبادىء هي رمز للعقيدة الوطنية وليست تقوم على الاشخاص . فالكتلة نفسها رمز لمبادىء تدين بها الامة جمعاء ولا ترى تأليف الاحزاب في هذا الدور مؤتلفا مع المصلحة العامة . وهي تدعو الجميع للاشتراك معنا والقيام بهذا العبء . . . لقد كان الكل متفقين من حيث المبدأ على خطتنا . واننا نكره النظر الى الجزئيات بالنظر الشخصي ونكتفي بالعقيدة والايمان . وعلى ذلك نؤكد للزعيم الشهبندر ان الكتلة ما زالت عند حسن ظنه . وهي ترحب بكل شخص من اصحاب هذه الحقيقة وتدعوه للاشتراك معها . . . وعلى ذلك لا ارى اقل فرق بين الكتلة الوطنية وبين الشهبندر . فقد كنا نقرأ مقالاته وخطبه ، ونطلع على مراميه السياسية ، فلا نجد فرقاً بيننا وبينه . وبعد رجوعه اصبح على مقربة من العمل العظيم فيستطيع ان يقوم بما اوتي من المواهب والاخلاص والوطنية وثقة الشعب ومحبة الناس وخدمة الامة وان يمد يده الى الكتلة لتنهض بهذا العبء . وتجرب ان تخفف ما تئن البلاد تحته من المصاعب والويلات والسلام » .

لم تكن هذه الدعوة التي وجهها فارس الى الشهبندر للاشتراك مع الكتلة في تحمل المسؤوليات موفقة . ويظهر ان اوجه الخلاف كانت متعددة بين الشهبندر وبين القائمين على الحكم . وقد نشر الشهبندر بيانا عند عودته من مصر في نهاية ١٩٣٧ اتهم فيه رئيس الوزراء بالتساهل مع الفرنسيين ، وبعدم قيامه بالواجب الكافي في قضية لواء

الاسكندرون ، مما ادى بعد مدة الى اعتقال بعض اعوان الشهبندر . وقد نشرت بيانات اخرى ضد الحكومة كان من نتيجتها انه عندما عاد الشهبندر ثانية من مصر في تموز ١٩٣٨ اجبر على الاقامة في منزله وانقضى العهد الوطني بدون ان يحصل تعاون بينه وبين رجال الحكومة القائمة .

دفاع فارس عن الحياة البرلمانية في اواخر العهد الوطني (١٩٣٩) :

استدعت حكومة فرنسا المفوض السامي دي مارتيل وعينت مكانه كابريل بيو (Puaux) فوصل في اوائل كانون الثاني ١٩٣٩ واتضح انه قادم لدفن المعاهدة والعودة الى سياسة الانتداب وظهر ذلك في الخطاب الذي اذاعه في ١١ كانون الثاني (يناير) حيث تحدث عن فرنسا ورسالتها في الشرق . وكانت السلطة الفرنسية تتمسك بالصلاحيات الهامة وترفض تسليمها للحكومة الوطنية . كما انها كانت تقرر القوانين مع وجود البرلمان السوري . ولذلك فان حكومة جميل مردم بك ارسلت في شهر شباط (فبراير) ١٩٣٩ مذكرة الى المفوض السامي (مبنية على قرار المجلس النيابي السوري في ٣١ كانون الاول ١٩٣٨) قالت فيها ان قراراته ليس لها صفة القانون وان الحكومة ستأخذ السلطات من الدولة المنتدبة . وذكرت بان السلطة الفرنسية تشجع الحركات الانفصالية ، كما ان الحكومة ارسلت الى المحاكم بان لا تطبق قانون الطوائف الذي اصدره المفوض السامي سابقا . عند ذلك تأزمت الامور وفي ١٨ شباط (فبراير) طلب المفوض السامي الى الوزارة سحب امرها للمحاكم ومذكرتها . فرفضت الوزارة ذلك وقدمت استقالتها . وقد جاء في كتاب استقالة جميل مردم بك الى رئيس الجمهورية :

« بناء على تطور الموقف السياسي الاخير ، وتعذر الاستمرار على العمل ، اجتمع مجلس الوزراء وقرر تقديم استقالة الحكومة من اعباء الحكم . لذلك اتشرف بتقديم استقالتها راجياً قبولها ، حافظاً لمقامكم السامي اخلص عواطف الاحترام ، مع الدعاء بان يأخذ المولى بيدكم لانقاذ هذه الامة وايصالها لامانيها وتفضلوا بقبول فائق احترامي » .

كان المجلس النيابي في عطلة عندما استقالت حكومة جميل مردم بك . وبعد خمسة ايام من تقديم الاستقالة (٢٣ شباط ١٩٣٩) صدر المرسومان ١٦٩ و ١٧٠ بقبول الاستقالة من جهة وبتسمية لطفي الحفار رئيسا للوزارة مع وكالة وزارة المعارف من جهة اخرى . وكان الوزراء الآخرون : مظهر رسلان للداخلية ووكالة الدفاع ، فائز الخوري للمالية ووكالة الخارجية ، نسيب البكري للعدلية ، وسليم جنبرت للاقتصاد .

دامت وزارة لطفي الحفار اقل من شهر واستقالت في ١٧ آذار . ولم يكن هنالك مجلس لاخذ ثقته لان المجلس كان لا يزال في عطلة . وقد ذكر لطفي الحفار في اسباب استقالته « ان الجانب الفرنسي يريد فرض اوضاع تخالف الاسس التي اتفق عليها لانه دخل الحكم ليمثل حكماً نيابيا دستوريا استقلاليا بعيدا عن شوائب الانتداب وفرض الادارة الاجنبية . ولكن وجد نفسه امام احداث لا يمكن الصبر ولا السكوت عليها » .

بينما كانت الازمة الوزارية والوطنيه قائمة ، بعد استقالة لطفي الحفار ، عقدت الجلسة الاولى للمجلس النيابي في دورته العادية الخامسة في ٢١ آذار سنة ١٩٣٩ . ولكن لم يحضر الجلسة سوى ٤٥ نائبا . وقد ذكر النائب صبري العسلي ان السبب كان التدابير العسكرية التي احتاطت لها قوة الامن العام ، والحواجز التي اقيمت في مفارق الطرق المؤدية الى المجلس حتى ان النائب احسان الشريف اضطر ان يطوف بسيارته جميع الطرق الموصلة الى المجلس ولم يتمكن من الوصول اليه . فذهب الى فندق اوريان بالاس ثم عاد مع بعض اخوانه يرافقهم احد رجال الشرطه ، وقد احتج صبري العسلي على هذه التدابير التي لا تتفق مع الحياة الدستورية القائمة وايده النواب . واجل فارس الخوري الجلسة الى مساء ٢٨ آذار .

كان فارس يدافع من الحياة البرلمانية الدستورية في كل مناسبة . وقد ثار لما فعله

الافرنسيون من منع نواب الامة من الوصول الى البرلمان . فارسل في ٢٢ آذار كتاب احتجاج الى مندوب المفوض السامي في دمشق صاغه بلغة رزينة جاء فيه :

« اتشرف بان انهي الى علمكم ان عددا كبيرا من حضرات النواب السوريين امتنعوا عن حضور جلسة امس التي افتتحنا بها الدورة البرلمانية العادية بسبب التدابير العسكرية التي اتخذتموها في جوار بناء المجلس ، وبعثوا الي كتبا بذلك . كما ان الذين حضروا الاجتماع من النواب احتجوا بالاجماع على هذه التدابير المخالفة للمادة ٦٥ من الدستور السوري . وطلبوا رفع الحواجز عن النواب وعن المستمعين الذين يحملون بطاقات الدخول من مراقبي المجلس . فاطلب اليكم ان تصرفوا النظر عن هذه التدابير في الجلسة القادمة التي عينا موعدها في الساعة الرابعة من بعد ظهر الثلاثاء القادم في ٢٨ اذار الجاري ودمتم محترمين . »

وقد اجاب المندوب انه احاط المفوض السامي بكتاب فارس لرفع «تدابير الامن» التي اتخذت في ٢١ منه . وان المسيو بيو اخبره ان ما سيقرره بهذا الشأن يتوقف على حالة الامن في دمشق . وانه سينبئهُ عن ذلك عند صباح انعقاد المجلس . ثم تلقى فارس كتاباً من المندوب يبلغه ان التدابير قد اُزيلت واصبح المجلس في حرية الاجتماع كالعادة .

عقدت جلسة المجلس في ٢٨ اذار ١٩٣٩ فقام فارس يطلع النواب بصدق على ما حصل في البلاد اثناء العطلة ويصور لهم الوضع الراهن . فاخبرهم عن استقالة وزارة جميل مردم بك ثم وزارة لطفي الحفار وعن رفض اكثرية النواب الدخول في الحكم ، وقال ان الرئيس الاول يعالج القضية من وجهتيها ، فهناك الازمة السياسية مع المرجع المختص اي السلطة الفرنسية ولا ادري اين تنتهي مساعيه ، وهنالك الازمة الوزارية والاستشارات بشأن حلها لم تنته بعد . وقد جرت احداث بين دورتي المجلس السابقة والحالية . منها ان السلطة الفرنسية استلمت ادارة الامن العام في محافظة

اللاذقية كما استلمتها في دمشق . ثم طلب من جميل مردم بك اذا كان يريد ان يدلي للنواب بشيء . فطلب تعيين جلسة خاصة ليدلي بما لديه عن اعمال حكومته بسبب الحملة السياسية المغرضة الطائشة المغذاة من جهات مختلفة التي انبرت عليه بوصفه الرئيس المسؤول عن هذه الحكومة التي ادت اكبر خدمات للبلاد لانه يريد ان يؤدي حسابا للمجلس ويهدم هؤلاء الهدامين الذين جروا البلاد الى هذه الحالة .

دامت الازمة الوزارية نحو عشرين يوماً بعد استقالة وزارة لطفي الحفار . وفي ٥ نيسان (ابريل) ١٩٣٩ صدر المرسومان ٣٣٧و٣٣٨ قبلت بموجبهما استقالة لطفي الحفار من جهة وتشكلت وزارة نصوحي البخاري من جهة اخرى . وقد تشكلت الوزارة على الوجه الآتي : نصوحي البخاري لرئاسة الوزارة والداخلية والدفاع ، خالد العظم للعدلية والخارجية ، حسن الحكيم للمعارف ، محمد خليل مدرس للمالية ، سليم جنبرت للاقتصاد الوطني .

لم تتمكن وزارة نصوحي البخاري من تقديم بيانها الوزاري للمجلس والحصول على الثقة ، لانها لم تشأ ان تتقدم الى المجلس ببيان قبل التأكد من نيات الفرنسيين . غير ان بقاءها في الحكم بدون المثول امام المجلس كان مخالفا للتقاليد والانظمة البرلمانية . ولذلك نرى فارس الخوري الحريص على هذه التقاليد يذكر رئيس الوزارة اكثر من مرة بوجوب المثول امام المجلس . ففي ١٣ نيسان (ابريل) اي بعد تشكيل الوزارة بثمانية ايام ارسل الى نصوحي البخاري يقول :

« اتشرف باعلامكم ان مجلس النواب يعقد جلسته القادمة في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم السبت في ١٥ نيسان (ابريل) وارجو تشريفكم مع حضرات الوزراء لحضور الجلسة . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

فيجيب نصوحي البخاري في يوم انعقاد الجلسة (ابريل) ١٥ نيسان انه « بسبب ان البلاد قلقة على مصيرها السياسي ، ويتحتم قبل كل شي تحقيق مطالبها

الوطنية وان هناك مباحثات لم تنته بعد. لذلك تؤجل الحكومة تقديم بيانها ريثما يصدر من الجانب الافرنسي التصريح الذي يبعث الارتياح والثقة في النفوس على ذلك المصير. ومتى وجدت الحكومة انه اصبحت لديها الوسائل التي تستطيع معها المثابرة على القيام باعباء الحكم ، فانها تطلب الى المجلس ان يعين جلسة تتقدم فيها اليه ببيانها » .

وقام فارس مرة ثانية يذكر الحكومة بوجوب المثول امام المجلس . فارسل كتابا آخر في ١٦ نيسان (ابريل) الى رئيس الوزارة يقول فيه بان المجلس سينعقد في ١٨ نيسان (ابريل) وانه يؤمل حضوره مع سائر الوزراء. فاجاب رئيس الوزراء في يوم انعقاد المجلس (١٨ نيسان) بان الظروف التي الجأت الحكومة الى كتابها السابق ما زالت باقية. وقد استنكر نواب المجلس هذه الحالة ورغبوا في تحديد جلسة بعد اسبوع لكي يحضرها اعضاء الوزارة . وتكلم فارس فقال انه سيدعو الوزراء الى الجلسة القادمة التي ستنعقد في ٢٥ نيسان (ابريل) لسماع بيانهم وحلولهم للمشكلة السياسية . ولكن حصل في اليوم التالي (١٩ نيسان) انه صدر مرسوم عن رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة بتأجيل اجتماع المجلس النيابي شهرا من ٢٠ نيسان (ابريل) حتى ٢٠ ايار (مايو) سنة ١٩٣٩ .

غادر المفوض السامي البلاد السورية في هذه الاثناء ليتصل بحكومته وعاد في ١٠ ايار (مايو). وبعد ثلاثة ايام من وصوله اصدر بياناً يفهم منه ان فرنسا تريد الوصول الى اتفاق نهائي على اساس مبادىء المعاهدة . وانها تريد ايجاد نظام خاص للمحافظات . وان السلامة الخارجية تستدعي تنظيما جديداً للتعاون العسكري بين فرنسا وسورية . وكانت نتيجة هذا البيان ان استقالت وزارة نصوحي البخاري في ١٥ ايار (مايو) « لانه قد تعذر تحقيق الاسس التي اخذت على عاتقها القيام بها » .

لم تتشكل وزارة جديدة بعد ١٥ ايار (مايو) وبقيت وزارة البخاري تسير اعمال الدولة حتى قبيل استقالة رئيس الجمهورية في ٧ تموز (يوليو). واستأنف المجلس النيابي جلساته بعد ٢٠ ايار (مايو) واعلن اصراره على التعلق بمعاهدة ١٩٣٦ كاساس وحيد

للتعاون مع فرنسا . وكانت آخر جلسات الدورة العادية في ٣١ ايار (مايو) سنة ١٩٣٩ .

اضطر هاشم الاتاسي اخيرا ان يقدم استقالته من رئاسة الجمهورية في ٧ تموز (يوليو) ١٩٣٩ بسبب اتضاح موقف الافرنسيين وعدم امكان معالجة الازمة الوزارية التي مضى عليها اكثر من خمسين يوما . ولذلك وجه كتابا الى رئيس المجلس النيابي جاء فيه :

« . . . وقد ذهبت ضياعا تلك الآمال التي توجهنا بها الى سياسة التحالف والتعاقد . وشهدنا عودة الى اساليب قديمة وتجارب جديدة تناقض ما تعاهدنا عليه ودخلنا الحكم على اساسه . . . ولذلك لا ارى بدا من الاستقالة من المنصب الذي وكلت الي الامة القيام به ، ووثقت بي في تحمل اعبائه ، راجيا ان يكون في الايام المقبلة ما يخفف عنها العناء ، ويحقق لها ما تصبو اليه من الكرامة والمجد . »

فتوى فارس بعد استقالة الاتاسي واحتجاجه على قرار المفوض السامي

(٨ تموز ١٩٣٩) : توقع فارس الخوري الخطر الذي كان يحدق بالنظام الدستوري البرلماني، بسبب استقالة الوزارة من جهة، واستقالة رئيس الجمهورية من جهة اخرى . فقام يسعى لتفادي الاحداث التي كانت السلطة الفرنسية تنتظر الظرف المناسب لاعلانها . فقد افتى بان الدستور يسمح لوزارة نصوحي البخاري المستقيلة بالعودة الى الحكم . وارسل كتابا الى البخاري يفتي له بشرعية قيام وزارته بالاضطلاع بصلاحيات رئاسة الجمهورية بالوكالة . فقبل البخاري الفتوى واستدعى الوزراء المستقيلين الى دار الحكومة . فلبوا الدعوة وعقدوا اجتماعا برئاسته قرروا فيه قبول نظرية رئيس المجلس . اما كتاب فارس الى رئيس الوزارة في ٨ تموز فقد جاء فيه :

« يؤسفني ان اعلمكم بان حضرة صاحب الفخامة الرئيس الجليل السيد هاشم

الاتامي ارسل الي اليوم كتاب استقالته من رئاسة الجمهورية . وعملا بحكم الفقرة الاولى من المادة ٨٦ من الدستور دعوت مجلس النواب للاجتماع في الساعة الخامسة بعد الظهر من يوم الاربعاء ، الواقع فيه ١٢ تموز (يوليو) الحالي . وحيث ان المادة ٨٤ من الدستور تنص على قيام مجلس الوزراء بمهام السلطة التنفيذية بالوكالة عند خلو سدة الرئاسة ، والمادة ٧٥ تنص على ان رئيس الجمهورية يعين الوزراء ويقبل استقالتهم ، وحيث ان هذا القبول يجب ان يتم بنفس الاسلوب الذي جرى فيه التعيين ، واستقالة وزارتكم التي قدمتموها لفخامته بتاريخ ١٥ ايار الماضي لم تقبل بعد بالصورة الدستورية الواجبة ، اذ ان فخامة الرئيس استقال من الرئاسة ، بدون ان يصدر مرسوما بقبولها وتنصيب مجلس وزراء يحل محل مجلسكم ، نرى من المقتضى الدستوري ان تبقوا مضطلعين بالمهمة الوزارية ، الى ان يبت المجلس في قضية رئاسة الجمهورية ليؤلف مجلس الوزراء الجديد على الاصول ، راجين ان يوافق ذلك رأيكم الموفق الى الصواب وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

وقد ناقش بعض الكتاب [1] عمل فارس الخوري وفتواه . فادعوا ان رئيس المجلس قد تجاوز صلاحياته باعادة الوزارة الى الحكم . وانه اتخذ لنفسه صلاحية رئاسة الجمهورية لان الوزارة التي استدعاها كانت مستقيلة . وكانت تدير الاعمال حتى ٤ تموز (يوليو) حين اصدر رئيس الجمهورية كتاباً (وليس مرسوما) بقبول استقالتها . على ان الذي يبرر عمل فارس هو انه لم يصدر مرسوم بقبول استقالة الوزارة من جهة ، وان عمله كان محاولة لانقاذ الموقف ولتجنب الخطوة التالية التي اعلنها المفوض السامي من جهة اخرى . اما هذه الخطوة فهي انه في ٨ تموز (يوليو) (اي في نفس اليوم الذي حاول فيه فارس القيام بعملية الانقاذ هذه) اصدر المفوض السامي القرار رقم ١٤٤ ل . ر . الذي جاء فيه :

« بناء على صك الانتداب المعقود في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ وبناء على المرسوم المؤرخ في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ ، المتضمن صلاحيات المفوض السامي ، وبناء على

---

(١) راجع جريدة الف باء الدمشقية عدد ٩ تموز ١٩٣٩ بشأن كتاب فارس الخوري ومناقشة فتواه .

قرار المفوض السامي رقم ٣١١١ المؤرخ في ١٤ ايار (مايو) ١٩٣٠ المتضمن اعلان الدستور السوري ، وبناء على استقالة مجلس وزراء سورية بتاريخ ١٥ ايار (مايو) ١٩٣٩ واستقالة رئيس الجمهورية بتاريخ ٧ تموز (يوليو) يقرر :

مادة ١ – يوقف موقتاً تطبيق دستور الدولة السورية فيما يتعلق بتنظيم وسير السلطة التنفيذية والتشريعية .

مادة ٢ – يحل مجلس النواب ويعين فيما بعد تاريخ الانتخابات الجديدة .

مادة ٣ – يعهد بتأمين السلطة التنفيذية تحت مراقبة المفوض السامي الى مجلس يؤلف من مديري المصالح العامين برئاسة مدير الداخلية العام » .

وفي نفس النهار صدر قرار المفوض السامي رقم ١٤٥ ل. ر. بتأليف مجلس المديرين العامين ، الذي اصبح له صلاحية اصدار مراسيم اشتراعية تصبح نافذة بعد موافقة المفوض السامي . وقد صرّح المفوض السامي ان الجمهورية الافرنسية ، وان تكن لا تريد ان تدع اي شك يخامر النفوس من ناحية وجود فرنسا في الشرق ، فانها لا تزال رغماً عن تقلبات الظروف الحاضرة امينة على اهدافها العامة الدائمة في سورية ، وان فترة الانتظار التي يصار اليها موقتاً في الشؤون السياسية ، لا تتعارض مطلقا مع عزم فرنسا على المفاوضات كي تعقد مع سورية معاهدة ، كما ان عطلة السلطات المحلية في الوقت الحاضر لا تنشأ عنها تعديلات في نظام البلاد .

استلم فارس الخوري قرار المفوض السامي بتعليق الدستور وحل المجلس النيابي ، بعد استلام كتاب استقالة رئيس الجمهورية بنحو عشر ساعات . فلم يقف مكتوف اليدين . بل تحمل الصدمة برباطة جأش . وبعد ان فكر وحلل حيثيات القرار ارسل الى المفوض السامي كتاب احتجاج نقد فيه الاسباب التي حملته على تعليق الدستور وحل المجلس واظهر بطلانها . وهذا ما جاء في الكتاب :

« في منتصف الساعة العشرين من يوم السبت في ٨ تموز (يوليو) ١٩٣٩ زارني

من قبلكم ، في مكتب البرلمان ، معاون المندوب المسيو ليموان . وسلمني نسخة من قرار فخامتكم ذي الرقم ١٤٤ المؤرخ في ذات اليوم وفيه تعليق الدستور السوري وحل مجلس النواب. فبصفة كوني رئيسا لهذا المجلس اتشرف باستماحتكم عذراً لابدي بعض الملاحظات على هذا القرار ، راجياً من فخامتكم ان تعيروها ما تستحقه من اهتمامكم ، واكون شاكرا لكم اذا تفضلتم وقدمتموها الى رئاسة مجلسي الشيوخ والنواب في البرلمان الفرنسي ، والى امانة السر العام في جمعية الامم .

« انا لا اتعرض يا سيدي الى وجهة نظركم في تبرير اتخاذكم مثل هذا القرار . ولكني اتساءل عن حيثية المرسوم الجمهوري الذي اصدره فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ قبل تقرير الانتداب على سورية ، محدداً فيه صلاحيات المفوض السامي في بلاد العدو المحتلة . واسمح لي ان اشك في جواز الاستناد الى هذا المرسوم في حيثيات القرار . اذ انه بعد تبدل تلك الحال ، وارتباط الوضع الحقوقي السياسي لسورية بجمعية الامم ، ووضع صك الانتداب في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ يبقى مجال للقول ان هذا الصك اصبح وحده المرجع السياسي لتعيين صلاحيات المفوضية الفرنسية في سورية . اما الدستور الذي نشره سلفكم المسيو بونسو في ١٤ ايار (مايو) ١٩٣٠ وقدمته الحكومة الفرنسية لجمعية الامم فوافقت عليه وسجلته عندها كوثيقة واجبة التنفيذ ، فهنا ايضا مجال للتساؤل عما اذا كان هذا الدستور بعد اكتسابه تلك الصفة ، واستمرار حالة التنفيذ بضع سنين ، يبقى عرضة للتعليق والتعطيل من قبل طرف واحد من واضعيه .

« لم اجد في حيثيات هذا القرار سببا لاتخاذه سوى ما جاء في الفقرة الاخيرة من الحيثيات عن استقالة مجلس الوزراء واستقالة رئيس الجمهورية . وهنا اجد نفسي عاجزاً عن ادراك الصلة بين هذه الاستقالة وبين تعليق الدستور وحل مجلس النواب . نعم ان رئيس الوزراء رفع كتاب استقالته لرئيس الجمهورية في ١٥ ايار (مايو) الماضي والرئيس طلب الى الوزارة الاستمرار في العمل الوزاري الى ان يتألف مجلس وزراء جديد يحل محلهم . وهم وافقوا على هذا التكليف وداوموا على العمل الى ان تبلغوا قراركم في ٨ تموز (يوليو) وهذا الاستمرار واجب دستوري . اذ ان رئيس الجمهورية

لم يصدر مرسوما بقبول استقالتهم ايجاباً للمادتين ٧٥ و ٣٦ من الدستور . فالوزراة تعتبر والحالة هذه قائمة والاعمال الوزارية جارية مجراها .

« اما استقالة رئيس الجمهورية فقد استلمت الكتاب بشانها في الساعة التاسعة من صباح ٨ تموز (يوليو) وبالحال عملت بموجب الفقرة الاولى من المادة ٨٦ من الدستور . ودعوت مجلس النواب للاجتماع لانتخاب رئيس جديد في غضون المهلة المعينة في تلك المادة . كما انني كتبت في الحال الى رئيس مجلس الوزراء ان يضطلع مجلسه بوظائف رئيس الجمهورية ، الى ان يبت مجلس النواب في جلسة ١٢ تموز (يوليو) بقضية الرئاسة ، ويؤلف مجلس وزراء جديد ، وذلك بمقتضى المادة ٨٤ من الدستور .

« من ذلك ترون فخامتكم ان الواجب الدستوري في هذه الحادثة كان من جهتنا محترما تمام الاحترام . وكان مجلس الوزراء قائماً بمهامه الوزارية والجمهورية عند اتخاذكم قرار تعليق الدستور . وبناء على ما ذكر تعذرونني على اعتباري الصلة مفقودة بين السبب وبين النتيجة . انا لا ارى سبباً لحل مجلس النواب قبل ان يفسح له المجال للقيام بالواجب الذي فرضته عليه المادة ٨٦ من الدستور وانتخاب رئيس جديد . ولقد تلقيت كتاب استقالة الرئيس صباحاً ودعوت النواب حالا للاجتماع . وفي مساء ذلك اليوم تلقيت قرار كم بحل مجلس النواب . فهل بدا منه عمل غير دستوري او انه امتنع عن القيام بواجبه حتى جنحتم الى حله ؟ . ان استقالة الوزارة واستقالة رئيس الجمهورية لا تكون سببا لحل مجلس النواب وتعطيل الدستور . فقد استدرك الدستور نفسه هذه الاحداث وبين طرق معالجتها وقد قمنا بهذه المعالجة .

« لا ارى من حاجة لاطالة الشرح بهذا الامر فاكتفي بما تقدم . معرباً لفخامتكم عن رأيي المتواضع حيال هذا القرار . ورجائي ان تتفضلوا باعادة النظر فيه ، وفي ما سبقه او تلاه من القرارات المخلة بحقوق السوريين وحياتهم النيابية حرصا على المصلحة المشتركة لفرنسا وسورية » .

التوقيع

فارس الخوري

كانت حجة فارس في بطلان قرار المفوض السامي، وعدم وجود صلة بين استقالة الوزارة ورئيس الجمهورية وبين تعليق الدستور وحل المجلس حجة قاطعة، وكان هذا الاحتجاج بشكله القانوني وروحه الكبيرة مظهرا من مظاهر مقدرة فارس كرجل قانون وسياسة. غير ان المفوض السامي لم يعد النظر في قراره. وذلك تبعاً لخطة رسمتها حكومته وبقيت الحياة الدستورية معلقة حتى عام ١٩٤٣.

فارس في المؤتمر البرلماني العربي بالقاهرة ١٩٣٨ : كانت الثورة قائمة في فلسطين في صيف ١٩٣٨ وكانت الامور تتطور من سيء الى اسوأ عندما تلقى فارس الخوري كتاباً في اواسط حزيران (يونيو) من محمد علي علوبة باشا يخبره فيه عن تشكيل لجنة برلمانية مصرية للدفاع عن حقوق فلسطين ضد مصائب الصهيونية ويدعوه للاشتراك مع الهيئة النيابية السورية في المؤتمر البرلماني العربي الذي سيعقد في شهر تشرين الاول (اكتوبر). فاجابه فارس في اواخر حزيران (يونيو) بان «نواب سورية سيكونون عند حسن ظنكم، ومن السباقين لتحقيق الغاية المرجوة. ومن اولى منهم بذلك والاهل اهلوهم والديار ديارهم، ولا ريب انهم يتلقون بالاغتباط والنشاط فكرة عقد مؤتمر من شيوخ البلاد العربية ونوابها للاعراب عن عواطف الامة العربية في هذه القضية الخطيرة، واقرار منهاج عملي للنجاة من هذه الكارثة. ويكبرون فيكم اصالة الرأي، وسداد الفكر. ويسجلون لكم فضيلة السبق الى دعوة مستجابة وعمل مبرور. وسوف اتقدم اليكم بما يبدو لنا من التفاصيل».

طلب فارس من لطفي الحفار نائب رئيس المجلس النيابي ثم من عفيف الصلح نائب دمشق الاضطلاع برئاسة الهيئة النيابية السورية في المؤتمر المنوي انعقاده في القاهرة. ولكن ظروفاً غالبة منعتهما عن القيام بهذه المهمة. فتوجه فارس على رأس وفد من النواب الى المؤتمر الذي افتتح في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٨ في

قصر آل لطف الله في الجيزة حيث احدث مقاعد لخمسة عشر الف شخص . وكانت الوفود البرلمانية من مختلف البلاد العربية والاسلامية ، وبينها رؤساء المجالس النيابية الثلاثة في مصر والعراق وسورية . وقد ترأس المؤتمر بهي الدين بركات باشا رئيس مجلس النواب المصري . والقى محمد علي علوبة باشا كلمة مصر ، ومولود مخلص باشا كلمة العراق وكان ثالث المتكلمين فارس الخوري . وكان يتمتع بمكانة محترمة في الاوساط السياسية والادبية . فلما صعد المنبر حيته الجماهير وهتفت لسورية طويلاً كما فعلت عندما اطل حين دخول الوفود ومعه وفد سورية حيث وقفت له الجموع وحيته بالتصفيق المتواصل عدة دقائق . ونادت بحياة سورية المجاهدة . ولما اتى الى الكلام عن فلسطين قال ما معناه « لقد أفسد علي زميلي الاستاذ علوبة باشا الخطاب الذي اعددته » ولذلك طوى اوراقه واتخذ وضعية خطيب الجماهير . واخذ يتدفق باسلوب اخاذ ويسرد حوادث الشام ويدعم اقواله بالاسانيد والارقام ويعمل بلباقة الدبلوماسي في تلطيف الجو كلما كهربته صورة الحادثات المتراكمة على سورية في جنوبها وشمالها . ومضى في هذا الاسلوب يلعب بالمشاعر ويستثير النفوس . ولما جاء دور الكلام عن المقترحات وقام يدعو الناس الى الاشتراك مع رجال المؤتمر في استنكار الافاعيل القاسية التي يقوم بها الانكليز من تقتيل وتدمير ومظالم يتزلونها بالناس جميعاً ، الثائرين والساكنين الامنين ، وبعد الجهاد القائم جهاداً مشروعاً باعتباره دفاعاً عن كيانهم المهدد بالفناء . - لما اخذ يذكر هذه المقترحات انقلب الجميع الى بركان يقذف الحمم ويستنزل غضبه على الاستعمار والمستعمرين .

كانت كلمة فارس طويلة تستغرق كتابتها اكثر من عشرين صفحة وقد وردت في الكتاب الاحمر الذي وضعه على اثر عودته من المؤتمر . وقد قدر لفارس ان يلقي فيما بعد عشرات الخطب في الدفاع عن عروبة فلسطين في الاندية والمعاهد والمؤتمرات والهيئات الدولية وخاصة في هيئة الامم المتحدة وفي مجلس الامن الدام منذ ١٩٤٦ (وسنتكلم عنها في فصل خاص يتعلق بنشاطه في هيئة الامم) . وقد سرد في هذه

الخطبة تاريخ العبرانيين منذ عهد ابراهيم الخليل الى اليوم وقال « ان تاريخهم القديم المسرود في التوراة مملوء بالوجائع والفظائع • واحتلالهم كما هو معترف به في ذلك التاريخ كان قائما على قرض (افناء) السكان اصحاب البلاد الاصليين وابادتهم • وقد مضى عليهم حتى اليوم تسعة عشر قرنا ، وهم متفرقون في اقطار الدنيا • لا يجمعهم كيان سياسي وانما ظل البعض منهم يمنون انفسهم بآمال خائبة باعادة سيرتهم الاولى واغتصاب القطر الفلسطيني من سكانه ليجعلوه وطنا قوميا ويقيموا فيه معالم الدولة التي تمتعوا بها في قسم منه مدة ثلاثة قرون وعجزوا عن الاحتفاظ بها ستة وعشرين قرنا • • • » ثم ذكر المستمعين « ان اوربا باسرها حاولت انتزاع فلسطين من ايدي العرب في حملاتها الصليبية فلم تفلح الا امداً قصيرا ، عادت بعده بالخيبة والندم • فكان على الصهيونية ومناصريها ان يعتبروا سوابق التاريخ ويستفيدوا من عبره البارزة ولا يتآمروا لاقتحام مشروع محروم من مبادىء العدل وعناصر النجاح ». وبعد ان اوضح ان فلسطين هي قسم من سورية وان تقارير اللجان الملكية البريطانية تقر بذلك قال « فاقدام الحلفاء على الفصل بين فلسطين وسورية ، وافراد كل منهما باحكام خاصة ، ومقدرات متباينة ترمي الى السلب والغصب ، هو اعتداء على الامر الواقع وعلى الحقائق التاريخية ، وامتهان لحقوق الشعوب وامانيها ، وازدراء لقواعد العدل وحقوق الانسان التي تباهي مدنيتهم الحاضرة بحرمتها وحمايتها • » كذلك ذكر ان فكرة الوطن القومي التي قامت في رؤوس بعض زعماء اليهود منذ القرن التاسع عشر جرت على اليهود الويلات والمصائب واثارت ضدهم نقمة عامة في اكثر البلاد التي يقطنونها آمنين • ورد على الصهيونيين بانه اذا كان لهم في فلسطين اقداسا دينية تهوي اليها نفوسهم فان النصرانية ايضاً لها اقداس تفوق في قيمتها الدينية وفي كثرتها اقداس اليهود • فلم تمد اطماعها الى انشاء سلطان سياسي على تلك الاقداس • بل هي قانعة بسلامة الاماكن المقدسة وحرية الزيارة في حماية السلطة المحلية • واكد بان العرب لا يضمرون شرا لليهود بل يعطفون عليهم • وقد ساكنوهم في جميع اقطارهم بالمودة والالفة دون ان يؤذوهم او يوقعوا بهم ضروب الاضطهاد على مثل ما

تمسكوا به في معظم البلاد الاخرى . فهم معدودون في الاسلام من اهل الكتاب الموصى بمعاملتهم بالحسنى. وتطرق الى سياسة الانكليز، والى استمرار الهجرة، والى المحاباة في ادارة الانتداب، حتى نضب صبر العرب، واستماتوا في الذود عن حياتهم قبل ساعة الانهيار .

كانت مقترحات الوفد السوري في المؤتمر : استنكار الافاعيل القاسية التي يقوم بها الانكليز واعتبار الجهاد القائم في فلسطين جهاداً مشروعاً لان العرب يدافعون فيه عن كيانهم . ودعوة الشعوب العربية والاسلامية لمد يد المعونة باشكالها لسكان فلسطين ولنجدة المنكوبين، ودعوة كل شعب عربي واسلامي ان يطالب حكومته بوجوب اعلان موقفها من الحكومة البريطانية، واعلامها بتعذر اقامة علاقات المودة معها ما دامت ماضية في اساليبها المرهقة في فلسطين . اما قرارات المؤتمر عامة فكانت وجوب ابطال وعد بلفور، ومنع الهجرة اليهودية، ومنع تقسيم فلسطين، وانشاء حكومة دستورية فيها، واعادة السلام، والعفو عن المحكومين وحث حكومات العرب والاسلام على تنفيذ هذه القرارات . وقد سافر وفد الى لندن برئاسة علوبة باشا ليبلغ الحكومة البريطانية المقررات التي اتخذها المؤتمر البرلماني العربي العالمي .

كان فارس موضع رعاية المصريين واحترامهم اثناء اقامته للمرة الاولى في مصر ؛ وقد كانت زيارته للقطر المصري كرئيس البرلمان السوري والخطب التي القاها في المؤتمر وفي الحفلات والمفاوضات والاحاديث بينه وبين رجال السياسة والقانون — كانت هذه جميعها من بواعث شهرته واحلاله محل الاعزاز والاكرام في الاوساط المصرية ؛ وكان يتصل بالشخصيات البريطانية في مصر ويسعى في اقناعها بعدالة قضية العرب في فلسطين ؛ وكانت وكالات الاخبار الاجنبية تنقل تصريحاته كما ان مراسلي الصحف يلتفون حوله، فلا يبخل عليهم بالتصريحات ؛ وقد اقام مأدبة كبرى في فندق كونتيننتال لعظماء المصريين ورجالات الشرق تليت فيها الخطب وكان هو اخر الخطباء فيها ؛ وقد ذكر فشل المحاولات التي بذلها الصهيونيون وانصارهم في اقامة العقبات

بوجه المؤتمر لكي لا يطلع العالم على درجة النجاح التي احرزها . فقلبوا الحقائق واوردوا روايات مشوهة اذاعوها في الصحف الاجنبية عن قلة عدد النواب المشتركين في المؤتمر واختلاف الاراء والمناهج ، وعدم اشتراك بعض الدول العربية والاسلامية . هذه المزاعم كلها رد عليها فارس واظهر بطلانها .

وقبل ان يغادر فارس القاهرة كتب الى رئيس الديوان الملكي علي ماهر باشا يرجو منه ان يرفع الى ملك مصر « حمد الوفود وتقديرها لما تعطف جلالته بابدائه نحو المؤتمر من التشجيع والالتفات الرفيع حيث اسبغ على الغاية القومية التي يسعى المؤتمرون اليها شعاعاً من نور يضمن لها الفوز والنجاح » . فاجابه علي ماهر باشا بعد عودته الى دمشق بكتاب مؤرخ في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٣٨ يقول فيه ان « حضرة صاحب الجلالة الملك قد تقبل ما حوته رسالتكم الرقيقة من نبل العاطفة ورقيق الشعور بامثل شكره وامتنانه ، مقدرا لضيوفه الاكرمين ما بذلوه من جهد في سبيل الغاية المشتركة ، ذاكراً لهم بابلغ الثناء ما اظهروه نحو ذاته ونحو بلاده من صادق المودة ووثيق الاخلاص . »

الفصل السابع

بين رئاسة البرلمان ورئاسة الوزارة

١٩٤٣ – ١٩٤٥

خلاصة الاحداث السورية حتى ١٩٤٣ : بدأت الحرب العالمية الثانية في اول ايلول ١٩٣٩ وسورية تحت حكم مجلس المديرين (١). وقد خضعت للتدابير العسكرية التي استوجبتها حالة الحرب من تقنين المواد الغذائية ، ومراقبة المطبوعات والمراسلات ، ومصادرة كل ما يمكن ان يفيد الجيش، وعانت موجة من الارهاق والتضييق على الحريات . وعندما خرجت فرنسا من الحرب مكسورة في تموز (يوليو) ١٩٤٠ اتضح ان سلطات فيشي تريد الاحتفاظ بنظام الانتداب . ولم يلبث ان استبدل المفوض السامي بيو بالجنرال دنتز (بعد مقتل المفوض السامي جان كياب اثناء سفره الى سورية) . وبدأت الاضطرابات في سورية واخذ الوطنيون يسعون للتخلص من الحكم الاجنبي . ونشر شكري القوتلي بياناً ضد حكومة المديرين في شهر اذار (مارس) ١٩٤١ جاء فيه ان الحكم الافرنسي لم يبق له مبرر طالما ان جمعية الامم اوقفت اعمالها . واضطرت حكومة المديرين الى الاستقالة وتشكلت وزارة برئاسة خالد العظم في ٣ نيسان (ابريل) ١٩٤١ وفي عهدها زحفت الجيوش البريطانية وجيوش فرنسا الحرة على سورية ولبنان . وسبب ذلك ان الحلفاء كانوا

---

(١) راجع بشأن تطور هذه الاحداث كتاب جورج حداد : سورية ولبنان في نصف قرن (بالانكليزية) طبع بيروت ١٩٥٠ .

يخشون على مواصلاتهم في الشرق الاوسط . وقد رأوا ان حكومة فيشي الافرنسية في سورية قد تهدد مصالحهم بمساعدتها للالمان . فلما انتهت انكلترا من ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق زحفت جيوشها على سورية في ٨ حزيران (يونيو) من الجنوب والشرق · ودخلت مع قوات فرنسا الحرة الى دمشق في ٢١ حزيران (يونيو) وفي ١٤ تموز (يوليو) احتلت البلاد السورية بكاملها · ووقعت مع الجنرال دنتز الهدنة في عكا . وغادر البلاد عدد من الضباط والموظفين الفرنسيين ليلتحقوا بفرنسا الفيشية بينما بقي عدد منهم وانضموا الى قوات فرنسا الحرة · وعين الجنرال كاترو كمندوب عام في سورية بدلا من الجنرال دنتز ·

وقد حدث تطور في الاوضاع السورية بنتيجة حكم فرنسا الحرة اذ اصدر الجنرال كاترو بياناً في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ اعلن فيه انتهاء الانتداب واستقلال سورية وسيادتها وضمان هذا الاستقلال بمعاهدة تقرر نوع العلاقة بين سورية وفرنسا . وبعد نحو شهرين اعلن كذلك استقلال لبنان في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) . واصبح الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية السورية بقرار من الجنرال كاترو . وتشكلت وزارة برئاسة حسن الحكيم لم يكن فيها احد من رجال الكتلة الوطنية . وقد قابل الشعب هذه الاحداث بعدم الاكتراث ما دام ان الحياة الدستورية لم تستأنف وان الافرنسيين لم يظهروا اهتماماً باعادتها . غير ان الوحدة السورية اعيدت باعلان انضمام منطقة اللاذقية وجبل الدروز الى سورية في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ واخذت الدول الاجنبية تعترف باستقلال سورية . وعينت انكلترا الجنرال ادورد سبيرز وزيراً مطلق الصلاحية في سورية ولبنان في شباط (فبراير) ١٩٤٢ وقد استقالت حكومة حسن الحكيم في نيسان (ابريل) ١٩٤٢ وتشكلت وزارة حسني البرازي . ثم تلتها وزارة برئاسة جميل الالشي في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ . وكان الاستياء يزداد بسبب سوء الحالة الاقتصادية من جهة وبسبب الرغبة في العودة الى الحياة الدستورية وفي الحصول على الاستقلال التام من جهة اخرى . وبرزت الكتلة الوطنية من جديد وطالبت اما باعادة مجلس ١٩٣٩ المنحل او باجراء الانتخابات وكان زعيمها شكري القوتلي . وفي هذه

الاحوال توفي رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين وحصلت ازمـة كانت نتيجتها تقرير استئناف الحياة الدستورية وتشكيل وزارة برئاسة عطا الايوبي في ٢٥ اذار ١٩٤٣ للاشراف على الانتخابات .

فارس رئيس البرلمان السوري ١٩٤٣ : تقرر ان يكون عدد نواب المجلس الجديد ١٢٤ نائباً بينهم ١٦ نائبا عن مدينة دمشق . وكان بين الكراسي المخصصة لدمشق كرسي للاقليات غير الممثلة كما كانت الحال في عام ١٩٣٦ وهو الكرسي الذي انتخب له فارس الخوري . كان فارس في الفترة التي سبقت الانتخابات يعمل مع اخوانه في الحقل السياسي والاقتصادي ويتابع القاء محاضراته في معهد الحقوق . وقد قامت بعض الهيئات تعاكس انتخابه على ان القائمة التي وضعها شكري القوتلي والتي فوضته بوضعها الوفود الكثيرة التي زحفت الى منزله هي التي نجحت بكاملها . وكان من ابرز افرادها فارس الخوري . وقد تمت انتخابات الدرجة الاولى في ١١ تموز ١٩٤٣ وتلتها حفلات انتخابية كثيرة في مختلف الاحياء . كان من اهمها حفلة حي القنوات التي خطب فيها فارس واشار الى خطورة مهمة المجلس القادم ، بعد ان الغي الانتداب ، واصبح الموقف يحتاج الى معالجة الادواء الداخلية والخارجية . كما انه اشار الى زعامة القوتلي والى تضحياته واخلاصه وجهاده المتواصل سبعاً وعشرين سنة والى محاولة انتحاره في خان الباشا في عهد جمال باشا لكي لا يفشي اسرار المجاهدين العرب . وقد تمت انتخابات الدرجة الثانية في ٢٦ تموز (يوليو) واجتمع المجلس النيابي في ١٧ آب (اوغسطس) فانتخب فارس الخوري رئيساً للمجلس . كما انـه انتخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية . وفي ١٩ آب (اوغسطس) ١٩٤٣ كلف سعد الله الجابري بتشكيل الوزارة . فكان اعضاؤها : جميل مردم بك للخارجية ، ولطفي الحفار للداخلية ، وخالد العظم للمالية ، ونصوحي البخاري للدفاع والمعارف ، ومظهر رسلان للاشغال العامة والاعاشة ، وعبد الرحمن الكيالي للعدلية ، وتوفيق شامية للزراعة والاقتصاد الوطني . وفي ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ اقسم رئيس الجمهورية والنواب يمين الاخلاص للدستور بعد ان حذفت منه المادة ١١٦ التي كانت تقيـد

استقلال سورية والتي ضافها المفوض السامي في عام ١٩٣٠ .

اهتمت حكومة سعد الله الجابري بتسلم الصلاحيات من الافرنسيين . وكانت الانتخابات قد تمت في لبنان في ٢٩ آب (اوغسطس) ١٩٤٣ وانتخب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية في ٢١ ايلول (سبتمبر) وتسلم رئاسة الحكومة رياض الصلح . وبعد المفاوضة مع الجنرال كاترو توصلت الحكومتان السورية واللبنانية الى اتفاق ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ حيث تقرر تسلم الصلاحيات التي كانت



فارس الخوري في مكتبه في رئاسة المجلس النيابي يزوره بعض كبار الضباط الفرنسيين .

تمارسها السلطات الفرنسية ومنها المصالح المشتركة وادارة حصر التبغ ، والامن العام ، والآثار ، ومراقبة الشركات ذات الامتياز .

وكان العرب يفكرون وقد صاروا دولا مستقلة بنتيجة جهادهم منذ مطلع القرن العشرين ، بتوثيق الصلات بين هذه الدول والتعاون لصيانة استقلالها . وكانت

الفرصة مناسبة اثناء الحرب العالمية الثانية . فقام رئيس الوزارة المصرية ، مصطفى النحاس باشا ، بتوجيه دعوة الى الدول العربية منذ صيف ١٩٤٣ للاشتراك في محادثات غرضها « تشكيل جامعة عربية تؤيد الاماني الوطنية وتخدم مصالح العرب في الحاضر والمستقبل » . وكانت الحكومة البريطانية قد ايدت هذه الفكرة بلسان وزير خارجيتها المستر ايدن الذي صرح في ٢٩ ايار (مايو) ١٩٤١ : « ويظهر لي انه امر طبيعي وعادل بان تقوى الروابط الثقافية والاقتصادية ، حتى والسياسية ، بين البلاد العربية ، وحكومة صاحب الجلالة تؤيد الى اقصى حد كل مشروع ينال موافقة الجميع » . وبدأت بوادر هذه الوحدة في المؤتمرات العربية التي عقدت منذ ذلك الحين . ومن اهمها مؤتمر المحامين العرب الذي انعقد في دمشق في ١٢ ــ ١٧ آب (اوغسطس) ١٩٤٤ وتوافد اليه المحامون من الاقطار العربية كافة . وكان من الخطب الشهيرة التي القيت فيه بشأن قضية الوحدة العربية الخطبة التي القاها فارس الخوري في مأدبة اقامها نجيب الراوي على شرف الوفود ، وقد جاء فيها :

« ... عندما بدأت مشاورات الوحدة العربية ، من عهد قريب ، تلقاها العرب في جميع اقطارهم بالبهجة والاغتباط . وباتوا يتوقعون لها النجاح العاجل . ليحققوا بها الامنية الغالية التي ما زالوا يتوقعونها منذ عهد بعيد . وكان اخواننا المحامون من ابرع الناس تقديراً لها ، واسراعا للتمهيد لها ، بعقد هذا المؤتمر الحامل في مطاويه جميع عناصر التوفيق ، دعت اليه نقابة دمشق فلباها هذا الحشد الامثل من علماء الحقوق ومفوهي الخطباء . » ثم ذكر كيف دخل الشريف فيصل الى دمشق في ١٩١٨ ومعه ابطال العراق وسورية ولبنان والحجاز وفلسطين وسائر الاقطار العربية الى ان قال : « في هذه المدينة احتفينا به واعلنا استقلال العرب ونادى المنادي بالوحدة العربية . وفي ذلك المؤتمر السوري اعلنا استقلال سورية والعراق . اما مصر العزيزة فكانت مشغولة بمكافحة الاحتلال مجاهدة للتخلص منه حتى تتمكن من التطلع الى ما وراء حدودها والعمل في انشاء صلاتها الوثيقة وبلوغ الهدف الاعلى في تحقيق وحدة العرب . وها هي ما كادت تحرز استقلالها حتى بادهت العالم العربي بالعودة الى الرغبة الكامنة في النفوس تنتظر الفرصة للوثوب » . وبعد ان ذكر مختلف الاقطار العربية وملوكها وحكامها

واستعدادهم لهذه الفكرة قال : « ولا بد لافراغ هذه الرغبات والتمنيات في قالب العمل النافذ من الاسراع الى نقلها الى ساحة عملية بعقد مؤتمر برلماني يجتمع في السنة القادمة في مكان ما من هذا الشرق العربي ، يضم عددا من الشيوخ والنواب الممثلين الشرعيين لكل قطر من الاقطار العربية المتآخية للمشاورة والمذاكرة في القوانين التي يكون من مصلحة البلاد توحيدها ... وهذه الخطوة لعقد مؤتمر برلماني تعد تنفيذاً عملياً في تأسيس الوحدة العربية وتأليفها للرغبة البادية في كل اجتماع عقده اوفياء العرب في بلدان هذا الشرق ... »

ان الاقتراح الذي تقدم به فارس في نهاية خطبته في دمشق قد اصبح امرا واقعياً بعد اقل من شهرين . وبدلاً من عقد مؤتمر برلماني لتوحيد التشريع فقط فقد اجتمعت لجنة تحضيرية في الاسكندرية بين ٢٥ ايلول (سبتمبر) و٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ وكان اعضاؤها منتدبين عن حكومات الدول العربية . وقد قررت بنتيجة اجتماعها تأسيس جامعة دول عربية . ووضعت لها الخطوط الاساسية في الوثيقة المعروفة باسم « بروتوكول الاسكندرية » المؤرخة في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤

ترأس فارس المجلس النيابي في عهد استئناف الحياة الدستورية منذ انعقاده في١٧آب (اوغسطس) ١٩٤٣ حتى تشكيله للوزارة في ١٤ تشرين الاول ١٩٤٤ . وكان من احسن ما قيل في مقدرته وحسن ادارته للمجلس النيابي ما قاله سعدالله الجابري حين انتخب مكانه في ١٧ (اكتوبر) تشرين الاول حيث جاء في كلمته :

« وانني اشكر سيدي رئيس المجلس السابق الذي سبق الجميع واعطانا الدروس في الحياة النيابية بما ابداه خلال رئاسته من مقدرة وبلاغة ولغة . فنحن تلامذته ، فاذا خلفته فليس ذلك على استعداد ، بل كتلميذ يحاول ان يقتدي باستاذه . انني اقدم له الشكر للسنين الطويلة التي مرت على رئاسته لهذا المجلس واتمنى له في الحكم الذي

برأسه مع زملائه التوفيق ليؤدوا الواجب الذي يتطلبه الوطن من تعاون بينهم وبين المجلس والرئيس الاول . وفي ١٠ حصل اليوم اكبر دلالة على ذلك . ولذلك ارفع اليه خالص شكري وتعظيمي واجلالي . ولا تنتظروا ان اكون املك علمه وفصاحته ومقدرته . وقد يكون بين المزاجين تباين لما له من اختصاص وسابق تجارب فهو الاستاذ المعلم وانا الساكت المتعلم ».[1]

فارس رئيس الوزارة السورية ١٩٤٤ : استقالت وزارة سعد الله الجابري في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ فكلف فارس الخوري بتشكيل الوزارة . وكان حتى هذا الوقت رئيس السلطة التشريعية اذ ترأس المجلس النيابي في العهد الوطني الاول (١٩٣٦ – ١٩٣٩) ، وفي ١٩٤٣ عندما استؤنفت الحياة الدستورية بعد تعليق الدستور مدة اربع سنوات . وقد قبل تشكيل الوزارة من باب الواجب لا من باب الشهوة وهو لم يسع الى رئاسة السلطة التنفيذية بل هي التي سعت اليه وكان قبوله نزولا عند ارادة لا سبيل الى مخالفتها . فقد اصر عليه رئيس الجمهورية ثلاث مرات وبالحاح شديد حتى انه قال له « يستحيل ان ابقى في الحكم اذا لم تقبل » . وعلى ذلك فقد تشكلت وزارة فارس الاولى في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ بموجب المرسوم ١١٢٠ على الوجه التالي : فارس الخوري للرئاسة والداخلية والمعارف ، جميل مردم بك للخارجية والدفاع والاقتصاد الوطني ، خالد العظم للمالية والاعاشة والتموين ، الدكتور عبد الرحمن كيالي للعدلية والاشغال العامة .

كان فارس في الثانية والسبعين من عمره حين اصبح رئيس حكومة سورية . وبدلا من ان يطلب الراحة ويعتزل العمل فان اعماله كانت تزداد مشقة ومسؤولياته كانت تتضاعف . وقد شكل الوزارة ثلاث مرات متتابعة (١٤ تشرين الاول (اكتوبر)

---

(١) عن جريدة القبس (دمشق) عام ١٩٤٤ ، عدد ١٨ تشرين الاول .

و ٦ نيسان (ابريل) و ٢٣ آب (اوغسطس). ودامت حكوماته الثلاث سنة تقريبا وكانت الاحداث التي رافقت حكمه من اخطر ما واجهته البلاد، ان كان من وجهة داخلية او خارجية . فقد اعلنت سورية الحرب على المانيا واليابان ، ووقعت ميثاق الجامعة العربية ، ودخلت هيئة الامم المتحدة ، واصطدمت مع فرنسا اصطداماً ادى الى اخراجها من البلاد بدون قيد ولا شرط ، كما سنرى . وقد اتضح ان فارس الخوري لم يرزح تحت اعباء الرئاسة · بل بالعكس فقد اعطته هذه الرئاسة مجالاً واسعاً لابراز مواهبه الابداعية . وعندما تخلى عن رئاسة الحكومة انتقل الى مجال اوفر خطورة واجل شأناً .

بعد ان شكل فارس وزارته الاولى بثلاثة ايام اجتمع المجلس النيابي في ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ لانتخاب رئيس يحل محله · وقد فاز برئاسة المجلس سعد الله الجابري اذ احرز ٦٧ صوتا ونال رشدي الكيخيا ٤٣ صوتا . وقام سعد الله الجابري فالقى كلمة شكر فيها المجلس على ثقته وقال بمناسبة الانتخاب ان « لا غالب ولا مغلوب في هذه المعركة ولا خاسر ولا كاسب فقد انتخبت انا اليوم وسينتخب غيري غدا » . وقد ذكرنا ما جاء في كلمته بشأن سلفه فارس الخوري· ولم يترك فارس هذه المناسبة تمر بدون تعليق ، وبدون استخلاص مغزى اخلاقي من مجرى الحوادث . فقد وقف وهنأ النواب على النظام الرائع في الجلسة . وايد رئيس المجلس الجديد في قوله ان « لا غالب ولا مغلوب في هذه المعركة » وقال : « لقد سرني ان السيد رشدي الكيخيا كان اول من صفق عند اعلان النتيجة · وجرى على القاعدة الاميركية وهي ان اول شخص يتقدم الى تحية الفائز وتهنئته هو منافسه . وانني اعتبرهما كليهما رابحين . ويسرني جدا انني سمعت من السيد الجابري انه منذ الآن ليس لشخص ولا لحزب بل المجلس دون تفريق . وقد اخجل السيد الجابري تواضعي بما احاطني به من ثناء ولباقة وانني اقول: اذا قدمتم درهما فقد ربحتم ديناراً».

قبل ان يتقدم فارس الى المجلس النيابي ببيانه الوزاري استقبل وفداً من اصحاب

الصحف والمحررين . وقد اقترب منهم وطلب اليهم ان يلتفوا حوله ، لان حنجرته ملتهبة لا تمكنه من رفع الصوت . واعرب لهم عن اسفه لذلك في وقت هو في اشد الحاجة فيه الى صوته . وشكر الله لان الايام ليست ايام انتخابات حتى لا يتهم بانه « باع صوته ! » وقد ذكر لهم ان الاساس الذي ستقوم عليه علاقات الحكومة بهم هو الصراحة والمكاشفة في كل ما تعمله ، وانه من الحكمة والروية ارتباط ما ينشرونه بالواقع ، واعطاء الصور الحقيقية للشعب الذي يعول عليهم . ولذلك يجب التحري في بيان الحقائق وعدم التعمية فيها حرصا على صيانة الرأي العام من التشويش . اما بيانه الوزاري فقد قدم له بما يلي :

« دعاني فخامة الرئيس على اثر استقالة الوزارة السابقة واعرب لي عن رغبته في ان اؤلف الوزارة . وبعد تبادل الرأي والمشاورات الواجبة واستعراض الظواهر والخفايا التي تحيط بالموقف لم اجد بدأ من احترام ارادته وتلبية رغبته ، شاكراً اليه هذه الثقة الغالية ومقدراً للرفاق الاماثل فضلهم بقبولهم الاشتراك معي في تحمل اعباء هذه المهمة لقطع المرحلة الدقيقة التي نجتازها . معتمدين على ثقة الرئيس الجليل ، واستعدادنا للتضحية ، ومؤازرة النواب . واثقين ان جميعكم في دور التكوين هذا متفقون على خطة واحدة وهدف واحد هو الاستقلال التام ، واصلاح الشؤون الداخلية ، واقامة الحكم على المنهاج الديموقراطي « السلطة للامة » . . . وقد اعتادت بعض الوزارات في مختلف الدول ان تسهب في شرح الامور العادية التي تنوي القيام بها ، كحفظ الامن ، واقامة العدالة ، وصيانة الحريات ، ومكافحة الافات الزراعية والامراض الوافدة ، وامثال ذلك من الوجائب المنوعة التي هي من لوازم العمل الحكومي تتعاون في النهوض بها السلطتان التشريعية والتنفيذية ، سواء اتعهدت الوزارة بذلك ام لم تتعهد . ليس ذلك في بياننا اليوم فنطيل التفصيل في هذه النواحي التي نعدها اصلاً في النظام ولا تقوم حكومة دستورية بدونها . فنقتصر اذاً في ايضاح خطتنا على الامور التي تفتقر في الظرف الحاضر الى عناية خاصة لا فراغها في المنهاج السوي . وسنكون في جميع هذه الاجراءات المتصلة بها على صلة مستمرة بمجلسكم الكريم نطلعكم على ما عملنا ونكاشفكم بما سنعمل . فلا نؤخر شيئاً عن اطلاعكم ريثما يزول المانع الا ما يكون اعلانه عائقاً لانجازه » .

ثم اخذ يعرض برنامج حكومته وبعد ان ذكر ما يتعلق بالناحية الاقتصادية قال : « وتقوم جملة هذه المقاصد ، بالدرجة الاولى ، على الايدي العاملة . فالعمال هم السواعد القوية التي على نشاطها وقوتها يتوقف الغذاء والكساء والبناء وسائر حاجيات الحياة وكمالياتها . فلا بد والحالة هذه من العناية بما يؤيد لهم الطمأنينة في حاضرهم وآتيهم بتشريع ينسجم مع حق العامل وطاقة المستحصل » . ثم يذكر الاعاشة والتموين فيقول « وسنعمل بحزم وتصميم في مقاومة غلاء الاسعار ، والحد من اطماع المحتكرين ، واعلاء قوة النقد الشرائية ، وحفظ مستواه في القطع ، وسنعمل بدون محاباة على تطهير دوائر الاعاشة ممن يثبت لدينا انه من عناصر السوء . فنضع مرافق هذه المؤسسة في الايدي الطاهرة ليعم نفعها . » وينتقل الى الموظفين فيقول ان القوانين والقرارات القائمة اليوم فيها من التشويش والارتباك وقيود التصرف ما يحول دون سرعة عقاب المسيء واثابة المحسن . وان قانون الموظفين الذي بين ايدي النواب يتوقف على اتمامه كثير من الاصلاح المنتظر . وان شعار الحكومة في التوظيف سيكون « ايجاد الشخص للوظيفة لا الوظيفة للشخص وتعليق المكافأة والعقوبة على استحقاق الموظف فقط دون الالتفات الى اي اعتبار آخر » . وبشأن المعارف يظهر اهتماما بمكافحة الامية ، وبتعميم المدارس في جميع الاماكن بمؤازرة الاهالي ، وتكليفهم بتهيئة الابنية اللازمة ، وتنشيط الاهلين لانشاء المدارس الاهلية الخاصة . ويذكر الصحافة ومراقبة المطبوعات التي اقتضتها ضرورة الحرب . ويعلن رغبة حكومته في وضع تعليمات تحدد من هذه المراقبة . وبشأن سياسة الخبز يذكر انه انخرط في عداد الفقراء ، الذين يوزع عليهم الخبز او الدقيق باسعار منخفضة ، كثيرون غيرهم ممن يستطيعون تأدية الثمن الحقيقي . ولذلك تجب معالجة هذا الامر . واما السياسة الخارجية فيقول انها قائمة على ثلاث قواعد وهي اولاً تأييد استقلال البلاد والمحافظة عليه حتى يبقى سليما من كل شائبة طليقاً من كل قيد ، غير مرتبط الا بمبادىء الحق العام ، وصيانة السلم وما تقتضيه تنمية الروابط الحسنة والصلات الدولية الطيبة . ثانيا مشاركة الامم الحليفة في جهودها الحربية قدر ما لدينا من وسائل وما تعين عليه مواردنا وحالة بلادنا . ثالثا التعاون الوثيق بين الدول العربية حتى تصبح ركنا من اركان السلم . ثم يذكر اتفاق استلام الصلاحيات الذي وقعته الحكومة السابقة في ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ مع فرنسا . وان المفاوضات بدأت بشأن استلام الجيش . وينهي بيانه بتأييد

الحكومة لما اقره مؤتمر مشاورات الدول العربية في الاسكندرية بشأن فلسطين ٠

وزع هذا البيان على النواب . وبعد ان درسوه وناقشوه في الجلسة التالية نالت الحكومة ثقة المجلس . وكان على عاتق فارس مع رئاسة الوزارة القيام بوزارتين وهما وزارة الداخلية ووزارة المعارف ٠ وقد قام باعباء الوزارتين مع اعباء الرئاسة خير قيام ٠ وقد عين لكل وزارة ساعة واحدة في النهار ٠ وخصص باقي الوقت لمصالح الرئاسة ٠ فكان يأتي الى كل من الوزارتين فيقضي مصالحها وينظر في الاوراق المقدمة له ويعطي الارشادات والاوامر اللازمة وينصرف هادئا مطمئناً . وقد قامت الصحف الاجنبية تذكر تسلمه الحكم . ومن جملتها الدايلي ميل التي كتبت في لندن في ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ما ترجمته : كان رئيس الوزارة الجديدة يقوم باعباء رئاسة المجلس النيابي سابقاً ٠ وهو عميد السياسة السورية وقد سار في سائر ادوارها منذ العهد العثماني ٠ وهو ذو دماغ جبار ويعتبر اكبر واقدر مفكر في الشرق الادنى ٠ وهو متضلع من القانون ، والاقتصاد السياسي والادب ، ومعروف بثقافته السكسونية وان مجيئه الى رئاسة الوزارة وهو مسيحي بروتستانتي يشكل سابقة في تاريخ سورية الحديث باسناد السلطة التنفيذية الى رجل غير مسلم مما يدل على ما بلغته سورية من النضوج القومي ٠ كما انه يدل على ما اتصف به رئيس الدولة من حكمة وجدارة ٠»

مرض فارس في نهاية عام ١٩٤٤ مرضاً خطراً فلزم الفراش مدة ٠ وصدرت النشرات يومياً عن سير المرض حتى زال الخطر، وتماثل الى الصحة ٠ ولم يأذن له اطباؤه بعمل شاق او سفر مزعج . على ان ذلك لم يمنعه من تذكر اصدقائه وكتابة الخطب للتعبير عن عواطفه نحوهم . فقد اقيمت حفلة ابراهيم هنانو التذكارية في حلب في ٢١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٤ فارسل خطبته لتلقى في تلك الذكرى ٠ واشار فيها الى « اثر هنانو في كل نصر اصبناهُ ، واستقلال نلناه ، ومجد رممناه » وشرح المغزى الرفيع والغاية السامية لاقامة مثل هذه الحفلات في كل عام ٠ وذكر كيف ضحى هنانو بنفسه وصحته وراحته وماله ليحرر وطنه من حكم الاجنبي . وكيف كان الميثاق الذي وضعه الوطنيون في حفله اربعين هنانو ، في نهاية عام ١٩٣٥ خير مثال لما

ولدته الحفلة في نفوسهم من عزة وقوة وكان من نتيجته ذلك الاضراب العام الذي ادى اخيرا الى سفر الوفد الى باريس ، وعقد المعاهدة ٠ وينهي خطبته بذكر جدارة الامة السورية وعزمها على صيانة استقلالها وبدعوتها الى التضامن والتضحية والنشاط حتى اكثر من ايام هنانو ٠

توقيع ميثاق الجامعة العربية : كانت الاحداث الداخلية والخارجية تتطور في عهد وزارة فارس الخوري بشكل يساعد على تقوية مركز سورية كدولة مستقلة. ومن هذه الاحداث الهامة توقيع ميثاق الجامعة العربية ٠ فبعد ان وقع بروتوكول الاسكندرية في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ في عهد حكومة سعد الله الجابري اجتمعت اللجنة السياسية الاساسية التي عهد اليها وضع ميثاق الجامعة المنوي انشاؤها وبعد ان انتهت من وضع الميثاق عرضته على اللجنة التحضيرية لاقراره٠ واخيرا اجتمع مندوبو الدول العربية في مؤتمر عام في قصر الزعفران في القاهرة لتوقيع الميثاق واعلانه٠ فتم توقيعه في ٢٢ آذار (مارس) ١٩٤٥ وقد وقعته سبع دول عربية وهي : الجمهورية السورية ، وامارة شرقي الاردن ، ومملكة العراق ، والمملكة العربية السعودية ، والجمهورية اللبنانية ، ومملكة مصر ، ومملكة اليمن ٠ وقد وقع المندوبون هذا الميثاق بالنيابة عن رؤساء الدول العربية وملوكها الذين انابوهم وكان مندوبا سورية فارس الخوري رئيس الوزارة وجميل مردم بك وزير الخارجية ٠ واما رؤساء وفود سائر الدول فكانوا : سمير باشا الرفاعي عن شرقي الاردن وارشد العمري عن العراق ، والشيخ يوسف ياسين عن المملكة السعودية ، وعبد الحميد كرامي عن لبنان ، ومحمود فهمي النقراشي باشا عن مصر ٠

ذكرت المادة الثانية من ميثاق الجامعة ان غرضها توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها ، وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها . ومن اغراضها ايضا تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً ، بحسب نظم كل دولة واحوالها في الشؤون الآتية : الشؤون الاقتصادية والمالية ، شؤون المواصلات ، شؤون الثقافة والجنسية

والجوازات وتسليم المجرمين ، الشؤون الاجتماعية والصحية . والميثاق يقع في عشرين مادة وثلاثة ملاحق وهو يصف ، عدا عن اهداف الجامعة وتنظيماتها ، كيفية تسيير امورها . ففيه وصف لاعمال مجلس الجامعة ووظائفه ، ولاعمال اللجان ، والامانة العامة ، ولاشكال التعاون والعمل المشترك ليس فقط بين الدول المشتركة في الجامعة وانما بينها وبين فلسطين وسائر البلاد العربية [1] . وقد صدر قانون في ٣١ اذار (مارس) ١٩٤٥ اقر بموجبه المجلس النيابي السوري ميثاق جامعة الدول العربية وملاحقه . وقد القى فارس الخوري خطبة عند توقيع الميثاق سجل فيها تقديره للنقراشي باشا وشكره لمصر ومليكها وحكومتها وشعبها لاحتضانهم هذا المشروع . كما انه سجل باسم سورية التي كانت امداً طويلاً مبعثاً للعروبة ، ومركزاً للدعاية العربية ، عزيمة الامة العربية في تأييد هذه الفكرة ثم يقول : « ولحسن الحظ فقد جاء هذا المشروع في وقت يطل فيه على العالم عهد جديد للمدنية تنهار فيه السيطرة الغاشمة ، وتتغلب قوة الحق على حق القوة . واقطاب الدنيا قائمون على انشاء هذا العهد » . وقد اشار بذلك الى اتفاق الدول الكبرى على تأسيس منظمة عالمية واجتماعهم لتقرير ذلك في مؤتمر دمبرتون اوكس Dumbarton Oaks قرب مدينة واشنطن . وكان يدرك فارس الخوري تماما اهمية الجامعة العربية وتأثيرها في حياة العرب . وهو الذي رافق فكرة التعاون والعمل المشترك بين دول العرب منذ ولادتها .

اعلان الحرب على دول المحور والدعوة الى مؤتمر سان فرنسيسكو :

كان عدد الدول التي اعترفت باستقلال سورية يزداد حتى اصبح يضم في منتصف كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ (اي بعد استلام فارس للوزارة بثلاثة اشهر) الدول الآتية : افغانستان ، ومصر ، والعراق ، وايران ، والمملكة العربية السعودية ، والبلجيك ، والبرازيل ، وبولونيا ، وانكلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، وتشكوسلوفاكيا .

---

(١) راجع ميثاق جامعة الدول العربية ، مطبعة الجمهورية السورية ، دمشق ١٩٤٥ .

وكانت الحرب قد دخلت في مرحلتها الثالثة وهي مرحلة فوز الحلفاء. خاصة بعد نزول قواتهم في فرنسا في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٤ وزحفهم نحو الحدود الالمانية . وبعد ان كانت المؤتمرات الكبرى التي عقدها رؤساء حكومات الحلفاء في عام ١٩٤٣ (وهي مؤتمرات كازابلانكا والقاهرة وطهران) تبحث في الخطط الحربية اصبحت المؤتمرات منذ اواخر ١٩٤٤ تبحث في وضع الخطط لما بعد الحرب، وفي تنظيم السلم. فقد اجتمع مندوبو الولايات المتحدة وانكلترا وروسيا والصين في مؤتمر دمبرتون اوكس في ضاحية واشنطن بين ٢١ آب (اوغسطس) و٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ للبحث في السلم، وفي تأليف منظمة عالمية، عرفت فيما بعد « بمنظمة الامم المتحدة. » وفي مطلع عام ١٩٤٥ كان النصر على دول المحور قد اقترب بعد ان اكتسحت قوات الحلفاء الاراضي الالمانية من الشرق والغرب . فعقد رؤساء حكوماتهم مؤتمر يالطا في القرم (٤ — ١٢ شباط (فبراير) . وحضره روزفلت وستالين وتشرشل . واتخذوا قرارا بعقد مؤتمر سان فرنسيسكو لوضع ميثاق منظمة الامم المتحدة . وبدأت الدول المشرفة على تنظيم المؤتمر توجه الدعوات لحضوره . وقد دعيت بعض الدول العربية والشرقية، مثل مصر، والمملكة العربية السعودية ، وتركيا ، الى المؤتمر بعد اعلانها الحرب على المانيا واليابان . وما كاد يسمع فارس الخوري بذلك حتى هرع الى شكري القوتلي رئيس الجمهورية ثم قابله . وعرض عليه رأيه بضرورة اعلان الحرب على دول المحور لكي تحضر سورية المؤتمر ، وتدخل منظمة الامم ، اسوة بالدول الاخرى العربية شقيقاتها . ودار نقاش بينه وبين الرئيس بين فيه ضرورة تلك الخطوة . ثم عرض رأيه على الوزراء فوافقوا . وجرى الاتفاق مع حكومة لبنان ان يصدر اعلان الحرب في وقت واحد . وفي جلسة ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٤٥ وافق المجلس النيابي السوري ، بحضور رئيس الجمهورية ، على اقتراح حكومة فارس الخوري . وصدر المرسوم رقم ٢٠١ بتاريخ ٢٦ شباط (فبراير) جاء فيه :

« ... بناء على موافقة المجلس النيابي على اقتراح مجلس الوزراء. اعتبار الجمهورية السورية في حالة حرب مع دولتي المانيا واليابان ... تعتبر الجمهورية السورية في حالة

حرب مع دولتي المانيا واليابان ...»

وفي اليوم التالي اعلنت الجمهورية اللبنانية الحرب . وقبل ان يوافق المجلس النيابي السوري على اقتراح مجلس الوزراء القى فارس خطابا اظهر فيه فوائد اعلان الحرب استهله بالكلمة الآتية :

« لما كانت الدول الديموقراطية كلها قد اشتركت في الحرب ضد دول المحور ذات المذاهب الفاشية والنازية دفاعا عن مبادىء الحرية وحقوق الشعوب المهددة بطغيان قوى الظلم والعدوان ، ولما كانت سورية تعتنق هذه المبادىء الديموقراطية التي هي الضامن الوحيد للسلام العام ، وبما ان بعض الدول الشقيقة التي تجمعنا بها وحدة الغاية قد قررت الاشتراك في هذا النضال ، فانه ليس من مصلحة سورية ان تقف حيال هذه الاحداث وقفة المتفرج ، بمعزل عن الغمرة التي تخوضها شقيقاتها ، بينما جميع مرافقها موضوعة تحت تصرف حلفائها حماة الديموقراطية ... والجيش السوري المنشأ باموالنا ، والمؤلف من ابنائنا ، يشغل شطرا هاما من الجيوش الحليفة اذ عبأته الادارة العليا في الشرق الادنى . والبلاد السورية بالنسبة لحقوق العرب الدولية هي في حالة حرب مع اعداء الديموقراطية ، فلا يوجد سبب ، والحالة هذه ، يجيز تأخير الحالة الراهنة باعلانها بصورة رسمية ». ثم اضاف بعد ان لخص الادوار التي مرت بها البلاد منذ بدء الحرب : « اننا لا نريد ان يتقرر مصيرنا بدون علمنا ... والدخول في الحرب والصلح هو مظهر صريح من مظاهر الاستقلال ونحن نعتقد انه لا بد من حصاد ثمراته » .

بُلغ قرار اعلان الحرب الى وزراء الدول . ومضت فترة يظهر انه دار اثناءها نقاش في اوساط الدول الكبرى التي تنظم المؤتمر في ما اذا كانت ستدعى سورية ولبنان الى مؤتمر سان فرنسيسكو ، وشاع ان فرنسا تعارض هذه الدعوة . على ان ذلك هو خلاف الواقع على ما يظهر . حتى ان حكومة الجنرال ديغول ابلغت انكلترا والولايات المتحدة عدم معارضتها . ولم يمض شهر وثلاثة ايام ، على قرار اعلان الحرب ، الا واعلنت وزارة الخارجية الاميركية في ٢٩ آذار (مارس) ١٩٤٥ : ان الدول الاربع

التي تشرف على تنظيم المؤتمر ، قد اتفقت على ضرورة دعوة سورية ولبنان للاشتراك فيه . وعلى ذلك فقد اخذت الحكومة السورية تتأهب لحضور المؤتمر الذي انعقد في ٢٥ نيسان .

تشكيل الوزارة الثانية ورئاسة الوفد لمؤتمر سان فرنسيسكو: بعد ان تلقت سورية الدعوة الى مؤتمر سان فرنسيسكو في اواخر آذار (مارس) ١٩٤٥ وبعد ان وقعت ميثاق الجامعة العربية في الشهر نفسه رأى فارس الخوري ان البلاد دخلت في طور جديد . ولذلك اصبح من المعقول « ان يعيد لرئيس الدولة الامانة التي سلمه اياها . ليرى فيها رأيه بايداعها لمن يجد من الحكمة ايداعها اليه » وعلى ذلك فقد وقف في جلسة ٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ في المجلس النيابي ، وقبل ان يفاجيء النواب بتقديم استقالته القى بيانا تكلم فيه عن ملاحظات النواب بشأن الوحدة السورية وسياسة التعاقد ثم عن الصفحة الجديدة التي دخلت فيها البلاد فقال :

« ان هذا الدور منذ بداءته كان له هدف اول هو تخليص البلاد من الاصابع الاجنبية ومن النفوذ والتدخل الاجنبي وقد وصلنا من جهة استقلالنا الداخلي في البلاد ، ومن جهة تأمين السياده التامة ، الى مرتبة ما كنا نأمل الوصول اليها بهذه السرعة . وهي هذا الصك الموثق الذي حصلنا عليه بعد جهود عنيفة ومكافحة شديدة امام الكبار والصغار من الدول ، واستعمال الوسائل الجمة للوصول الى هذه الغاية . فقد قُبلنا وسُجلنا بصورة نهائية في عداد الامم المستقلة والامم المتحدة . وصرنا ندعى الى المؤتمرات العظيمة للاشتراك في تقرير مصير العالم . فلم يبق لاحد حجة علينا ... كنا يا سادتي نشتهي فيما مضى ان نخرج من عزلتنا التي اوجدنا فيها الاجنبي ضمن نطاق لا يسمح لنا بالخروج منه ، عزلة عن اخواننا العرب ، وعزلة عن نور الدنيا والفرج الخارجي . والآن بحمد الله حصلنا على هذين النورين ... نحن نعتبر ايها الاخوان ان البلاد دخلت في صفحة جديدة وطور جديد بعد هذين الحدثين العظيمين (توقيع ميثاق جامعة الدول العربية والدعوة الى مؤتمر سان فرنسيسكو) وعند تبدل الصفحات

السياسية في البلاد يكون من الحكمة والانصاف ان يفسح المجال لرئيس الدولة واحيانا للامة كلها ان تنظر في الامر مجددا . فنحن في هذا الموقف رأينا انه بعد الوصول الى هذه الصفحة الجديدة اصبح من المعقول ان نعيد الى رئيس الجمهورية الامانة التي سلمنا اياها ليرى فيها رأيه الموفق للصواب بايداعها للايدي التي يجد من الحكمة ايداعها اليها . ليواجه الصفحة الجديدة من صفحات تاريخ العرب المجيد » [1]

قابل النواب هذا البيان بالتصفيق ورفعت الجلسة الى ٩ نيسان (ابريل) . وفي اليوم التالي لالقاء هذا البيان قبلت الاستقالة التي قدمها فارس وفي ٦ نيسان كلف بتشكيل الوزارة للمرة الثانية فشكلها على الوجه التالي : جميل مردم بك للخارجية والدفاع ، سعيد الغزي للعدلية ووكالة الاعاشة ، نعيم انطاكي للمالية ، صبحي العسلي للداخلية ، احمد الشرباتي للمعارف ووكالة الاقتصاد الوطني ، حكمة الحكيم للاشغال العامة . وتقدم فارس الخوري ببيانه الوزاري في جلسة ٩ نيسان فذكر وجوب التجمع والتكتل في السياسة الخارجية . وقال انه لابأس من وجود فرق ذات مناهج معينة في السياسة الداخلية حتى تتشاور الحكومة معها . واشار الى تصفية العلاقات مع فرنسا . واقترح لطفي الحفار وجوب دعوة المجلس لدورة استثنائية ، حالما يعود الوفد السوري من مؤتمر سان فرنسيسكو ، لدرس الحالة العامة الداخلية والخارجية . وبعد التصويت نالت الوزارة الثقة باكثرية ساحقة .

تشكل وفد سورية الى مؤتمر سان فرنسيسكو بعد ان نالت وزارة فارس الثانية الثقة بيوم واحد . وقد نص المرسوم ٥٥ ؛ بتاريخ ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ على ما يلي :

« يؤلف الوفد السوري الى مؤتمر الامم المتحدة للتنظيم الدولي ، المدعو للانعقاد في سان فرنسيسكو من السادة : فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء رئيسا ، نعيم الانطاكي وزير المالية عضواً ، ناظم القدسي وزير سورية المفوض في وشنطن عضواً ، فريد زين الدين خبيرا ، نور الدين كحالة خبيرا ، توفيق الهنيدي كاتب ملحق » .

---

(١) راجع الجريدة الرسمية ، قرارات المجلس النيابي لعام ١٩٤٥

وفي اليوم التالي لتأليف الوفد عهد الى جميل مردم بك وزير الخارجية القيام باعمال رئاسة مجلس الوزراء مدة غياب فارس الخوري . وتوجه اعضاء الوفد الى بيروت وفي ١٣ نيسان (ابريل) ركبوا الطائرة ومعهم الوفد اللبناني برئاسة وديع نعيم وزير الداخلية اللبنانية . وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياة فارس وهي مرحلة دخوله في ميدان العمل الدولي في اعظم منظمة رآها الجنس البشري حيث تابع نضاله الذي بدأه منذ اكثر من ربع قرن لاستقلال سورية وسيادتها وسيادة البلاد العربية وللدفاع عن مبادىء الحق والعدل والحرية والديموقراطية في العالم اجمع .

وصل الوفد الى نيويورك فكان استقباله في المطار حافلا . واجتمع فارس بالوفود العربية هناك . فعقدوا اجتماعا تمهيديا لتوحيد الخطط في المؤتمر . وقد حتّمت الشخصيات السورية في نيويورك وفي سائر الولايات الاميركية الاجتماع بفارس لما له من منزلة عالية في قلوب الجالية السورية هناك . ولما له من اصدقاء وتلاميذ كانوا يقرأون عنه ويتسقطون اخباره ويتشوقون لرؤيته . وبعد اقامة قصيرة في نيويورك واصل الوفد سفره الى سان فرنسيسكو . فوصلها في ٢٤ نيسان (ابريل) . وكانت جلسة افتتاح المؤتمر في اليوم التالي حيث اجتمع ممثلو ٤٦ دولة (واصبحوا في نهاية المؤتمر ٥١ دولة) من قارات الدنيا الخمس . وكان الرئيس روزفلت قد توفي في ١٢ نيسان ، قبيل انعقاد المؤتمر ، فالقى الرئيس الجديد ترومان خطبة الافتتاح ، وتبعه ستاتينيوس وزير الخارجية الاميركية ، ثم حاكم ولاية كاليفورنيا ، واخيرا محافظ مدينة سان فرنسيسكو . واذيعت الخطب الى كل اقسام الدنيا . وهنأ صاحب خطبة الافتتاح النوع البشري ببلوغ العصر السعيد وطلائع السعادة . كما رحب بالوفود من القارات الخمس وفي ٢ ايار (مايو) اعلن مولوتوف الذي كان في كرسي الرئاسة ان الكلام للسيد فارس الخوري رئيس وزراء سورية ورئيس الوفد السوري . ويتبوأ فارس منبر الخطابة فترمقه الاحداق وتشرئب اليه آلاف الاعناق ، فتشاهد رجلا فوق السبعين وقوراً رزيناً قصير القامة ، كبير الهامة ، مدور الوجه ، عالي الجبهة ، ابيض الشعر ، اشهب العينين ، واضح البيان متناسق العبارات . ويلقي فارس خطبته بالانكليزية فينال تقدير العالم واعجابه . ويصبح منذ ذلك اليوم من الشخصيات الكبرى المعروفة في اوساط الامم المتحدة من

سان فرنسيسكو ، الى لندن ، الى ليك سكسيس ، الى باريس ، في الجمعية العمومية ومجلس الامن ومختلف اللجان . بدأ فارس خطبته بشكر الولايات المتحدة على ضيافتها وحسن استقبالها . وابدى اسفه وحزنه على وفاة الرئيس روزفلت الذي كان يتوق الى مشاهدته ليبلغه شكر الشعب السوري على مساعدته سورية في الحصول على حقوقها . ثم اخذ يشرح مكانة سورية الكائنة على ملتقى طرق الوحدة العالمية فقال : « ان موقعها الجغرافي له اهمية دولية كبرى . وانها كانت في جميع ادوار تاريخها ولا تزال على اهم طرق التبادل الدولي في السلم وفي الحرب. وبما انها تقع وسائر الامم العربية عند ملتقى طرق العالم ، فانها تدرك اهمية تقلص العالم . وهي وشقيقاتها مستعدة اكثر من غيرها لتلبية نداء البشرية لاجل تفاهم متبادل اتم وتعاون اقرب » .

وبعد ان تكلم عن خطورة المهمة الملقاة على عاتق المؤتمر اظهر تفاؤله في امكان تحقيق الفكرة السامية التي تهدف اليها المنظمة العالمية ، بالاعتماد على العقل الذي يخلق النظام ويعدل الطمع ، وبمعالجة القضايا والمشاكل بروح العدل والا فانها تبقى كشوكة في جانب الجسم الدولي . كذلك يقترح ان تقوم محكمة العدل الدولية بمهمة حل هذه المشاكل وان تعمل بالتعاون مع المنظمة العالمية وهيئاتها . واعلن في نهاية خطبته نبأ تشكل جامعة الدول العربية التي يتفق وجودها مع هذه المنظمة العالمية والتي ستساعد في اقرار السلم والعدل . وختم خطبته ببعض حكم عربية تتعلق بالحق والعدل . وتأمل ان تعتبر المنظمة القوي ضعيفاً حتى يؤخذ الحق منه والضعيف قوياً حتى يرد حقه اليه كما قال احد قادة العرب [1] .

بهذه الخطبة انتقل فارس من شخصية شرقية الى شخصية عالمية . وقد صفق المستمعون طويلاً لخطبته واحاط به الكبراء عند مغادرته منصة الخطابة . فهنأه مولوتوف ، وشكره ستاتينيوس على انه اصاب الهدف . ونشرت جرائد اميركا رسمه وخطابه . ودعته جامعة جنوبي كاليفورنيا بعد انتهاء المؤتمر فمنحته دكتوراه

---

(١) راجع خطبته : Syria on the Crossroads of World Unity, Plenary Session of the San Francisco Conference, May 2, 1945.

شرف في الشؤون الخارجية في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ وذلك « بناء على توصية لجنة مشتركة من امناء الجامعة واساتذتها اعترافاً باعماله الممتازة في ميدان العلاقات الدولية». على ان هذه الدكتوراه قد اغفلها فارس ولا يزال اسمه كما كان «فارس الخوري».
وقد حفظ الوزير ستاتينيوس لفارس منزلة عالية في نفسه وبعث اليه رسالة قبيل مغادرته الى سورية تنم عن محبة واجلال وعن تقدير له ولمساعديه في المؤتمر وقد جاء في هذه الرسالة :

« انني مقدر جهودكم المخلصة وموقفكم القائم على فهم حقيقي لمشاكل المؤتمر وقضاياه، والروح الانسانية الصحيحة التي واجهتموها . ان الوفد السوري تحت



فارس الخوري يوقع ميثاق الامم المتحدة بالنيابة عن سورية وحوله اعضاء الوفد السوري في مؤتمر سان فرنسيسكو .

اشراف دولتكم تميز بالمقدرة والكفاءة وروح التعاون وانني ارجو منكم بصورة خاصة ان تعربوا عن تقديري لمستشاركم السيد زين الدين للفائدة التي قدمها المؤتمر اثناء

قيامه بمهمة مقرر اللجنة الاولى » .

وقد اجاب فارس على هذا الكتاب فشكر ستاتينيوس باسمه وباسم فريد زين الدين. وذكر الكفاءة والروح الانسانية التي بدت من رئيس وفد الولايات المتحدة واعضائه. وبعد ان دامت اعمال المؤتمر نحو ستين يوماً (انتهت في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٥) عاد فارس والوفد الى سورية فاستقبلته حكومة لبنان استقبالا رسمياً . واوفدت الحكومة السورية من يستقبله على الحدود . وعندما وصل الى دمشق كان رجال الحكومة في استقباله في حديقة المنشية . وتوجه الى القصر الجمهوري فاطلع رئيس الدولة على نتائج الرحلة . وقد وجدت القضية السورية بنتيجة اعمال الوفد الذي ترأسه فارس عطفاً ومؤازرة بين مندوبي دول الامم المتحدة . وكانت الاحداث التي حصلت في سورية اثناء غياب فارس ، وخاصة اعمال العدوان الافرنسي ، وضرب دمشق بالقنابل ، قد اكسبت سورية ثقة العالم وعطفه بسبب البسالة والروية التي تجلى بها جهاد سورية في المرحلة الاخيرة .



فارس الخوري رئيس الوزارة السورية وبجانبه وزير الخارجية جميل مردم بك يوقع ميثاق الجامعة العربية .

وضع ميثاق منظمة الامم المتحدة واخذ مندوبو الدول في توقيعه منذ ٢٦ حزيران (يونيو) وهو اعظم وثيقة عالمية او كما سماه اللورد هاليفاكس « وثيقة السلم والعدل والتسامح والعمل » . ثم اقرته مختلف الدول . ويتألف هذا الميثاق من عشرة آلاف كلمة تقع في ١٨٣ صفحة منها ٢٥ صفحة لتوقيع الوفود وتقسم الى تسعة عشر فصلاً. وقد قال فارس الخوري حين وقع الميثاق باسم سورية : « يسرني جداً ان اوقع باسم حكومتي وبلادي ميثاق الهيئة المتحدة الجديدة الذي اشتركنا بوضعه يحدونا الامل بايجاد عالم افضل تسوده الحريات الصحيحة والعدالة السياسية والاجتماعية » . وقد ذكرت اهداف المنظمة في المادة الاولى من الميثاق ، وهي صيانة السلم والامن الدوليين بالوسائل السلمية على ان تستخدم القوة عند الاقتضاء ، وتعزيز اواصر المودة الدولية ، واقامتها على احترام الحقوق المتكافئة ، وتمكين الشعوب من تقرير مصيرها ، وتحقيق التعاون الدولي في كل المشاكل الدولية من اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وتشجيع احترام الحقوق البشرية ، والحريات الاساسية بدون تفرقة بين الاجناس واللغات والاديان ، يتساوى في ذلك الذكور والاناث . وقد ذكر الميثاق التدابير التي تتخذها المنظمة المحافظة على السلم ولمنع الاعتداء . كما ذكر ايضا فروع المنظمة وهيئاتها المختلفة وصلاحياتها ونواحي نشاطها .

حوادث ايار ١٩٤٥ واخراج فرنسا من سورية: تطورت الاحداث في سورية اثناء غياب فارس الخوري في سان فرنسيسكو تطورا خطيرا ادى الى اخراج فرنسا من سورية . وذلك ان فرنسا لم تكن ترغب في التنازل عن نفوذها في سورية ولبنان بالرغم من اعترافها باستقلال هاتين الدولتين . واهم المشاكل المعلقة بين الجانبين كانت مشاكل الامن ، والقطعات الخاصة المؤلفة من المتطوعين السوريين واللبنانيين الموضوعين تحت القيادة الافرنسية . وقد بدأت المفاوضات لالحاقها بالحكومتين السورية واللبنانية منذ نهاية ١٩٤٣ بدون الوصول الى نتيجة . وقد استاءت الحكومتان من تعيين الجنرال بينيه Beynet في شباط (فبراير) ١٩٤٤ مندوباً عاماً وقائداً اعلى للقوات الفرنسية في سورية ولبنان . وبينما كانت مظاهرات الطلاب الصاخبة في مدن سورية تطلب الجيش الوطني ، كانت الحكومتان السورية واللبنانية تعبر عن اصرارها في الحصول على الجيش الوطني . على ان الافرنسيين من جهة اخرى حددوا موقفهم

بصراحة عندما استبدلت لجنة التحرير الوطنية بحكومة افرنسية موقتة · ففي مطلع ١٩٤٥ وصف الجنرال دي غول موقف فرنسا بالاحتفاظ بمركزها السامي في سورية ولبنان ، وتأسيس مطاليبها على كونها دولة منتدبة · وبعد ان غادر الجنرال بينيه البلاد السورية الى فرنسا في شهر آذار عاد في ايار ١٩٤٥ يحمل التعليمات لفتح باب المفاوضات · فقد طلبت الحكومة الافرنسية الموقتة ان توقع كل من سورية ولبنان ثلاث اتفاقيات ، تضمن الاولى استقلال المؤسسات الثقافية الافرنسية ، وتضمن الثانية المصالح الاقتصادية الافرنسية ، واما الثالثة فتطلب امتيازات استراتيجية وهي تأسيس قواعد جوية وبحرية ، والاحتفاظ بقيادة افرنسية في الجمهوريتين ، وحالما توقع هذه الاتفاقيات يصير تسليم القطعات الخاصة على ان تبقى مدة طويلة تحت قيادة افرنسية · وفي ١٨ ايار (مايو) ١٩٤٥ سلم الجنرال بينيه مذكرة لكل من الحكومتين يقترح فيها عقد هذه الاتفاقيات · وقبل ذلك بثلاثة ايام بدأت الامدادات الافرنسية بالوصول الى بيروت . وعلى الاثر عقدت الحكومتان اجتماعا مشتركا في شتورة في ١٩ ايار (مايو) وقررتا رفض المذكرة وقطع المفاوضات ، مع الاحتجاج على انزال الجيوش الافرنسية . واصرتا انهما تفتحان باب المفاوضة لعقد معاهدات فقط عندما تحصلان على السيادة التامة . وكان ونستن تشرتشل رئيس وزارة انكلترا قد اعلن في مجلس العموم منذ ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٤٥ بانه « ليس لنا وحدنا ان ندافع بالقوة عن استقلال سورية ولبنان او عن امتيازات الافرنسيين . فانه يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ان روسيا والولايات المتحدة قد اعترفتا بالاستقلال السوري واللبناني كما انهما تحبذانه ، ولا ترضيان باي مركز خاص لاية دولة اجنبية » .

وقد اجتمع المجلس النيابي السوري برئاسة سعد الله الجابري في ٢٠ ايار (مايو) على اثر رفض الحكومة لمذكرة فرنسا . فتكلم غالب العظم ، وتلاه اكرم الحوراني فقال : « لقد قلنا ولا نزال نقول ان عقلية الافرنسيين لم تتبدل وان ما طلبته فرنسا عام ١٩٢٠ هو عين ما طلبته عام ١٩٣٦ وهو نفس ما تطلبه الان عام ١٩٤٥ وهم يطلبون مركزاً ممتازاً وبهذا المركز يطلبون امتيازات ثقافية واقتصادية وعسكرية بحرية وجوية وبرية . لقد صرح وكيل الخارجية الاميركية بان اعتراف اميركا باستقلال سورية مرتبط بشرف ١٥٠ مليون اميركي . . . ان وضعنا اليوم يختلف تماماً عنه في

١٩٢٠ اذ اصبحنا امة عربية تضم خمسين مليوناً من العرب يشعرون بشعور واحد » .
وقد طلب الحوراني تأليف الجيش ودعوة المتطوعين الى الالتحاق بوزارة الدفاع السورية.
وكانت آخر الجلسات قبل اطلاق نيران القنابل على البرلمان جلسة ٢٦ ايار التي كان من خطبائها رشدي الكيخيا حيث وجه كلامه ليسمعه الزائرون الاجانب ، وممثلو دول الحلفاء والدول العربية ، حتى يقفوا الموقف المناسب من قضية سورية . وعلى ذلك فقد رفض المجلسان النيابيان في سورية ولبنان رغبة فرنسا في الحصول على مركز ممتاز .

وقد اضربت سورية احتجاجاً على مطالب فرنسا وبدأت الاصطدامات بين الفرنسيين والسوريين في مختلف المدن بين ١٩ و٢٧ ايار (مايو). وارادت السلطة الفرنسية ارهاب السوريين لاجبارهم على قبول مطالبها فوضعت دباباتها ومدافعها في الشوارع. وفي مساء ٢٩ ايار بدأ جنودها باطلاق النيران على السكان في دمشق . كما ان الطائرات اخذت تطلق قذائفها . فاصابت احداها قسم السجون في القلعة فهدمته وقتلت عدداً كبيراً من المسجونين . وكان من اشنع ما فعله جنودها محاصرة البرلمان واطلاق القنابل عليه وقتل حاميته والتمثيل بافرادها . كذلك استمر اطلاق النيران في سائر المدن السورية حتى بعد ظهر ٣١ ايار (مايو) حين ابرق تشرشل برقيته التاريخية الى الجنرال ديغول بعد ان درس الحالة في سورية على ضوء المعلومات التي ارسلها وزير انكلترا المستر شون Shone وقد جاء في هذه البرقية :

« نظراً للحالة الحرجة التي ادى اليها الامر بين جيوشكم وبين دول الشرق ، ونظرا للقتال الدامي الذي يجري ، فاننا امرنا جنرال الاسف القائد الاعلى في الشرق الاوسط ، بالتدخل لمنع مواصلة اراقة الدماء . وذلك حرصاً على الامن في الشرق الاوسط كله الذي تجري فيه المواصلات للحرب مع اليابان . وتحاشياً الاصطدام بين القوات البريطانية والافرنسية فانا نطلب منكم ان تأمروا حالا الجيوش الافرنسية بوقف اطلاق النار والعودة الى ثكناتها . وحالما يتوقف اطلاق النار

ويسود النظام فاننا نكون مستعدين لاجراء محادثات ثلاثية في لندن » .

وقد وافق الرئيس ترومان على قرار الحكومة البريطانية . وتوقفت اعمال العدوان واخذ الافرنسيون بالانسحاب ، يحميهم الجنود البريطانيون من نقمة الشعب . كانت اعمال السلطة الافرنسية جناية على كرامتها ونفوذها وقد شجبه العالم اجمع . وانعقد مجلس الجامعة العربية للبحث في هذا الاعتداء واتخذ مقررات حازمة بشأنه . اما في سان فرنسيسكو فبينما كان يسمع الناس عن ضرب الافرنسيين لدمشق بالمدافع وهدم المنازل على ساكنيها ، في الوقت نفسه كان يرتفع صوت فارس الخوري بالدفاع عن الحق والعدل والسلم العالمي . وتحولت عواطف الناس عن فرنسا ولم تستطع ، كما قال فارس ، ان تتصور بان الافرنسيين اقدموا على تلك الاعمال لتشدد السوريين في طلب حقهم . واصبح موقف مندوبي سورية وبقية الوفود العربية ، عندما يجري الكلام عن امر يتعلق بسورية في المؤتمر ، موقفا يدعو الى الارتياح . بينما كانت اصوات الجمهور تتعالى طالبة اسكات مندوبي الوفد الافرنسي عندما يريدون الكلام في هذا الصدد .

انسحبت جيوش فرنسا من سورية مكرهة ولكنها تجمعت في اراضي لبنان وكان لا بد من جولة اخرى (سيأتي الكلام عنها) لجلاء الافرنسيين وسائر الجيوش الاجنبية عن سورية ولبنان . على انه كان من النتائج المباشرة للعدوان الافرنسي انتقال القطعات الخاصة الى سورية وبدأ تشكيل الجيش السوري الوطني .

بيان فارس في المجلس النيابي عن مؤتمر سان فرنسيسكو : اجتمع المجلس النيابي السوري في دورة استثنائية لدرس الحالة العامة الداخلية والخارجية بناء على قرار المجلس قبل ذهاب الوفد الى سان فرنسيسكو . وقد عقدت الجلسة الاولى للدورة الاستثنائية في ١٤ آب (اوغسطس) . وكان الوفد قد عاد منذ اواسط تموز . وقام النائب غالب العظم ، وهو اول متكلم ، واخذ يوجه نقدا جارحا الى بعض الوزراء متهما اياهم بالاستئثار بالمال ، ورخص التصدير ، والارباح . وقال بان وزير الخارجية تحيز ولم يتقيد بالشهادات واختيار الاكفاء بل راعى ذوي القربى . فقام فارس ينبه

وينصح جريا على عادته . وعاتب النائب ولفت نظره الى ان هذا الاتهام المتعلق بسوء استعمال الوظيفة لا يجب ان يلقى جزافا ، بل بشكل تقرير خطي يبين الوقائع والحوادث الثابتة . وطلب منه تقديم بيان مفصل يعين فيه السيئات التي اشار اليها .

ثم ذكر فارس ان المجلس كان قرر فيما مضى ان على الحكومة ان تستلم الجيش السوري . وقد تم لها ذلك بنتيجة حوادث شهدوها بانفسهم شهود العيان (ويعني بذلك العدوان الافرنسي اثناء غيابه بينما كان جميل مردم بك يقوم برئاسة مجلس الوزراء) . وطلب اعتمادات لاجل المدارس لان المدارس الاجنبية وخاصة الافرنسية قد اقفلت بعد هذه المحنة واصبح نحو عشرين الف طالب بحاجة الى مدارس واساتذة .

وانتقل فارس بعد ذلك الى موضوع مؤتمر سان فرنسيسكو الذي مثل فيه سورية [1] وقال انه عرض مشروع قانون خاص بابرام ميثاق الامم المتحدة الذي وضع في ذلك المؤتمر . لان التوقيع في سان فرنسيسكو لم يكن سوى عمل تمهيدي لعرضه على مجلس النواب وتصديقه وابرامه من رئاسة الجمهورية . وعندئذ يتم قبول سورية كعضو في منظمة الامم المتحدة وهي عضوية ثابتة . ثم القى بيانا عن المؤتمر بدأه بقوله : « يسرني ان القاكم بعد فراق طويل فيه كثير من الحسنات الراجحة على ما خالطها من المآسي ، التي كان من جملة نتائجها اضطرارنا للاجتماع في غير المكان المخصص لاجتماع مجلس النواب (لان مجلس النواب كان قد تخرب جانب منه بسبب حوادث العدوان الافرنسي) . وبعد ذلك يلخص ما حصل خلال الاشهر الاربعة السابقة في الافق الدولي من احداث هامة وهي : مؤتمر سان فرنسيسكو ، انتهاء الحرب الاوربية في ٨ ايار (مايو) اختراع القنبلة الذرية ، اشتراك السوفيت في الحرب ضد اليابان ، فوز العمال في بريطانيا . ويلخص الاحداث الداخلية وهي : كارثة الاعتداء الافرنسي ، تدخل البريطانيين وتأييد الامير كان لهذا التدخل ، فوز سورية وخروجها ظافرة من الازمة ،

---

(١) راجع قرارات المجلس النيابي لعام ١٩٤٥ في الجريدة الرسمية ، الجلسة الاولى من الدورة الاستثنائية .

ستلام الجيش السوري والمصالح الاخرى ، بدء الاتفاق على الجلاء العسكري .

ثم يبدأ باعطاء تقرير عن مؤتمر سان فرنسيسكو فيذكر اجتماع الاقطاب الاربعة، ووضعهم مقترحات دمبرتون اوكس في ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ ثم انعقاد مؤتمر يالطا في شباط (فبراير) ١٩٤٥ ، وتوجيه الدعوة الى مؤتمر سان فرنسيسكو ، وفوز سورية ولبنان بهذه الدعوة ، بعد اعلان الحرب على دول المحور وبذل المساعي للحصول على الاشتراك في المؤتمر . ثم يذكر السفر من بيروت مع الوفد اللبناني في ١٣ نيسان (ابريل) وكيف فوجئوا بنبأ وفاة روزفلت قبل مبارحة بيروت وفي ذلك يقول « وكنا نعلق الآمال القوية على عطفه وانصافه في معالجة قضايانا وهو الذي كانت له اليد البيضاء في اقرار استقلالنا ودعوتنا للمؤتمر . ولكن ثقتنا بروح العدل وحب الحق عند الشعب الاميركي ، وما خبرناه فيما بعد عند خلفه الرئيس ترومان من الحرص على مبادىء الحرية ، زادنا رسوخا في تحقيق آمالنا العادلة ». بعد ذلك ينتقل الى افتتاح المؤتمر في ٢٥ نيسان (ابريل) والخطب التي القيت فيه ، واجتماع مجلس رؤساء الوفود ووضع نظام المؤتمر وشعبه ولجانه . فقد انتخبت لجنة من سبعة اعضاء هي لجنة وثائق الاعتماد فكانت سورية من اعضاء هذه اللجنة . وانتخبت لجنة تنفيذية من ١٤ عضواً وعدا هاتين اللجنتين كان هنالك الهيئة العامة وفيها جميع الوفود ، وهنالك مجلس الرؤساء ثم اللجان الفنية وعددها ١٢ لجنة . وبما ان اعضاء الوفد السوري كانوا قلائل، فكان يحضر كل عضو في اربع لجان بحيث كان يصيب كل عضو ثلاث جلسات في اليوم . وكانت جلسات اللجان الفنية ومجلس الرؤساء سرية . وذكر الخطاب الذي القاه في الهيئة العامة وان المؤتمر استمر ٦٣ يوما وعقد مئات الجلسات وكان عدد الوفود ٤٦ انضم اليها وفود اوكرانيا والارجنتين والدنمرك وروسيا البيضاء، وقبلت بولونيا في آخر يوم . فصار عدد الوفود واحداً وخمسين . وكان كل وفد يسعى ان تكون مواد الميثاق وما ترمي اليه من اهداف مطابقة لرغباته ولما يضمره من نيات . ولذلك يمكن تصور مدى المناقشة واساليب الاقناع والتدليل التي يقتضيها الاتفاق على نص واحد . وقد حصر المؤتمر اختصاصه بوضع القواعد لحفظ السلام ، والامن الدولي ، ومنع الحرب . وانتهت اعمال المؤتمر ووضع الميثاق بصفته النهائية باللغات الخمس التي

اقرها وهي الانكليزية والفرنسية والروسية والاسبانية والصينية ٠ وكانت الترجمات مصدقة ٠ ووقع مندوبو الوفود النسخة الاصلية التي حفظت في وشنطن . واعطي كل وفد نسخة مصدقة بالتواقيع . واخيرا اقر المؤتمر لجنة تحضيرية ممثلة جميع الوفود ، لتهيئة الاعمال للاجتماع القادم بعد ابرام الميثاق . وهذه الهيئة تجتمع في لندن عندما تدعوها اللجنة التنفيذية للاجتماع .

ثم يذكر انه بعد انتهاء اعمال المؤتمر في ٢٦ حزيران ١٩٤٥ « عدنا الى وشنطن واقمنا حفلتين لافتتاح المفوضية السورية ، ومنها ذهبنا الى نيويورك ثم سورية فوصلنا في ١٤ تموز ٠ ولم يتسع الوقت لتلبية الدعوات التي اتتنا من الجاليات العربية في المدن الكبرى لزيارة هذه الجاليات الراقية ، والاجتماع بالالاف من افرادها الممتلئين غيرة ونشاطا وحباً لوطنهم الاول . وقد سجلنا لهم بالفخر والاعجاب ما اسدوا من المعونة في المحنة التي حلت بسورية اثناء العدوان الافرنسي الاخير ببرقياتهم ووفودهم للاحتجاج والمطالبة بالانصاف لدى المراجع الدولية العليا ، وما ابدوه نحونا من عواطف المودة والاخلاص بوفودهم وبرقياتهم وحفاوتهم في كل مدينة مررنا بها . وكانت صحفهم تملأ الاعمدة بالاشارة باعمال الوفود العربية . ومما جعل لموقفهم هذا الاثر المحمود مكانتهم الراقية التي يتمتعون بها في مهاجرهم واخلاصهم لوطنهم الغالي وسلوكهم القويم ونشاطهم البارز في ساحات التجارة والصناعة والثقافة .

« وكانت الوفود العربية الخمسة في هذا المؤتمر العظيم مثال التضامن والاتفاق في جميع الابحاث . وحال وصولنا قدمنا ميثاق جامعتنا العربية مترجما الى اللغة الانكليزية الى رئاسة المؤتمر . فطبع ووزع على الوفود كلها وظهر العرب متحدين متآخين يساند بعضهم بعضا . . . وكانت الحكومات العربية موفقة كل التوفيق في اختيار الاشخاص الذين تألفت منهم وفودها . ونالت موقعا مرموقا بين وفود الامم واثبتت انها جديرة بالحرمة والتقدير لتنال المقام الذي يؤهلها له موقعها الجغرافي الخطير وتاريخها المجيد » . وينهي فارس بيانه بذكر الميثاق الذي سيوزع على النواب وعدد مواده ١١٠ مواد ويلحق به قانون محكمة العدل الدولية المؤلف من سبعين مادة .

واجتمع المجلس في ٢٠ آب (اوغسطس) ١٩٤٥ فقام فارس يتلو بيانا يحتوي على

خطة الوزارة العامة في سياسة الاستقلال ، والسياسة الخارجية ، والتمثيل السياسي ، والجيش ، والسياسة ، والمالية ، والتنسيق الاقتصادي ، والمعارف ، وشؤون الموظفين ، ونظام العشائر ، وحرية الصحافة ، والمصالح المشتركة ، والمشاريع المثمرة . ثم انتقل ثانية الى ميثاق الامم المتحدة فذكر مغارم سورية ومغانمها من الميثاق . فقال ان المغارم هي المغرم المالي والعسكري . واما المغانم فهي « عضويتنا في المؤتمر ، ومبدأ المساواة في السيادة بين جميع الاعضاء ، واستثناء اعضاء المنظمة من نظام الوصاية (المادة ٨٧) وتأييد الاتفاقات الاقليمية ، وعدم التدخل في شؤون مستلزمات السيادة الوطنية ، والاطمئنان على دفع اي اعتداء محتمل ، واستعادة اي حق مغصوب » الى ان يقول : « ان هذا الموقف الدولي الذي احرزناه كنا نكافح لاجله منذ ثلاثين سنة » ولذلك يطلب اقرار الميثاق . وقد اقر المجلس النيابي الميثاق وابرمه رئيس الجمهورية .

وقام بعد ذلك كل وزير يعطي تقريرا عن وزارته . ولكن المعارضة لم تكن راضية عن اعمال بعض الوزراء . وتقدم عدد كبير من النواب بتقرير ذكروا فيه انه لا يمكنهم الموافقة على ما ورد في مشروع قانون استلام الجيش السوري وغيره من القوانين . ولا يمكن معالجة هذه القضايا واعطاء الصلاحية الواسعة الواردة في مواد القانون والتفويض بصرف الملايين الا بعد ان تتقدم امام المجلس حكومة تتمتع بهذه الثقة . وقام سعد الله الجابري رئيس المجلس مذكراً النواب انه ليس لمجلس النواب حق طرح الثقة في الدورة الاستثنائية ورفعت الجلسة .

تشكيل الوزارة الثالثة والعودة الى رئاسة المجلس النيابي : استقالت وزارة فارس الخوري الثانية في ٢٣ آب (اوغسطس) ١٩٤٥ وقبلت استقالتها وفي اليوم نفسه كلف فارس بتشكيل الوزارة الجديدة (مرسوم ١٠٤٥ و ١٠٤٦ بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٩٤٥). على ان الوزارة لم يتم تأليفها الا في ٢٦ آب (اوغسطس) وقد تشكلت على الوجه التالي : لطفي الحفار للداخلية ، خالد العظم للمالية والدفاع ، صبري العسلي للعدلية ، احمد الشراباتي للمعارف والاقتصاد ، حكمت الحكيم للاشغال العامة ، حسن جبارة للاعاشة والتموين ، ميخائيل اليان للخارجية . واجتمع المجلس

النيابي في ٢٨ آب (اوغسطس) فقام فارس يتلو بيان وزارته الثالثة ويتضح في مقدمته ذلك الحرص الشديد على احترام مبادىء الحياة البرلمانية من جهة ، وعلى محاولة توحيد الصفوف لاتخاذ التدابير الخطيرة المقبلة من جهة اخرى حيث يقول : « على اثر اعلان الرغبة من عدد كبير من النواب الكرام ان لا يبحث المجلس بمشاريع القوانين المعروضة عليه الا بمواجهة وزارة موثوق بها رفعت الوزارة استقالتها لمقام رئاسة الجمهورية في ٢٣ من الشهر الجاري وعهد الي بتأليف الوزارة . وبما ان البلاد اليوم بحاجة الى الظهور صفا واحدا لمواجهة الاعمال الخطيرة المقبلة حاولت ان اجمع وزارة مؤتلفة تشترك بها الفرقتان الكبيرتان في مجلس النواب . فلم اتوفق الى ذلك رغم ما بذلت من الجهد لهذه الغاية . ولم يكن مستطاعاً تأجيل تأليف الوزارة اكثر من ذلك . فرفعت لفخامة الرئيس ما انتهى اليه الامر باسماء حضرات الوزراء الذين صدرت مراسيم تعيينهم » .

ثم اخذ يتلو البيان وفيه فقرات تتعلق بالخطة التي تأخذ الوزارة على عاتقها اتباعها والتقيد بها وهي : تبني القوانين المستعجلة ، والتعاون بين القوتين التشريعية والتنفيذية ، جامعة الدول العربية ، استكمال الاستقلال، عضوية المنظمة الدولية ، التمثيل الخارجي ، الجيش ، النظام المالي ، الاقتصاد ، قانون العمال ، المعارف ، جهاز الموظفين ، العشائر ، الصحافة ، المصالح المشتركة ، الخبراء الاجانب ، الاعاشة . وقد اتصفت مناقشة البيان بما رافقها من خروج عن موضوع البيان ومن تعرض للاشخاص بالحدة والعاطفة والاحراج ولكن رئيس الوزارة كان يسمع ويجيب بسعة صدر ورباطة جأش عجيبين [1] . فقد قام النائب رئيف الملقي يسأل عن المدة التي تحددها الوزارة لجلاء آخر جندي اجنبي عن البلاد . فاجابه فارس الخوري انه « لا يمكننا تحديد المدة ولكن نؤمل ان تكون قريبة » ويصر الملقي فيعيد السؤال نفسه ،

---

(١) راجع مناقشة بيان الوزارة الثالثة في قرارات المجلس النيابي لعام ١٩٤٥ ، الدورة الاستثنائية.

ويجيب فارس قائلا : « انني اتمنى ان تكون اسبوعا او عشرة ايام » ويطلب من الملقي ان ينتظر قليلا حتى يستطيع ان يحدد له المدة . ولكن الملقي يكرر السؤال سبع مرات ويصر على تحديد موعد الجلاء ، ويريد ان يحرج موقف رئيس الوزارة وان يسجل عليه انه لا يستطيع ان يحدد وقتا لجلاء الجيوش الاجنبية . وعندما ينتهي رئيف الملقي من اسئلته يقوم حامد الخوجه ويسأل اذا كان فارس استقال من مجلس ادارة الشركة التي كان يعمل فيها فيجيبه فارس بصدر رحب : « انني لا اعمل في شركة ما فقد كنت رئيسا لمجلس ادارة الشركة (شركة الاسمنت الوطنية) ثم استقلت منها». ويعود الخوجه فيقول انه لا يجوز له ان يشكل وزارته من ثمانية اعضاء لان المادة ٨٩ حددت العدد بسبعة فيجيب فارس انه عندما استقال من رئاسة ادارة الشركة في اول عهد وزارته الاولى استقال لانه كان وزيرا للداخلية والمعارف وليس لانه كان رئيس وزارة . ويعني بذلك ان رئيس الوزراء لا يدخل في حساب عدد الوزراء. ويقوم جدل حول ما اذا كان يعتبر رئيس الوزراء وزيرا ام لا . وتحال القضية الى لجنة الدستور ويأتي تقريرها في جلسة بعد الظهر وينص بان المقصود من المادة ٨٩ هو ان الوزراء يجب ان يكونوا سبعة اعضاء بما فيهم الرئيس . ولكن اكثرية المجلس لا توافق على التقرير وترفضه . ويظهر ان فارس كان واثقاً من تفسيره لتلك المادة حتى انه عندما استقال احمد الشراباتي اصر عليه بالبقاء فلم ينجح . وفي اليوم التالي صدر مرسوم بقبول استقالة الشراباتي . وهكذا بقي عدد الوزراء سبعة بما فيهم الرئيس . وفي غمرة هذه المناقشة وقبل التصويت على منح الثقة يقوم النائب محمد سليمان الاحمد المعروف ببدوي الجبل ويلقي كلمة رصينة متزنة يشير بها الى فارس الخوري فيقول : « ارى لزاما علي قبل ان اتكلم عن الوزارة او بيانها ان اتقدم بتحية الاكبار والاجلال لهذا الشيخ الجليل علامتنا الاكبر . وان انحني امام خمسين عاماً قضاها مكافحا ومجاهدا في سبيل قضيتنا الكبرى وان اهنئه ورفاقه الاكرمين على الظفر الذي احرزه في المؤتمر . وانها لعاطفة من التقدير يتلاقى عندها المؤيدون

والمعارضون » ثم يقول : « لقد استلمت الوزارة الحكم في هذه الظروف العصيبة وانني لاتردد طويلا عندما اريد ان اهنئها على الحكم لان اعباءه اعباء مرهقة تهد المناكب وتقصم الظهور . فاذا كنت اهنيء الوزارة على امر من الامور فعلى هذه الجرأة وعلى هذا الايمان اللذين حملاها على قبول متاعب الحكم في مثل هذا الزمن العصيب والوقت الرهيب . ولقد تقدمت الحكومة ببيان وزاري جامع لم تتقدم حكومة بعد بمثله احاطة وشمولا ووضوحا » . وبعد ان يثني النائب على ما جاء في البيان من انصاف العمال ، والاهتمام بحالة المشائر ، واطلاق حرية الصحافة ، وغير ذلك يقول : « وكنت اود من اخواني النواب المحترمين ان يناقشوا الحكومة على اساس هذا البيان وعلى اساس ما يصلح منه وما لا يصلح . ولكنهم انصرفوا عن ذلك كله الى مناقشة الاشخاص وحدهم وهو اسلوب طريف في الحياة النيابية . يحولها ويا للاسف من مناظرة الى مهاترة » . اما فيما يتعلق بمؤاخذة الحكومة على تأليف وزارة من ثمانية وزراء فان النائب يتساءل لماذا اقر النواب ثلاث وزارات تألفت بهذا العدد .

كانت الحكومات التي تشكلت منذ استئناف الحياة الدستورية في ١٩٤٣ من الكتلة الوطنية ، وكانت المعارضة لا ترضى عن تصرفات بعض وزراء هذه الحكومات كما انها كانت لا تعتقد باهلية بعضهم للدخول في هذه الوزارة الثالثة . ويظهر انها كانت تفضل بان لا ينقذ فارس هذه الازمة الوزارية التي اوجدتها اعمال هؤلاء الوزراء ولذلك قام رشدي الكيخيا زعيم المعارضة فقال بعد ان ذكر بأنه يحمل للرئيس الخوري كل احترام وتقدير وتبجيل « لانه من الشخصيات الفذة التي لها من الصفات والمؤهلات ما ليس لاية شخصية اخرى غيرها في هذه البلاد » — قال : « ان مثل هذا الرجل الذي يتمتع بهذه المكانة الكبرى لا نريده ان يتزحزح قيد انملة عن المكانة التي يحتلها من نفوسنا بل نريد ان يبقى حيث هو في المنزلة السامية من نفوسنا ونفوس الشعب ايضا . وقد كان الاجدر برئيس الوزراء ان يترك هؤلاء الذين سببوا هذه الازمة ان يتقدموا لتشكيل الوزارة ويبرهنوا على كفاءتهم وجدارتهم في ادارة دفة الحكم .

وكنا نريد ان لا يتقدم السيد فارس الخوري ويجعل من نفسه سببا لانقاذ هذه الازمة التي سببتها الشهوة والرغبة في الحكم لا اكثر ولا اقل »

استمرت مناقشة بيان وزارة فارس الثالثة على هذا الشكل بعد ظهر ٢٨ آب (اوغسطس) ومساء اليوم نفسه ، واجلت الجلسة الى اليوم التالي . فاجتمع المجلس في الساعة العاشرة مساء ودامت الجلسة حتى بعد الثانية . واخيرا جرى التصويت على منح الثقة ففازت الوزارة باكثرية الاصوات . غير ان هذه الوزارة لم يكتب لها البقاء اكثر من شهر . وذلك بسبب مرض رئيسها وقد اوصاه الاطباء بالاعتصام بالراحة والهدوء وكانت النتيجة انه قدم استقالته في ٣٠ ايلول ١٩٤٥ . وكلف سعدالله الجابري بتشكيل الوزارة الجديدة فقبل التكليف وتألفت وزارته على الشكل التالي : سعدالله الجابري للرئاسة والخارجية والدفاع ، لطفي الحفار للداخلية ، نعيم الانطاكي للمالية ووكالة الاشغال العامة ، صبري العسلي للعدلية ووكالة المعارف ، حسن جبارة للاقتصاد ووكالة الاعاشة .

وقد خلا منصب رئاسة المجلس النيابي بعدان شكل سعدالله الجابري الوزارة . واجتمع المجلس في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ فجرى انتخاب رئيس المجلس وكانت نتيجته فوز فارس الخوري وعودته الى منصبه الاصلي بعد ان فارقه ليتلافى ازمة وزارية كان يصعب وقتئذ حلها . وقد بقي في رئاسة الوزارة سنة كاملة تقريبا . اما رئاسة المجلس النيابي فقد احتفظ بها حتى انتهاء مدة المجلس في عام ١٩٤٧ وعندما حصلت الانتخابات في ٧ تموز (يوليو) ١٩٤٧ كان فارس بعيدا عن وطنه يمثل بلاده كعضو في مجلس الامن . فانتخب نائبا بالتزكية لان مرشحي الاقليات غير الممثلة انسحبوا من اجله . وعندما اجتمع المجلس الجديد لاول مرة في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ انتخب فارس رئيسا له وكان لا يزال غائبا في مجلس الامن . وقد احتفظ بهذه الرئاسة حتى حُلّ المجلس النيابي في ١ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ على اثر الانقلاب الذي اجراه حسني الزعيم . وقد كان انتخابه باكثرية ١٠٧ اصوات من ١٢٥ صوت . وقد

وجدت بين اوراق الانتخاب ١١ ورقة بيضاء وسبعة اوراق موزعة بين اربعة من النواب نال اكثرهم حظاً ثلاثة اصوات. وقد وقف اكبر اعضاء المجلس سناً وهو السيد محمد نوري الفتيح الذي كان يرأس جلسة الانتخاب فقال :

« من دواعي فخر هذا المجلس الكريم انتخاب العلامة الكبير دولة فارس بك الخوري الذي عرفته البلاد في شتى الساحات الوطنية مناضلا مخلصا في سبيل استقلال بلاده وهو الآن في مجلس الامن يعمل في سبيل بلاده وفي سبيل العرب . وفقه الله وايانا لخير الامة العربية » .

الفصل الثامن

جهوده في قضية الجلاء عن سورية ولبنان امام مجلس الأمن

١٩٤٦

رئاسة الوفد السوري لدورة الامم المتحدة بلندن وعرض قضية الجلاء :

اصبح فارس الخوري منذ ان تأسست منظمة الامم المتحدة في ١٩٤٥ يجمع الى رئاسة المجلس النيابي في سورية رئاسة الوفود السورية الى الامم المتحدة . وقد تولى الدفاع امام الجمعية العمومية لهذه المنظمة ، وامام مجلس الامن عن الوطن السوري في مختلف اجزائه ، وعن البلاد العربية في مختلف مناطقها ، وعن السلم والعدل والمساواة في العالم اجمع . وما كاد ينتخب رئيساً للمجلس النيابي في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ حتى اعلنت الحكومة السورية نبأ تعيينه رئيساً للوفد السوري في دورة الامم المتحدة في لندن. وقد دامت هذه الدورة اكثر من شهر (١٤ كانون الثاني (دسمبر) حتى ١٨ شباط (فبراير) ١٩٤٦) وارتفع فيها صوت رئيس الوفدين السوري واللبناني بالاحتجاج على الاتفاق الفرنسي – البريطاني الموقع في ١٣ كانون الاول (يناير) ١٩٤٥ وبتوجيه الانظار الى وجود خطر حقيقي على الامن ببقاء قوات اجنبية مسلحة في سورية ولبنان . ذلك انه بعد اخراج فرنسا من سورية على تلك الصورة التي لا تشرفها تجمعت جيوشها في اراضي لبنان بينما كانت لا تزال الجيوش الانكليزية مرابطة في الاراضي السورية . وكان يخشى عودة الافرنسيين من المناطق اللبنانية المجاورة اذا ما سنحت الفرصة . ولذلك لم تكن سورية لتطمئن على استقلالها ما لم

يغادر آخر جندي افرنسي ارض لبنان . وعلى هذا فقد تضافرت جهود سورية ولبنان في طلب جلاء الجيوش الافرنسية والانكليزية في نفس الوقت .

وفي هذه الاثناء فوجئت البلاد بانباء الاتفاقية التي عقدت بين انكلترا وفرنسا في ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ والتي تنص على بقاء قوات اجنبية كافية للمحافظة على الامن الى ان تقر منظمة الامم المتحدة تنظيم الامن المشترك في هـذه المنطقة . وبعد محاولات شتى لم تجد سورية ولبنان بداً من عرض شكواهما على مجلس الامن بسبب الخطر الذي يشكله بقاء قوات اجنبية فيهما ، وبسبب رغبتها في الاستقلال التام . ومجلس الامن من اهم الهيئات التي اوجدها ميثاق الامم المتحدة اذ به تناط مسؤولية الامن الدولي ويتشكل من احـد عشر عضواً . منهم خمسة دائمون ، يمثلون الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وانكلترا وفرنسا والصين . واما الاعضاء الباقون فينتخبون لسنتين ويراعى في انتخابهم التوزيع الجغرافي ومـدى مساهمة بلادهم في صيانة الامن العالمي . وكانت الدول الممثلة في مجلس الامن (فيما سوى الدول الخمس الدائمة) عندما عرضت قضية الجلاء في شهر شباط (فبراير) ١٩٤٦ اوستراليا والبرازيل ومصر والمكسيك وهولاندا وبولونيا . وكان يمثل مصر عبدالحميد بدوي باشا ، وعبد الفتاح عمرو باشا ، وممدوح رياض . وقد عرضت القضية على اثر كتاب وجهه فارس الخوري رئيس الوفد السوري وحميد فرنجية رئيس الوفد اللبناني بامضائهما الى السكرتير العام تريغفي لي بتاريخ ٤ شباط (فبراير) (وكانت جلسات مجلس الامن قد بدأت في ١٧ كانون الثاني (يناير) في لندن بينما دورة الامم المتحدة كانت منعقدة) وقد جاء في هذا الكتاب [1] :

« ان الجيوش الفرنسية والبريطانية لا تزال في سورية ولبنان بالرغم من ان حالة الحرب قد انتهت (٢) . ان وجود هذه الجيوش الذي يشكل مساساً خطيراً بسيادة

---

(١) انظر النص في Security Council Official Records, First Series, Suppl. no. 1, Annex 9 (Church House, Westminster, London.)

(٢) انتهت الحرب مع المانيا في ٨ ايار (مايو) ومع اليابان في ١٤ اب (اوغسطس) ١٩٤٥.

الدولتين العضوتين في الامم المتحدة قد يؤدي الى منازعات خطيرة . وقد برهنت الحوادث في الماضي في ٢٩ ايار (مايو) ١٩٤٥ ان بعض هذه الجيوش كانت تهدد السلام بصورة دائمة في هذه المنطقة . وكان امل حكومتي سورية ولبنان ان تنسحب هذه الجيوش حالا على اثر انتهاء حالة الحرب مع المانيا واليابان وبنتيجة طلبات هذه الحكومات المستمرة ولكن الحكومتين ابلغتا في ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ نص اتفاق فرنسي بريطاني نقتطف منه العبارات التالية : ان برنامج الجلاء سيتم بطريقة تضمن بقاء قوات كافية في دول الشرق لحفظ الامن الى ان تقرر منظمة الامم المتحدة تنظيم السلامة المشتركة في هذه المنطقة . وستحتفظ الحكومة الفرنسية بالقوات المتجمعة في اراضي لبنان الى ان تتم هذه التنظيمات .

« ان هذا الاتفاق يجعل اذاً سحب الجيوش متوقفا على شروط لا تتفق مع نص ميثاق الامم المتحدة وروحه . ولذلك بما ان الدولتين المتعاقدتين قد اشارتا في الاتفاق المذكور اعلاه الى الامم المتحدة فان الوفدين السوري واللبناني عملاً بتعليمات حكومتيهما يتشرفان بعرض هذا النزاع وفقا للمادة ٣٤ من الميثاق على مجلس الامن . ويرجوان منه ان يتخذ قراراً بطلب جلاء الجيوش الاجنبية التام وفي وقت واحد من اراضي سورية ولبنان .

« والوفدان مستعدان لمساعدة مجلس الامن بتقديم جميع المعلومات اللازمة لهذا الغرض » .

وقد اجتمع مجلس الامن في جلسته التاسعة عشرة في ١٤ شباط (فبراير) ١٩٤٦ في الساعة الحادية عشرة صباحا وكان يرأسه المستر ماكن Makin مندوب اوستراليا ووافق على البحث في كتاب رئيسي الوفدين السوري واللبناني الوارد في جدول الاعمال. وبموجب المادة ٣١ من الميثاق فقد طلب رئيس المجلس اشتراك سورية ولبنان في المناقشة

بدون حق التصويت .[1]

فارس الخوري يصر على ضرورة جلاء الجيوش الاجنبية : عقدت الجلسة العشرون لمجلس الامن في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٤٦ في الساعة الحادية عشرة صباحا ودعي مندوبا سورية ولبنان للاشتراك في المناقشة وقد تكلم حميد فرنجية بالافرنسية فقال انه من جملة المشاكل المعروضة على مجلس الامن فان المشكلة السورية هي ابسطها من حيث الوقائع . ثم شرح كيف ان وجود جيوش اجنبية في اراضي دولة مستقلة ذات سيادة بدون موافقة هذه الدولة قد كان دائماً سببا للنزاع ، وان وجودها لا يبرره شيء . ثم ذكر اتفاق ١٣ كانون الاول (ديسمبر) الذي جعل الجلاء متوقفا على شروط تخالف نص ميثاق الامم المتحدة وروحه .

وانبرى بعد ذلك فارس الخوري يخطب بالانكليزية عارضا المشكلة على المجلس ومبرهناً على ان الحكومتين لم تتقدما بشكواهما الا بعد القيام بجميع المحاولات لحمل الدولتين الكبيرتين على سحب جيوشهما . وهذا ما جاء في خطبته : « بالرغم من احترامنا الفائق للدولتين المعظمتين اللتين تقدمنا بهذه الشكوى ضدهما فانني آسف ان نكون مجبرين على ذلك . ان القضية التي نتشرف بعرضها عليكم تتعلق بوجود قوات اجنبية مسلحة في اراضي سورية ولبنان ضد رغبة الحكومتين السورية واللبنانية . ومهما تكن الاسباب المقدمة لكم لشرح اسباب وجود هذه القوات فان هذه الاسباب كافية تماما لحمل مجلس الامن على حل المشكلة بقرار واضح جازم . ولا ارغب الآن ان ادخل في التفاصيل الكثيرة او ان ابدأ برفض ما يمكن ان يقدم من حجج ولكنني افضل ان اضع امام المجلس عناصر هذه القضية بشكل بساطة ووضوح .

---

(١) – انظر نص المناقشات في: Security Council Official Records, First Year First series from 1st to 23 rd meeting, 17 January to 16 February 1946 (Church House, Westminster, London).

« لقد زحفت الجيوش البريطانية تساعدها قوات من الفرنسيين المحاربين اقل منها عددا من فلسطين الى سورية ولبنان لطرد قوات فيشي من بلادنا · لانها كانت تعمل بصورة دائمة لمساعدة المحور في جهودها للسيطرة على العالم . وسبق زحف هذه القوات وتبعها تصريحات واضحة بان الغرض الوحيد لهذه الحملة هو تحرير هذه البلاد من العناصر المعادية . وقد اعلن الطرفان بوضوح ان فرنسا الحرة سوف لا تحل محل فرنسا الفيشية . واستقبلت قوات الحلفاء بسرور واعطيت جميع المساعدات اللازمة اثناء الحملة . وبينما كانت الحرب تأخذ مجراها في الشرق والغرب فان جميع مواردنا المادية والبشرية وضعت تحت تصرف الحلفاء . وساهمت الحكومة والشعب بكل ما في وسعهم في اعمال الحرب حتى النصر المشترك وبذلك قاموا بواجبهم كحلفاء .

« ومنذ انتهاء الحرب تقدمنا بطلبات متوالية لسحب الجيوش في آن واحد من اراضينا . اذ ان بقاء الجيوش لا يبرره شيء في حالة السلم بما ان اعمال الحرب قد انتهت . وانه ليس في مواد ميثاق الامم المتحدة ما ينص على ذلك . وقد قوبلت طلباتنا بسحب الجيوش بعبارات مطمئنة مؤداها انه يمكن الوصول الى حل مرضي في المستقبل القريب . وعبثاً انتظرنا ذلك الحل المرضي . واخيراً فوجئنا باتفاق ١٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ الذي جرت المفاوضات من اجله ووقع بدون اشتراكنا . ويحوي هذا الاتفاق نصاً خاصاً يقول : ان برنامج الجلاء سيتم بطريقة تضمن بقاء قوات كافية في دول الشرق لحفظ الامن الى ان تقرر منظمة الامم المتحدة تنظيم السلامة المشتركة في هذه المنطقة . ان هذا النص يعني بوضوح اولا ان القوات الاجنبية المسلحة ستبقى الى وقت غير محدد . ثانياً ان سحب هذه القوات لا يتوقف على اعتبارات فنية فقط لاجل تحقيق الانسحاب في تاريخ معقول . ثالثاً ان ذلك الانسحاب يتوقف على شروط تحقيقها ليس بيد الفريقين (لان الامم المتحدة يجب ان تقرر تنظيم السلامة المشتركة في هذه المنطقة والا فان القوات المسلحة تبقى) · رابعاً ان موافقة الحكومتين السورية واللبنانية ورضاهما بهذه الشروط لم يحسب لهما حساب . خامساً ان هذه القوات غرضها السلامة المشتركة .

« وعلى ذلك فقد اصبحت الحكومة السورية تتساءل عن الشعب الذي يريد الفريقان ان يضمنوا سلامته . اذ لا يجب ان يكون هنالك شك بان السلامة الداخلية لا يكون مسؤولا عنها سوى الحكومتين السورية واللبنانية . واما السلامة الخارجية فلا شك ايضاً بان الحكومتين السورية واللبنانية مسؤولتان عنها وفقاً لشروط الميثاق. زد على ذلك ان الحرب قد انتهت واخرجت القوات النازية والفاشية ، واصبحت سورية ولبنان محاطتين بدول مشتركة في الامم المتحدة . فما الذي يعطي الحكومات الاخرى حقاً بان تتخذ صفة ضامن السلامة في هذه المنطقة ؟ هذا ما لا يمكننا ان ندركه .

« على ان هنالك مرين اكيدين اولهما ان السلامة المشتركة ليست من المهات التي يمكن لاية دولة عظمى ان تمارسها بابقاء قواتها المسلحة في اراضي دولة صغيرة مشتركة في الامم المتحدة ضد رغبتها الصريحة ، وثانيهما ان السلامة الدولية قد نظمها ميثاق الامم المتحدة بوضوح وجميع الدول التي لها علاقة بهذه القضية هي اعضاء في الامم المتحدة . وعلاقاتها مبنية على مبادىء الميثاق ؛ وتصرفها الدولي في قضية السلامة قد نظمتها شروط ذلك الميثاق . وهذه الشروط تشكل موافقتنا ولذلك نريد بان لا يحيد احد عنها .

« ان اتفاق كانون الاول (ديسمبر) والشكل الذي اعد فيه ووضع لا يترك بالواقع مجالا لاية مفاوضة وقد أعد كما ذكرت ووقع بدون ان ندعى للمساهمة فيه. ومن العدل ان نقول بانه لو كان لاحد الفريقين اللذين وقعا هذا الاتفاق رغبة واستعداد لمفاوضتنا في موضوع الاتفاق لكان بامكانهما عمل ذلك قبل ان يقررا الاتفاق على تلك القضية الهامة بالنسبة لسورية ولبنان ، والتي كانت الجمهوريتان الشقيقتان تتقدمان بطلبات متواصلة بشأنها عندما كانت تجري المفاوضة لعقد الاتفاق. فعندما انهى الطرفان مفاوضاتهما عندئذ ابلغانا الاتفاق لاجل الاطلاع ولدعوتنا لاتخاذ التدابير اللازمة لتطبيق « مقرراته » وعندما استعمل كلمة مقررات فانني اشير الى ما ورد في شروط الاتفاق .

« وقد حاولنا عبثا والحالة هذه ان نتجنب عرض قضيتنا امامكم . واعلنت الحكومتان السورية واللبنانية اعتراضاتها على الاتفاق في دمشق وبيروت ولندن وباريس. وطلبتا الايضاحات اللازمة بدون ان تحصلا عليها. وقد كررنا رجاءنا وطلبنا من الدولتين سحب قواتها المسلحة حالما يصبح ذلك ممكناً من وجهة مادية . ولكن لم نجب الى طلبنا حتى اننا لم نتلق جوابا كافيا على طلباتنا . وحتى ١٩ كانون الثاني (يناير) حينما تشرفت بالقاء كلمة في الاجتماع العام للجمعية العمومية كنا نقتصر على لفت نظر الامم المتحدة للقضية آملين اتخاذ قرار ما بشأنها قبل تقديمها اليها بصورة اتم .

« ولذلك بناء على طلباتنا التي تقدمنا بها بين نهاية الحرب وبين اتفاق كانون الاول ، والطريقة التي تمت فيها المفاوضة بشأن الاتفاق على قضية تتعلق بنا بالدرجة الاولى ، وتبليغها الينا لكي تجعل مقرراتها ممكنة ، وبناء على جهودنا الاخيرة غير الموفقة التي اشرت اليها سابقا وبناء على ان الاتفاق نفسه يدعي جعل سحب الجيوش متوقفاً على قرار الامم المتحدة — بناء على ما تقدم فانني اعتقد انه لا يمكن اتهامنا بالمغالاة اذا طرحنا هذه القضية على مجلس الامن . ولا يمكن لاحد ان ينكر حقيقة الامور التي تظهر بان المشكلة اصبحت في مرحلة يجب عندها ان تعرض على هذا المجلس. وان سورية ولبنان لا تتطلعان وحدهما اليكم وانما العالم كله يريد ان يشاهد قرارا تتخذونه هنا يعطي المشكلة حلاً تاما عادلا » .

على هذا الشكل بدأ فارس دفاعه عن قضية الجلاء . وقد كان همه في القسم الاول من دفاعه ان يعرض الحقائق بصورة واضحة ، وان يبرر عمل سورية ولبنان في عرض المشكلة على مجلس الامن بعدان فشلت جميع الوسائل الاخرى لحمل الدولتين الكبيرتين على سحب جيوشهما . ثم بعد ذلك ينتقل الى سلسلة من الحجج تؤيد حق سورية ولبنان في طلب الجلاء وتجعل قرار مجلس الامن واجبا لحل المشكلة وهذ ماقاله :

« وبما ان القوات الاجنبية المسلحة موجودة في اراضي سورية ولبنان ضد ارادة الحكومة والشعب السوري واللبناني ، وبما ان بقاء هذه الجيوش قد اوجد نزاعا ، وان هذا النزاع وصل الى مرحلة واتخذ صفة تجعل من واجبنا ان نعرضه على مجلس الامن

وبما ان العلاقات بين الدول الاربع صاحبة العلاقة والمشتركة في الامم المتحدة مبنية على مبادىء ميثاق الامم المتحدة ، وان تصرفها الدولي تنظمه شروط الميثاق ، وبما ان الاتفاق (اتفاق كانون الاول) لا يمكن العمل به في ما يتعلق بسورية ولبنان ، وبما ان مجلس الامن مدعو بموجب الميثاق وله السلطة بوجبه ان يصدر قراره في نزاع كهذا ، فان الوفد السوري عملا بتعليمات حكومته يطلب من مجلس الامن ان يقرر ان جميع الجيوش الاجنبية يجب ان تنسحب في وقت واحد من سورية ولبنان ، وان يعين تاريخا ممكنا من وجهة فنية ليكون حدا اقصى لتحقيق هذا الانسحاب » .

بعد ذلك يذكر فارس الخوري ما فعلته انكلترا بالنسبة لسورية ، مما يثير سخط المندوب الافرنسي كما سنرى فيقول : « وانني اعتقد ان عليّ اضافة امر واحد لبياني . ويبدو لي انني اكون غير منصف اذا لم اذكر اعتراف حكومة سورية وشعبها بالشكر لبريطانيا العظمى لاجل المعونة التي اسدتها لنا خلال الحربين الماضيتين ، ان كان في الحقل العسكري او في الحقلين السياسي والاقتصادي . ان هذه المعونة والمساعدة قد انقذت بلادنا من الهلاك في مناسبات متعددة . وعلي ان اضيف ايضا بانه يجب ان اشرح كلمة «في آن واحد» التي استعملتها في كلامي . فلو اننا رغبنا في انسحاب الجيوش الاجنبية منفصلة لكان بامكاننا ان نحصل على موافقة الحكومة البريطانية بسهولة على سحب جيوشها ولكننا نريد ان يتم سحب الجيوش كلها في آن واحد » (ويعني بذلك الجيشين الافرنسي والانكليزي) .

قام بيدو Bidault مندوب فرنسا في مجلس الامن يتكلم بعد خطبة فارس فالقى كلمة ملؤها الاعجاب بالدور الذي لعبته فرنسا في سورية . واظهر تألمه بسبب ما ذكره فارس في نهاية خطبته فقال : « انه لم يكن ضروريا لمندوب سورية ان يضيف الى كلمته الموجهة الى مجلس الامن ذلك التفريق في المعاملة (بين فرنسا وانكلترا) عند شرحه للقضية . وبالرغم من هذا التصرف غير اللازم ومع ترك الاشارات غير الودية لبلادي التي احتوتها بعض مقاطع خطبته فانني اريد فقط ان اجيب باختصار

وبصورة عادية جداً، كما يليق بأزمة بدولة عالمية، في بعض الملاحظات التي ذكرت الآن ». ويظهر مندوب فرنسا دهشته للطلب المقدم من الوفدين السوري واللبناني بسحب الجيوش الاجنبية، ويفتخر بانه قبل دخول الجيوش الافرنسية الحرة والبريطانية للبلاد قد اعلنت حكومة الجنرال ديغول عن عزمها على تحقيق استقلال البلدين. وان هذا الاستقلال قد اعلن في شهري ايلول وتشرين الثاني وانه كان في الامكان تأجيل هذا الحدث. ثم يفتخر بانه بفضل مساعي فرنسا التي اعلمت الدول المشرفة على مؤتمر سان فرنسيسكو برغبتها في وجوب اشتراك سورية ولبنان كدولتين صاحبتي سيادة في ذلك المؤتمر — دعيت الدولتان ودخلتا المؤتمر. كذلك يعترف بان فرنسا لم تقصر قط في خطتها الرامية الى رفع هاتين الدولتين اللتين انتدبتها عليها جمعية الامم الى درجة الاستقلال التام، وانه بفضل وجود الجيوش البريطانية والافرنسية انقذت هاتان الدولتان من ويلات الحرب، وان حكومتي بريطانيا وفرنسا مستعدتان الآن لسحب قواتهما العسكرية بعرض هذه القضية على مجلس الامم المتحدة لوضع التدابير الدولية الضرورية لاقرار السلامة العامة في تلك المنطقة. ثم يتكلم عن الانتداب ومسؤولياته وواجباته وانه بما ان جمعية الامم اصبحت غير موجودة فان الحكومة الفرنسية تريد ان تسأل الامم المتحدة في ما اذا كان يجب اتخاذ تدابير معينة للاستمرار بضمان السلامة في هذه المنطقة.

اما مندوب انكلترا السير الكسندر كادوغان Cadogan فانه يعترف بانه لا يدعي بان اتفاق ١٣ دسمبر مرضي مائة بالمائة من وجهة نظر اي كان، ويروي كيف تدخلت الجيوش البريطانية لاعادة النظام في نهاية شهر ايار (مايو) ١٩٤٥ وانه دفعاً لما قد يحصل في المستقبل من اضطرابات فان الحكومتين طلبتا تأكيداً بان الجيوش البريطانية سوف لا تنسحب من البلاد ما دام هنالك جيوش اجنبية اخرى باقية. وان حكومة صاحب الجلالة اعطت ذلك التأكيد.

عميد فرنجية وفيشنسكي يردان على مندوب فرنسا: عقدت الجلسة الحادية والعشرون لمجلس الامن في الساعة الرابعة بعد ظهر نفس النهار (١٥ شباط ١٩٤٦)

وقام حميد فرنجية رئيس الوفد اللبناني يلقي ضوءا على الصورة الشعرية الخيالية التي رسمها مندوب فرنسا في جلسة الصباح وذلك خدمة للحقيقة . فقد بين ان حكومتي فرنسا وانكلترا انما ارادتا الحصول على تأييد السكان عندما حققتا اماني البلدين العادلة لانه لم يكن لديها في الحملة السورية (ضد فيشي) سوى ١٢٠٠٠ جندي بريطاني وبين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ جندي من الافرنسيين الاحرار . وقد ذكر حميد فرنجية تصريحات السير مايلز لامبسون في ٨ حزيران (يونيو) ١٩٤١ والجنرال كاترو ، وانتهى الى القول بان « الاعتراف باستقلال سورية ولبنان لم يكن نتيجة عطف مجرد ، وانما كان عملا منصفا . كما انه كان حيويا لاجل الجهد الحربي » . ثم يقول انه سوف لا يدخل في مناقشة ما اذا كان رجال الدبلوماسية الافرنسية هم الذين استحصلوا على دخول سورية ولبنان الى مؤتمر سان فرنسيسكو ويضيف : « ان هذه المسألة اتركها للتاريخ ولكن الدول المشرفة على المؤتمر ما كانت دعتنا لو انها لم تعتبرنا دولا مستقلة ذات سيادة وان لنا الحق والامتياز بتوقيع ميثاق الامم المتحدة » . ثم يشير ، ردا على ما قاله بيدو ، الى ان الذي انقذ الشرق الاوسط من الحرب كان المقاومة وجهود الجميع المشتركة التي ساهم فيها الفرنسيون وليس وجود الافرنسيين في سورية ولبنان .

وينهض فارس فيوافق على ما قاله زميله رئيس الوفد اللبناني ويذكر ان هنالك امورا اخرى يريد ان يعرضها فيما بعد . ويليه مندوب الولايات المتحدة ستاتينيوس فيقول ان سياسة حكومته هي تشجيع الانسحاب السريع للجيوش الاجنبية من اراضي اية دولة مشتركة في الامم المتحدة ومحتلة اثناء الحرب اذا رغبت حكومة تلك الدولة انسحابها . ووفقا لهذه السياسة فانه يعبر عن امل حكومة الولايات المتحدة بان تجاب رغبات الحكومتين السورية واللبنانية بانسحاب الجيوش الاجنبية التي في بلادهما في اول فرصة ممكنة . وان يكون ذلك عن طريق اتفاق متبادل مرضي لهذه الغاية .

وينبري مندوب الاتحاد السوفياتي فيشنسكي وينتقد سياسة فرنسا ومطالبها نقدا لاذعا فيشير في اول الامر الى المذكرة التي سلمها الجنرال بينيه في ١٨ ايار لحكومتي

سورية ولبنان والتي تطلب تأمين مصالح فرنسا الثقافية والاقتصادية والستراتيجية ويقول : « انه من المناسب اكثر ان يدافع عن المصالح الثقافية بوسائل ثقافية وليس بمساعدة القوات المسلحة ولكن يظهر ان حكومة الجنرال ديغول كان لها رأي يختلف في ذلك الوقت ويتضح من خطاب المسيو بيدو انه لم يحصل تغير في وجهة نظر الحكومة الفرنسية . ويمكن ان نقول نفس الشيء عن المصالح الاقتصادية ». ثم يشير فيشنسكي الى المواقع الستراتيجية ويستخلص بأن هذه القضايا لا يجب ان تحل بمساعدة تلك الوسائل التي رأى ان يستعملها الجنرال بينيه في ايار ١٩٤٥ بالنسبة الى سورية ولبنان . ثم يتساءل عن الشروط التي عناها بيدو والتي بواسطتها يمكن ايجاد مخرج من الوضع الحالي فيقول : « أليست هي نفس الشروط التي وضعت في مذكرة ١٨ ايار ١٩٤٥ ؟ »

ويذكر فيشنسكي عبارة ديغول في المجلس الاستشاري في فرنسا في حزيران حين وصف كيف ان انكلترا يمكن ان تضغط كثيرا على الزعماء الافرنسيين ، وعلى زعماء سورية ولبنان ، ولذلك يقول فيشنسكي ان مصالح سورية ولبنان والدول العربية تقتضي بأن تتخذ انكلترا وفرنسا موقفا واحدا وسياسة مشتركة وينتقد اتفاق ١٣ ديسمبر . ويتساءل عن قضية ابقاء الجيوش لضمان السلامة العامة ، الى ان تنظم السلامة المشتركة من قبل الامم المتحدة فيقول : « انه لا يعلم بأن الامم المتحدة ستتخذ قرارات خاصة تتعلق بالسلامة المشتركة في تلك المنطقة . ويوضح بأن الجيوش البريطانية قد وضعت هناك لمنع الاضطراب الناتج عن وجود جيوش افرنسية ، بينما الجيوش الافرنسية باقية هناك لان الجيوش البريطانية لا تريد الانسحاب ، ثم يقول : « كل هذا يجري تحت اسم « احترام السيادة » وهو يحتاج الى قاموس جديد في الحقوق الدولية ! » وينهي فيشنسكي كلامه بقوله : « ان حل هذه المشكلة بسيط جدا اذ لا يجب اجراء مفاوضات من اي نوع . . . وامامنا جميع العناصر اللازمة للنظر في هذا النزاع . . . . وانا اعتقد بانه يجب اجابة طلب سورية ولبنان باتخاذ قرار من مجلس الامن يتعلق بجلاء الجيوش الفرنسية والبريطانية ، بصورة تامة وسريعة ، وفي آن واحد من سورية ولبنان . وليس من حل آخر للقضية . . . ان القرار الوحيد الذي يليق بمنظمتنا هو

اجابة طلب حكومتي سورية ولبنان اللتين يؤيدهما الوفد السوفييتي تأييدا تاما باسم الحكومة السوفيتية ».

وبعد ذلك ينهض مندوب الصين ولنجتن كو Wellington Koo ويقترح اجراء المفاوضات بين اصحاب العلاقة لوضع الترتيبات العملية للانسحاب مع اطلاع المجلس على تقدم المفاوضات ونتيجتها ويتقدم مندوب مصر ممدوح رياض فيقارن بين مبادىء الميثاق وهو المساواة في السيادة بين اعضاء الامم المتحدة وبين حجة فرنسا المبنية على اعتبارات معنوية وسياسية وحتى انتهازية ، ويتساءل لماذا تحمل فرنسا وانكلترا نفسهما مسؤولية السلامة المشتركة . ويقوم مندوب بولونيا مودزلنسكي فيؤيد الحل الذي طلبه وفدا سورية ولبنان . ويعبر مندوب البرازيل فريتاس فاليه Freitas Valle عن تحبيذه لاجراء مفاوضات بين الفريقين للوصول الى حل مرضي . ثم يعود بيدو فيقول انه ليس هناك من نزاع يشكل خطرا على السلم ، يبرر القيام بعمل خاص من قبل مجلس الامن ، ويستلزم اجراء مفاوضات بين الحكومات صاحبة العلاقة ويقدم مندوب هولاندا فان كليفنس Van Kleffens اقتراحا بأن يأخذ مجلس الامن علماً باقوال الدول الاربع صاحبة العلاقة وان يعبر عن ثقته بانه بنتيجة المفاوضات تسحب الجيوش في تاريخ غير بعيد راجيا من الدول ان تطلع المجلس على ما يحصل .

دفاع فارس الخوري في جلستي ١٦ شباط وقرار انسحاب الجيوش الاجنبية :

عقدت الجلسة الثانية والعشرون (وهي الثالثة بالنسبة لبحث قضية الجلاء) لمجلس الامن في الساعة الحادية عشرة من صباح ١٦ شباط ١٩٤٦ . فبدأ الكلام باديا نيرفو Padilla Nervo مندوب المكسيك وقال : اولا انـه يعتقد بان طلب الحكومتين السورية واللبنانية بجلاء الجيوش في اول فرصة ممكنة طلب عادل محق . ثانيا ، ان تاريخ الجلاء يجب ان يعين بنتيجة مفاوضات بين الطرفين . على ان تتعلق المفاوضات بالتدابير العسكرية الفنية . وثالثاً انه يجب اطلاع المجلس على ما سيتم بهذا الشأن. ويتبعه حميد فرنجية رئيس وفد لبنان فيقول انه لا يعتقد بان عبارات بيدو مندوب فرنسا واقتراحات فان كليفنس مندوب هولاندا مرضية . وانـه يجب وضع اساس

واضح للمفاوضات اذا كان هذا هو قرار المجلس ورغبته .

ويعود فارس الخوري الى الكلام فيشكر المندوبين الذين تكلموا بهذا الوضوح ويقول : « لقد ذكر مندوب فرنسا ان هنالك صعوبات يجب تذليلها . ولم يتقدم بمعلومات واضحة عن هذه الصعوبات ، وقد ذكر امورا شكلية . فما هي هذه الشكليات ؟ لانه نظرا لاختباراتنا الماضية فاننا نشعر بضرورة الحصول على المعلومات التامة المتعلقة بالمبادىء والاسس التي تنطوي عليها هذه المفاوضات. ولقد وجه مندوب الاتحاد السوفيتي في جلسة البارحة سؤالا واضحا جدا لمندوب فرنسا عندما سأله اذا كانت الشروط التي عرضتها فرنسا في مذكرة ١٨ ايار ١٩٤٥ ، والتي ادت الى حوادث مؤسفة في سورية ولبنان ، سيجري الاصرار عليها . او اذا كانت بالعكس سوف لا تتخذ كموضوع او كأساس للمسائل التي ستبحث اثناء المفاوضات . وقد تكلم مندوب فرنسا البارحة بدون اية اشارة الى هذه القضية . ولذلك فقد بقيت مبهمة غامضة » .

ويستمر فارس في كلامه ويبرهن على ان الجلاء لا يحتاج الى مفاوضة . ويستعين بشواهد ملموسة عرفها وخبرها الجميع ولا يخلو كلامه من خفة الروح والتهكم فيقول : « واذا كانت هذه المفاوضات تتعلق بمبدأ الجلاء . فان هذا المبدأ كما ذكر صديقي مندوب لبنان يعترف به كل انسان. واما من حيث الاساليب التي بموجبها يحصل الجلاء فما هي المسائل والصعوبات التي تحتاج الى مفاوضة ؟ انني اقول لكم على اساس اختبارنا في الماضي وفي جميع الدول والبلاد بان المفاوضات لا تحصل بمناسبة الجلاء . لقد وقعت انكلترا وفرنسا اتفاقا فيما بينهما وقررتا الجلاء عن سورية بدون استشارة السوريين وبدون مفاوضتنا . ولم تكن لهم حاجة لموافقتنا لاننا نحن كنا نطلب الجلاء . وهذا ينطبق ايضا على الاتفاقات وحوادث الجلاء المقبلة . وانني اعلن هنا بصورة رسمية باسم حكومتي باننا سوف لا نضع اية اعتراضات بشأن الجلاء . وسوف لا نضع اي شروط بشأن الامور الشكلية وسوف لا نقول شيئا . فليجلوا اذا بدون استشارتنا وبدون مفاوضتنا لاننا سوف لا نقاوم مبدأ نطلب تطبيقه بالحاح . وزيادة على ذلك

فانني اود ان اطلب بكل احترام من مندوبي انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا اذا كانوا اجروا مفاوضات لاجلاء الجيوش من بلد الى اخر. ففي انكلترا توجد جيوش اميركية. والصحف تعلمنا ان هذه الجيوش تجلو وتغادر البلاد من حين الى آخر. وانني اود ان اعلم اذا كانوا دخلوا في مفاوضات لتقرير الشكليات وحل الصعوبات المتعلقة بهذا الجلاء. ان الجلاء يجري بدون مفاوضات رسمية ولا يزال جاريا». ذكر فارس الخوري ذلك فقاطعه بيفن مندوب انكلترا وقال على سبيل النكتة: «لقد اضطررنا ان نتفاوض في موضوع عرائس الحرب!» وعاد فارس الى الكلام عن الموضوع نفسه فقال: «اود ان اسأل مندوب فرنسا سؤالا: ان هنالك جيوشا اميركية وانكليزية في فرنسا، وهي آخذه في الجلاء. فماذا يكون يا ترى موقف الحكومة الفرنسية اذا قالت لها السلطات الاميركية العسكرية: لنتفاوض، اذ اننا سوف لا ننسحب ما لم تحصل المفاوضات ويحين الاتفاق بين اصحاب العلاقة. هل تقبل فرنسا بذلك؟ انني اعلم ان الجلاء عن جميع البلاد آخذ مجراه بدون مفاوضات وهو لا يتطلب المفاوضة فليفعل الانكليز والافرنسيون نفس الشيء. وعندئذ نصبح مستعدين لمساعدتهم عندما يطلبون ذلك.

«لقد أعلن مندوب انكلترا البارحة ان المقصود من بقاء الجيوش البريطانية في سورية هو منع الاحتكاك بين الجيوش الافرنسية وسكان سورية. كذلك اعلن بان الافرنسيين سوف لا يغادرون سورية ما لم يغادرها الانكليز. فكل منهما يخشى ان يأخذ مكانه الآخر. وكل منهما مقيم ليراقب الآخر، وهذا الوضع يذكرني بقصة القنديل الاحمر الذي نصب في وسط احد الشوارع. فسأل احد الناس: لماذا نصب قنديل احمر هنا؟ فاجيب انه نصب لكي لا يعثر احد المارة بالحجارة التي نُصب عليها القنديل. ثم سأل: ولماذا وضعت الحجارة؟ فقيل له انها وضعت لكي ينصب فوقها القنديل الاحمر! ان هذا يشبه الوضع الذي نحن فيه. لقد قال مندوب الاتحاد السوفيتي البارحة انه اذا ازيل السبب فان القضية تحل. وهذه القضية لا تثير اية صعوبة فقضيتنا بسيطة وواضحة جدا. واذا جعلناها موضع مفاوضة فانها تتعقد ونضطر الى ايضاحها من جديد.

« لذلك اقول بان حكومتي السورية لا تريد الدخول في مفاوضات . وذلك ليس لانها تكره التشرف بمقابلة دولتين عظيمتين كدولتي انكلترا وفرنسا . وانما لانه ليس من حاجة لذلك . لان حكومتي تخشى ان يؤدي ذلك الى تعقيد الموقف . وانه يكفي ان يوصي مجلس الامن بان يتم الجلاء ضمن وقت محدد . وان تبقى القضية على جدول اعمال المجلس حتى يتم الجلاء » .

قبل ان يستأنف فارس الكلام تقدم بعض الخطباء فابدوا آراءهم في الموضوع . وكان بينهم ممدوح رياض مندوب مصر . فقد اوصى بان تدخل الدول الاربع صاحبة العلاقة في مفاوضات لتقرر فقط التفاصيل الفنية للجلاء . ولتعيين تاريخ انتهائه ، مع اطلاع المجلس على ما يتم . وهذا ما كان اقترحه مندوب المكسيك . ولكن بيدو مندوب فرنسا يعود فيذكر مصالح فرنسا الثقافية . ويعود فيتكلم عن الانتداب ومسؤولياته . ويذكر الفراغ الذي حصل على اثر اعلان استقلال سورية ولبنان . وانه لمل. هذا الفراغ وضع اتفاق ١٣ دسمبر ١٩٤٥ . ويظهر انه ازعجه ما ذكره سائر الخطباء بشأن سياسة بلاده فقال بشدة : « ومع انه لا يوجد خلاف على الاسس فان المحاولات تجري للحصول على ما يشبه توجيه لوم ضد فرنسا . وفرنسا ليست مستعدة لقبول مثل هذا اللوم بعد كل ما قامت به اثناء مدة الانتداب وقبل ذلك مضحية بدماء ابنائها وبالاموال الطائلة ليس لخدمة مصالحها وانما لخدمة الانسانية في تلك البلاد » .

على ان مندوب انكلترا بيفن يقوم فيصرح بان حكومته قد اعلنت رغبتها في الجلاء . وانه يوافق على اقتراح مندوب هولندا في الدخول بمفاوضات من اجل ذلك . وينهض حميد فرنجية فيرد على كلام بيدو . ويذكره « بان القضية بيننا ليست قضية اقتصادية . وان مذكرة ١٨ ايار ١٩٤٥ تعلقت بامور ستراتيجية . وتعلمون ما حصل بنتيجتها . فحوادث ايار لم تنته الا بتدخل الجيوش البريطانية » . واشار الى ما قاله بيدو عن مسؤوليات الامن المترتبة على فرنسا بموجب انتداب جمعية الامم . فذكره بان « هذا الانتداب بنظر سورية ولبنان قد مات ودفن منذ توقيع ميثاق الامم

المتحدة . ولذلك فاننا لا نعترف بحق انسان ان يناقش على اساس ذلك الانتداب . . . واننا لا نحاول توجيه اللوم لفرنسا . وانما الامر الذي نرغب فيه ونطالب به هو شروط واضحة . لان اسباب صعوباتنا السابقة كان غموض العلاقات بيننا وغموض المطالب التي قدمت لنا ، والاسس التي عليها طلب منا ان نتفاوض » . ثم ذكر انه لا يمكن قبول شروط مقترحات مندوب هولاندا .

واستأنف فارس الخوري الكلام بعد ذلك فأشار الى ما قاله بيدو . والى كلمة « لوم » وقال : « انني لا ارى ان هناك لوما عندما نطلب من مجلس الامن حل هذه القضية التي وضعناها امامه » . ثم اتى على ذكر المفاوضات فقال : انه يمكن اجراءها بعد انتهاء الجلاء . « لان الحكومة السورية لا تطلب الدخول في المفاوضة في اي موضوع تحت ضغط القوات المسلحة الموجودة في اراضيها . وهي مضطرة لان تقول ذلك بسبب اختبارها الماضي ، وهي تخشى ان تعود هذه الامور فتتكرر » . اما فيما يتعلق بموضوع اتفاق ١٣ دسمبر والسلامة العامة فقد قال « ان مندوب فرنسا اشار البارحة واليوم الى ان اتفاق ١٣ دسمبر يتفق مع ميثاق الامم المتحدة ولقد راجعت جميع مواد الميثاق ، فلم اجد مادة واحدة يمكن انطباقها على هذا الاتفاق . واما السلامة المشتركة التي تعتبر فرنسا مسؤولة عنها بالاشتراك مع انكلترا فانني اقول : ان الميثاق قد نص عليها في دور الانتقال ، وان شروط السلامة المشتركة لا يمكن اتخاذها او تنفيذها من قبل اعضاء الامم المتحدة الا وفقا لما جاء في نصوص الميثاق » . ثم يذكر المادة ١٠٦ التي تحدد طريقة ضمان السلامة المشتركة عندما يتطلب الامر ، ويستنتج بان فرنسا وانكلترا لم تتشاورا مع سائر الاعضاء ، ولا مع سورية ولبنان المشتركتين في الامم المتحدة ، عندما وقعتا اتفاقهما . ولذلك فان اتفاق ١٣ دسمبر لا يتفق مع الميثاق . ثم يعود فيذكر بانه لا يرى اية صعوبات في الجلاء « فاذا كانت الحكومة الافرنسية ترى بعض الصعوبات فان عليها ان تزيلها بالاتفاق مع الحكومة البريطانية وليس معنا . لاننا لا نرى وجود صعوبة ولا نقيم اي صعوبات . واننا لسنا

مستعدين للدخول في مفاوضات تتعلق بموضوع غير موضوع الجلاء نفسه . ولي الامل بان ينصفنا اعضاء مجلس الامن في هذه القضية كما عرضت عليهم بقطع النظر عن ثقتهم في هذا او ذاك . اذ انه يمكن الوثوق بالعدل وبالحق وليس باي شيء آخر ».

وينهض بعد ذلك إستاتينيوس مندوب الولايات المتحدة فيقترح بان تدخل الدول صاحبة العلاقة في مفاوضات بدون تأخير جلاء الجيوش الاجنبية . وان تطلع المجلس على النتائج . على ان فيشنسكي يعترض على ذلك ، ويسأل مندوبي فرنسا وهولاندا والولايات المتحدة ماذا يعنون بالمفاوضات؟ اذ انه يجب معرفة نوع المفاوضات التي ستجري ، والا فانه لا يمكن ضمان النجاح .

استؤنفت الجلسة في الساعة الخامسة بعد ظهر نفس اليوم (١٦ شباط (فبراير) ١٩٤٥) فكانت الجلسة الثالثة والعشرين في دورة مجلس الامن ، والرابعة في بحث قضية الجلاء . وقد اقترحت تعديلات مختلفة لاقتراح مندوب الولايات المتحدة . منها ما اقترحه حميد فرنجية بان تكون المفاوضات فنية فقط مع اطلاع المجلس على موعد الجلاء النهائي . وقد اضاف الى ذلك « اننا نرفض حتماً التفاوض في موضوع الجلاء بالنسبة لمسائل اخرى ». ويقول فيشنسكي ان المفاوضات يجب ان تتعلق فقط بالتدابير الفنية اللازمة لتحقيق الجلاء ، فيستاء بيدو مندوب فرنسا منه ويذكره بانه اصبح ملكياً اكثر من الملك ! ويعود فارس الخوري لايضاح الموقف فيقول ان القضية كما وضعت امام المجلس تستهدف الجلاء فقط « وقد قلت سابقاً وها انني اكرر الان بحضور المستر بيفن بان اي قرار يعطيه المجلس عن المفاوضات في قضية الجلاء فقط ولاجل تلك الغاية لا يمنع اصحاب العلاقة من بدء المباحثات والمفاوضات برضاهم المتبادل في مواضيع اخرى تهمهم » .

ويهتم فيشنسكي بقضية التصويت على المقترحات . فيقول ان الدول صاحبة العلاقة

(بما فيها انكلترا وفرنسا وهما من اعضاء مجلس الامن) لا يجب ان تصوت ولكن بيدو يعترض ويقول ان القضية ليست بنزاع على ان فارس الخوري يصر بانها نزاع وانها قد تؤدي الى منازعات اكثر خطرا فيقبل بيفن مندوب انكلترا عدم التصويت على ان تحال القضية الى خبراء (لان القضية اذا اعتبرت نزاعا تتطلب عدم تصويت اصحاب العلاقة ولو كانوا اعضاء في مجلس الامن ويظهر ان باب الاجتهاد واسع في هذا الشأن ولذلك رغب بيفن في احالته الى خبراء لاجل المستقبل) .

وبدأ المجلس بالتصويت على المقترحات للبت في شكوى سورية ولبنان . فعرض اقتراح المكسيك بان تقتصر المفاوضات على الترتيبات العسكرية الفنية لاجل الجلاء فقط . ولكنه لم يحصل على الاكثرية . وعرضت تعديلات مختلفة لاقتراح مندوب الولايات المتحدة قدمتها مصر و لاتحاد السوفيتي ، فلم تقبل . واخيرا عرض اقتراح ستاتينيوس الاساسي بالدخول في مفاوضات لاجل الجلاء مع اطلاع المجلس على ما يتم ، فقبل باكثرية سبعة اصوات ولكن فيشنسكي اعترض على ذلك ، لان المادة ٢٧ من الميثاق تتطلب سبعة اصوات بما فيهم اصوات الاعضاء الدائمين وبما انه صوت ضد الاقتراح ودولته عضو دائم في مجلس الامن فان الاقتراح لا يجب ان يقبل . على ان بيدو وبيفن مع موافقتهما على تفسير فيشنسكي اعلنا بانهما سينفذان اقتراح الاكثرية وسوف لا يرفضان موافقتهما لاسباب قانونية . وعلى ذلك فقد قبل المجلس مبدأ جلاء الجيوش الاجنبية عن اراضي سورية ولبنان بعد مناقشات استغرقت يومين كاملين عقدت فيهما اربع جلسات . وقد خطب فارس اثناءها مرات عديدة . وجادل وناقش اساطين مجلس الامن مستشهدا تارة بالنصوص القانونية وطوراً بالرجوع الى الماضي وكانت النتيجة ان بفضله وبفضل زميله حميد فرنجية اكتسبت قضية سورية ولبنان عطف مندوبي الدول . وقد حصلت المفاوضات في شهر اذار وبدأت انكلترا وفرنسا تعلنان عن موعد جلاء قواتهما بعد ان اعلمتا مجلس الامن بانهما ستجيبان رغبته .

واخذت جيوشها بالانسحاب بسرعة الى ان تم الجلاء عن سورية في الساعة العاشرة من يوم ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ واحتفلت سورية بهذا الحادث التاريخي في يوم ١٧ نيسان (ابريل) الذي اعتبر عيداً قومياً · كذلك احتفل لبنان بالجلاء التام في ٣١ كانون الاول (دسمبر) ١٩٤٦ وهكذا حصلت سورية ولبنان على السيادة التامة بعد ان دام الحكم الاجنبي فيها ربع قرن في زمن الانتداب واربعة قرون في العهد العثماني .

الفصل التاسع

عضوية مجلس الأمن والدفاع عن القضية المصرية

١٩٤٧

فارس مندوب سورية في مجلس الامن : كان في جدول اعمال مجلس الامن في جلسته المنعقدة في ٣١ كانون الاول (دسمبر) ١٩٤٦ تقرير مقدم من السكرتير العام لمنظمة الامم المتحدة يتعلق باوراق اعتماد مندوب سورية في مجلس الامن هذا نصه :

« بناء على المادة ١٥ من الاحكام الموقتة لاعمال مجلس الامن فانني اود ابلاغكم انني تناولت برقية مؤرخة في ١٧ كانون الاول (دسمبر) ١٩٤٦ من صاحب الدولة سعد الله الجابري وزير خارجية سورية ، يعين بموجبها صاحب الدولة فارس الخوري مندوباً عن سورية في مجلس الامن ، والدكتور قسطنطين زريق وكيلاً عنه . وانني اعتقد ان اوراق الاعتماد هذه هي حسب الاصول »[1] . فكانت النتيجة ان مجلس الامن وافق على هذا التقرير بعد قراءته .

كان فارس الخوري على رأس وفد سورية في منظمة الامم المتحدة في اواخر عام ١٩٤٦ عندما انتهت عضوية مصر في مجلس الامن ، وانتخبت سورية مكانها لمدة سنتين باكثرية ٤٥ صوتاً من اصل ٥٣ صوتاً . وقام فارس فشكر وفود الدول على ثقتهم وقال : « ان سورية فخورة في انها احرزت ثقة اعضاء الامم المتحدة . وهذه

---

(١) راجع : Official Records of Security Council (Lake Success 1946), First year, 2nd Series, Suppl. 13, Annex 29.

المهمة تجر وراءها واجبات كبرى . فسورية تتعهد بالقيام بهذه المهمة الجديدة بكل قواها، هذا مع شعورها بالمسؤولية . وستبذل جهودها دائماً لاحترام نص الميثاق وروحه بكل اخلاص ونزاهة . وان ايمان سورية غير المتزعزع بالميثاق سيفوز دائماً في جميع اعمالها . وستقوم باعباء المنصب الجديد في تأييدها له بكل قواها . وتؤمل سورية ان تدلل على الثقة التي وضعها فيها اعضاء المنظمة بانتخابهم اياها عضواً في مجلس الامن » .

كلفت الحكومة السورية فارس الخوري ان يكون مندوبها في مجلس الامن وارسلت برقية بذلك الى سكرتير عام منظمة الامم المتحدة . فاحالها الى مجلس الامن الذي وافق ، كما جاء اعلاه ، على اوراق اعتماده . وكان في الرابعة والسبعين من عمره حين اسندت اليه هذه المهمة الخطيرة . وبقي مدة سنتين كاملتين (١٩٤٧ و ١٩٤٨) يقوم باعبائها . وترأس مجلس الامن مرتين في شهر آب (اوغسطس) ١٩٤٧ وشهر حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، وعرضت على مجلس الامن قضايا كثيرة تتعلق بالامن الدولي العالمي ، وبشاكل الدول ومنازعاتها . ومن اشهرها قضية فلسطين والقضية المصرية . وفي نفس الوقت كانت تعقد جلسات منظمة الامم ولجانها . وكان فارس يتكلم فيها جميعها بصفته رئيساً للوفود السورية في تلك المنظمة عدا كونه عضواً في مجلس الامن . وقد دافع عن قضية مصر وجلاء الجيوش الاجنبية عنها في صيف ١٩٤٧ حين كان رئيساً لمجلس الامن . كما دافع في اوائل ١٩٤٦ عن قضية جلاء الجيوش الاجنبية عن سورية ولبنان حين كان رئيساً للوفد السوري . على ان دفاعه لم يقتصر على البلاد العربية فحسب . بل كان يتناول جميع القضايا التي لها علاقة بالسلم . وكان يشمل جميع الشعوب التي كانت على حق في مطالبها .

القضية المصرية في مجلس الامن اثناء رئاسة فارس : وقعت مصر مع انكلترا معاهدة ٢٦ آب (اوغسطس) ١٩٣٦ فاكدت استقلال مصر وسيادتها . ونصت على انتهاء احتلال القوات البريطانية لمصر . غير ان بعض موادها نص على بقاء قوات بريطانية في منطقة ترعة السويس بصورة موقتة ، بشرط ان لا تخل بحقوق السيادة المصرية . كما انها عادت بمصر وانكلترا الى اتفاق ١٨٩٩ بشأن السودان

الذي اصبح تحت السلطة الثنائية المصرية والانكليزية . وقد رأت الحكومة المصرية بعد انتهاء الحرب ان معاهدة ١٩٣٦ قد استنفذت اغراضها . وانها تتعارض مع احكام ميثاق هيئة الامم المتحدة . كما ان وجود قوات اجنبية في اراضيها في زمن السلم بغير رضائها رضاء حراً يعد امتهاناً لكرامتها ويناقض ميثاق الامم المتحدة . فسعت للوصول الى حل عادل عن طريق المفاوضة مع انكلترا . ولكن المفاوضات اخفقت ولذلك رفع رئيس وزارتها ووزير خارجيتها محمود فهمي النقراشي باشا النزاع القائم بينها وبين انكلترا الى مجلس الامن . وقد جاء في كتاب رئيس الوزارة المصرية المؤرخ في ٨ تموز (يوليو) ١٩٤٧ الى سكرتير عام هيئة الامم المتحدة تريجفي لي ما يلي :

« تحتل القوات البريطانية الاقاليم المصرية على الرغم من ارادة الشعب الاجماعية . وان وجود قوات اجنبية في اراضي دولة من اعضاء الامم المتحدة في زمن السلم بغير رضائها رضاء حرا يعد امتهانا لكرامتها وحائلا يحول دون تقدمها الطبيعي » . كما انه خرق في المبدأ الاساسي مبدأ المساواة في السيادة . وهو بذلك يناقض ميثاق الامم المتحدة في نصه وروحه ، وقرار الجمعية العمومية الصادر بالاجماع في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

« ان احتلال القوات البريطانية غير المشروع لمصر في سنة ١٨٨٢ واحتلالها للجزء الجنوبي من وادي النيل اي السودان تبعاً لذلك قد مكن حكومة المملكة المتحدة منذ سنة ١٨٩٩ من ان تفرض على مصر اشتراكها معها في ادارة السودان وان تنفرد بعدئذ بالسلطان فيه . وقد استخدمت حكومة المملكة المتحدة هذا الوضع لكي تتبع سياسة ترمي الى فصل السودان عن مصر ، عاملة على تشويه سمعة مصر والمصريين ، وبذر بذور التفرقة بين المصريين والسودانيين ، وبث الانقسام بين السودانيين انفسهم ، واثارة حركات انفصالية مصطنعة والحض عليها ، وقد سعت حكومة المملكة المتحدة بهذه السياسة ، وما زالت تسعى ، الى فصل وحدة وادي النيل على الرغم من هذه الوحدة التي تقتضيها مصالح سكان هذا الوادي وامانيهم المشتركة .

« ولما كان احتلال القوات البريطانية المسلحة لوادي النيل ، والمضي في هذه السياسة العدائية ، كلاهما تهديدا غير مشروع لحرية امة مستقلة ووحدتها ، فقد اثار نزاعاً بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة يمكن استمراره من تعريض السلم والامن الدولي للخطر . ووفقا للمادة ٢٣ من ميثاق الامم المتحدة ، وعلى الرغم من ان وجود القوات الاجنبية لا يتلاءم بذاته مع حرية المفاوضات ، سعت الحكومة المصرية ، في حسن نية ، الى الوصول الى حل عادل لهذا النزاع عن طريق مفاوضات مباشرة مع حكومة المملكة المتحدة . واذ اخفقت هذه المفاوضات الطويلة المضنية حاولت حكومة المملكة المتحدة التمسك بمعاهدة ١٩٣٦ التي لا يمكن ان تلتزم مصر بها . اذ انها استنفذت اغراضها فضلا عن انها تتعارض مع احكام الميثاق . لذلك ترفع الحكومة المصرية النزاع القائم بينهما وبين المملكة المتحدة الى مجلس الامن تطبيقا للمادتين ٣٥ و ٣٧ من الميثاق طالبة :

أ – جلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان جلاء تاماً ناجزاً .

ب – انهاء النظام الاداري الحالي للسودان .

والحكومة المصرية اذ تطلب اليكم ادراج هذا النزاع في جدول اعمال المجلس تبدي استعدادها لشرح هذا النزاع وتقديم الوثائق اللازمة حين يطلب اليها ذلك » . [1]

كان مجلس الامن لما رفعت مصر نزاعها اليه مؤلفاً من مندوبي الدول الخمس الدائمة (انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين) ، ومن مندوبي الدول الست : كولمبيا ، بولونيا ، سورية ، بلجيكا ، البرازيل ، اوستراليا . وقد

---

(١) راجع بشأن هذا النص والمناقشات عموما : وقائع جلسات مجلس الامن المنعقدة في ليك سكس للنظر في النزاع الانكليزي المصري ١٩٤٧ (مطبعة ماكور كوديل بالخرطوم) .

راجع النص الانكليزي في : Verbatim Records of the Meetings of the Security Council concerning the Anglo–Egyptian Dispute (Mc Corquodale & Co. Khartûm), 1947.

كانت الرئاسة في شهر تموز (يوليو) لمندوب بولونيا ؛ ويظهر ان الوفد البريطاني كان يفضل - وفقا لما ذكره احد كبار موظفي هيئة الامم المتحدة - تأجيل مناقشة الشكوى المصرية الى ما بعد اول آب (اوغسطس) لتتخلص بريطانيا من رئاسة المندوب البولوني من جهة، لانه من كتلة معادية ، ولانها تفضل ان يكون فارس الخوري رئيساً للمجلس عندما تحصل المناقشة . والسبب هو ان بريطانيا تعرف تمام المعرفة ان فارسا سيكون اكثر الاعضاء تحمساً في الدفاع عن وجهة نظر مصر . كما انها تعرف تمام المعرفة ان رئاسة المجلس ستضطره للمحافظة ، بقدر الامكان ، على حياده . فلا يستطيع ان يؤيد مصر التأييد الكامل الذي ينتظر منه في ما لو تحرر من مسؤوليات هذه الرئاسة . وهكذا تختار بريطانيا اخف الشرين اذ هي تفضل شر توليته رئاسة المجلس على شر تركه حراً اثناء النظر في المشكلة ٠

اصبح فارس رئيس مجلس الامن في مطلع شهر آب (اوغسطس) ١٩٤٧ (وكان قبل ثلاثة اسابيع اي في ٧ تموز (يوليو) قد انتخب نائبا بالتزكية في المجلس النيابي السوري الجديد في دمشق). ودامت رئاسته حتى نهاية آب (اوغسطس) وقد اتضح ان قضية مصر ستعرض في هذه الاثناء . فارسلت الحكومة السورية التي كان يرأسها جميل مردم بك تعليمات بضرورة مساندتها ، وبذل اقصى الجهود لوصول مصر الى حقها الشرعي الطبيعي ، وارسلت هيئات سورية مختلفة برقيات الى فارس الخوري تظهر فيها حرصها على تأييد قضية مصر ٠ منها برقية فؤاد القضماني نقيب المحامين في دمشق في ٤ آب (اوغسطس) يقول فيها : « العالم الحقوقي يؤيد مصر في مطالبها العادلة — الجلاء ووحدة وادي النيل . وينتظر حكما عادلا تستقر القناعة بقوة المبادىء السامية التي بشرت بها مؤسستكم العليا ابان انشائها » ، وبرقية الشيخ مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان المسلمين في سورية ولبنان يقول « . . السوريون يجتمعون اليوم في المعابد ضارعين الى الله نصرة شقيقتهم في مطالبها العادلة » .

مناقشة شكوى مصر وخطبة فارس في جلسة ٢٦ آب اوغسطس ١٩٤٧ :

اجتمع مجلس الامن في الساعة العاشرة والنصف من ٥ آب ١٩٤٧ في جلسته الخامسة

والسبعين بعد المائة برئاسة فارس الخوري . وبعد ان اعلن الرئيس افتتاح الجلسة قال : ان جدول الاعمال يحتوي على مادتين . الاولى هي الرسالة التي ارسل بها رئيس وزراء مصر ووزير خارجيتها الى السكرتير العام في ٨ تموز (يوليو) ١٩٤٧ والثانية هي مسألة



محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية ووزير الخارجية اثناء مناقشة قضية مصر في مجلس الأمن

اليونان • وكاد يحصل نقاش بين مندوب الولايات المتحدة وبين جروميكو مندوب الاتحاد السوفيتي حول قضية تخصيص جلسة بعد الظهر لقضية اليونان . ولكن فارس الخوري حسم النقاش بقوله : « ان الملاحظات التي ادلى بها مندوب الولايات

المتحدة ، وملاحظات مندوب الاتحاد السوفيتي ، سابقة لاوانها لاننا لا نتحدث الآن عن اجتماع بعد الظهر ولا عن رسالة مندوب اليونان ، وعندما يحين الوقت للنقاش في خطاب مندوب اليونان ستجدون جميعا متسعاً من الوقت لابداء ما ترون من اعتراضات عليه . وانا لا ارى مانعا من اقرار جدول الاعمال هذا على حاله ، لان كل مادة فيه ستنظر على حدة في وقتها الملائم » . وكانت النتيجة ان جدول الاعمال أُقر . ثم اخذ محمود فهمي النقراشي باشا مكانه من مائدة المجلس بدعوة من الرئيس الذي طلب منه ان يدلي ببيانه . وهنا قام النقراشي وادلى ببيان دافع فيه عن مطالب مصر وقد استغرق القاء البيان نحو الساعة والربع . وانهى كلمته بقوله :

« يا جناب الرئيس : اود قبل ان اختتم بياني ان اشير مرة اخرى الى النتائج الدولية المحتملة للنزاع المعروض عليكم . فهو نزاع لا شك ان استمراره من شأنه ان يعرض للخطر حفظ السلم والامن الدولي . والحكومة المصرية لم تأت الى هنا لتشهر سلاحها في وجه احد . ولكنها لا تملك ان تغمض عينها عن غضب الشعب المصري لاستمرار وجود القوات البريطانية في ارض الوطن ، ولا عما يقف في طريق نياتها السلمية . الم يعلمنا التاريخ ان زمام الامور سرعان ما يفلت في مثل هذه الحالات . . . اننا لسنا نعيش بعد في ظلمات القرن التاسع عشر . بل نحيا في عالم اليوم ، عالم الميثاق ، عالم الامن الجماعي ، عالم يرنو الى النظام والسلم ، عالم لا يطيق مظاهرات التوسع والاستعمار . . . يا جناب الرئيس : ان قضيتنا عادلة ، هذا يقيننا ، وانا لم نلجأ الى ساحتكم سدى . هذا عهدنا ، وان مبادىء الميثاق ايماننا » .

اعلن فارس الخوري انتهاء الجلسة بعد ان القى النقراشي باشا بيانه وانعقدت الجلسة التالية (السادسة والسبعون بعد المائة) بعد ظهر ٥ آب (اوغسطس) واستمع فيها المجلس الى بيان السير الكسندر كادوجان مندوب انكلترا . وقد القى خطابا مطولا رد فيه على ما ورد في خطبة مندوب مصر . وختم كلمته بقوله « اظن انني قد اظهرت لكم ان لا شك هناك في شرعية معاهدة ١٩٣٦ . وان المادتين ٨ و ١١ (المتعلقتين بالترعة وبالسودان) من هذه المعاهدة فيهما الرد الكامل على المطلبين اللذين تقدمت بهما مصر . فاذا ما قبلنا شرعية معاهدة ١٩٣٦ بدا لنا ان مطلب مصر ليس

له مبرر . وان مصر لا حق لها للمفاوضة باعادة النظر في هذه المعاهدة . ولكن المملكة المتحدة وافقت عن طيب خاطر على الدخول في مفاوضات ١٩٤٦ . بيد ان هذه المفاوضات (بيفن – صدقي) لم تكلل بالنجاح . ولا تستطيع مصر ان تحصل على حق المفاوضة لاعادة النظر في المعاهدة بمجرد تقديم شكوى الى مجلس الامن لا تقوم على اساس سليم . . . »

ويعلن بعد ذلك فارس الخوري بان وجهتي النظر في هذه القضية قد شرحتا الآن شرحا كافياً . وانه من الاوفق الآن ان نوقف النقاش كيما يستطيع الطرفان المتنازعان دراسة الوثائق التي تقدم بها كل من الطرفين ، ويهيئا نفسيهما للجلسات المقبلة . وبعد تعيين الجلسة القادمة لاستئناف النظر في هذه لقضية ترك النقراشي المنصة . واستأنف المجلس مناقشة قضية اندونسيا .

وعاد المجلس فاجتمع في جلسة ١١ آب (اوغسطس) (الجلسة ١٧٩) لبحث قضية مصر . فتكلم النقراشي وكادوجان وكذلك تكلما في جلسة ١٣ آب (الجلسة ١٨٢) ثم اعلن فارس الخوري انه بعد استماع عرض القضية من قبل الطرفين سننتقل الى المرحلة الثانية من عملنا وهو فتح باب المناقشة في القضية من قبل اعضاء المجلس . وبالفعل فقد تناقش الاعضاء في جلستي ٢٠ و ٢٢ آب (الجلسة ١٨٩ و ١٩٣) في القضية المصرية واقترح مندوب البرازيل المسيو مونيس Muniz بانه بما ان وسائل التوفيق التي نصت عليها المادة ٣٣ من ميثاق هيئة الامم لم تستنفد بعد فان مجلس الامن يعتقد بان تسوية النزاع يمكن ان تتم على اكمل وجه بالرجوع الى هذه الوسائل . وذلك بان تعد حكومتا المملكة المتحدة ومصر الى استئناف المفاوضات المباشرة . وان تسعيا في حالة فشل هذه المفاوضات لتسوية النزاع بوسائل سلمية اخرى تكون من اختيارهما دون سواهما . وان تبلغا المجلس عن سير المفاوضات وتقدمها . واضاف مندوب بلجيكا المسيو نيزو Nisot ، الى هذا الاقتراح ، ان تكون من جملة وسائل تسوية النزاع بطرق سلمية عرض النزاع حول شرعية معاهدة سنة ١٩٣٦ على محكمة العدل الدولية . واظهر مندوب فرنسا ومندوب الولايات المتحدة تحبيذهما لاقتراح البرازيل . اما جروميكو مندوب الاتحاد السوفيتي فقد قال ان استمرار هذا النزاع

يمكن ان يعرض السلام العالمي للخطر . وان هذه النقطة ابانتها حكومة مصر بيانا صحيحا . واستندت في بيانها هذا الى حقائق مناسبة . واضاف ان اتحاد السوفيات يفهم جيدا اماني مصر القومية ، ويعطف عليها . وان مطلب مصر في ان تجلو القوات البريطانية عن مصر والسودان في الحال مطلب يقوم على اساس صحيح . واما في ما يتصل بمستقبل السودان ، فانه قبل ان يعرف المجلس اماني الشعب السوداني الحقيقية يكون من الصعب ان يقضى بامر في هذه المسألة .

وعاد المجلس فاجتمع في ٢٦ آب (اوغسطس) في الساعة الثالثة بعد الظهر (الجلسة ١٩٦) . وبعد الاستماع الى مندوب البرازيل وقف فارس الخوري يتكلم ليس بصفته رئيسا لمجلس الامن بل باسم وفد سورية . وقد بدأ بمعالجة النقطة التي اثارها مندوب انكلترا وهي ما اذا كانت مصر محقة في عرض قضيتها على مجلس الامن . فقرر ان القضية التي عرضتها مصر هي نزاع حسب مفهوم المادة ٣٣ من ميثاق هيئة الامم . ثم قال : « ان السير كادوجان انكر ان الحالة في مصر يمكن ان تهدد السلم العالمي . ورأى انه لا يوجد تهديد للسلم الا اذا قام المصريون بهذا التهديد . اما انا فانني لا افرق بين اي الطرفين يمكن ان يهدد السلم . اذ لا فرق اذا كان ذلك من قبل المدعي او المدعى عليه . فالجانب الذي يعتقد ان حقه هضم يمكن ان يلجأ الى الدفاع عن النفس سواء كان المدعي او المدعى عليه » . ويجد فارس الخوري ان قضية ممر كورفو حيث كانت الحكومة البريطانية على حق في عرضها على مجلس الامن تشبه قضية مصر « فالحكومة المصرية والشعب المصري يعتقدون ان كرامتهم القومية وسيادتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية تمس كثيرا بوجود قوات اجنبية في اراضيهم وبممارسة انكلترا السلطة في ادارة السودان . والحكومة المصرية شعرت بحق بان هذا التجاوز المستمر على حقوقها المشروعة كعضو في هيئة الامم لها ان تمارس جميع صلاحيات الاستقلال التام والتساوي في السيادة التي يضمنها الميثاق ، سيؤدي بالتأكيد الى الاصطدام الذي اتضح وقوعه في مناسبات عديدة . كما انه سيعكر صفو الامن

والسلم الدولي. والحكومة والشعب المصري لهم الحق ايضا ان يعتقدوا بان استمرار هذه التجاوزات على حقوقهم السياسية والمدنية تخولهم حق اللجوء الى الدفاع عن النفس بموجب المادة ٥١ من الميثاق ، باعتبار ان وجود القوات الاجنبية المسلحة في اراضيهم ، وضد حرية ارادتهم ، هو هجوم مسلح عليهم . ولاجل معالجة هذه الاوضاع الخطرة فقد لجأوا لوسائل الحل السلمي المشاكل كما يوصي به الفصل السادس من الميثاق . وبدأت المفاوضات بين الطرفين حسب المادة ٣٣ ودامت عدة شهور في القاهرة ولندن بدون نتيجة ورأت مصر نفسها مضطرة بعد فشل المفاوضات ان تتخذ الخطوة التالية بموجب المادة ٣٥ من الميثاق وان تعرض القضية على مجلس الامن » .

بعد ان قرر فارس الخوري ان مصر قد اتبعت الطريق الصحيحة بعرض قضيتها على مجلس الامن اخذ يتكلم عن المادتين ٨ و ١١ من معاهدة ١٩٣٦ اللتين تعتمد عليهما الحكومة الانكليزية في ابقاء قواتها في منطقة القنال وفي الاشتراك في حكومة السودان المدنية . فقال : « واذا حللنا الظروف التي ادخلت فيها هذه المواد في المعاهدة وقارناها بالوضع الحالي ، كما اقره الميثاق ، فاننا نكون فكرة عن مدى قيمة هذه المواد في المعاهدة . اذ لا يمكن ان يتصور احد ان بقاء القوات الانكليزية المسلحة في اراضي مصر كان برغبة مصر ورضاها الحر . لانه ليس من امة ترضى تدبيرا كهذا الا اذا كانت تحت ضغط مجبر وفي احوال غير اعتيادية . وان وجود قوات اجنبية في اراضي دولة من اعضاء هيئة الامم لا تقره هيئة الامم ، وقرار الجمعية العمومية المؤرخ في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ يتطلب الانسحاب السريع . الا اذا كانت الدولة التي هي عضو في الهيئة تعبر عن رضاها بحرية وبصورة علنية بموجب معاهدة او اتفاق يتفق مع الميثاق ولا يعارض الاتفاقات الدولية » .

ثم اخذ يبحث عما اذا كانت موافقة الحكومة المصرية كما جاءت في المادة ٨ من معاهدة ١٩٣٦ تقع ضمن مفهوم قرار الجمعية العمومية ، وعن الاسباب التي اجبرت الحكومة المصرية ان تذعن لهذا التدبير غير الاعتيادي ، الذي فرض عليها في المادة ٨

من المعاهدة . فقال : « نظراً لان ترعة السويس مع كونها جزءاً لا يتجزأ من مصر هي طريق عام للمواصلات ، وطريق هام المواصلات بين اجزاء الامبراطورية البريطانية فان جلالة ملك مصر يسمح لجلالة ملك انكلترا بابقاء قوات في اراضي مصر بجوار الترعة ، لاجل ضمان حماية الترعة بالتعاون مع القوات المصرية . وذلك الى ان يأتي الوقت الذي يتفق فيه الطرفان المتعاقدان بان الجيش المصري هو في وضع يمكنه بوسائله الخاصة من ضمان حرية وسلامة الملاحة في الترعة ، هذا مع العلم بان وجود هذه القوات سوف لا يعارض حق مصر في السيادة . وكان مفهوما انه بعد انقضاء العشرين سنة المنصوص عنها في المادة ١٦ فان مسألة عدم لزوم بقاء القوات البريطانية بسبب مقدرة الجيش المصري على ضمان حرية وسلامة الملاحة في الترعة ، يمكن عرضها على مجلس جمعية الامم اذا لم يتفق الطرفان المتعاقدان على ذلك . من هذه المادة يمكننا ان نستنتج الاسباب الظاهرة التي حملت الحكومة المصرية على قبول المادة وهي :

« اولا — طبيعة الترعة اذ بما انها طريق بحري دولي فان الملاحة يجب ان تكون حرة فيها في زمن السلم والحرب . ولذلك اصبحت حمايتها من عناصر السلامة المشتركة التي يقع ضمانها على مصر في الدرجة الاولى وعلى مجلس الامن في الدرجة الثانية . ومع ان هذا الواجب قد تعهدت به انكلترا في ١٩٣٦ فان احتكار هذا الواجب لا يمكن ان يدوم بموجب ميثاق هيئة الامم بسبب الفصلين السادس والسابع والمادة ١٠٦ فانكلترا قد اعفيت بصورة آلية من هذا الواجب الذي تتحمله الآن هيئة الامم .

« ثانياً — عدم كفاية الجيش المصري في ١٩٣٦ للقيام وحده بالدفاع عما افترض من مهاجمة الترعة من قبل دولة قوية . ويجب ان نلاحظ هنا بان الحكومة المصرية لم تكن حرة في تنظيم جيشها اثناء احتلال طال عهده من قبل انكلترا ، فلم يكن لها اكثر من ١٢٠٠٠ جندي في مصر والسودان التي تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين كيلو متر مربع . وفي هذه الاحوال كان من الطبيعي ان تدافع انكلترا عن ضرورة

الاشتراك في الدفاع عن الترعة ، وخاصة في عام ١٩٣٦ عندما كان يحارب موسوليني الحبشة . وكانت اعمال هتلر تهدد السلم العالمي . اما الان فقد تغيرت جميع هذه الاحوال واصبح الجيش المصري قادراً على الدفاع عن الترعة بالاضافة الى المساعدة العسكرية التي يمكن ان يقدمها مجلس الامن اذا اقتضى الامر . فشرط انسحاب قوات انكلترا ، حيث لم يعد بقاؤها ضروريا بحسب المعاهدة ، قد حصل الان . ولا يوجد افتراض تهديد لسلامة الملاحة في الترعة .

« ثالثاً — عندما كانت الترعة وسيلة هامة للمواصلات بين اجزاء الامبراطورية البريطانية اتخذ هذا كسبب للسماح لحكومة انكلترا في الاشتراك في الدفاع . على ان حصر امتياز حماية الترعة بانكلترا في الوقت الذي تستخدم فيه الدول الاخرى الترعة لاجل الملاحة هو تجاوز على مبدأ المساواة بين الدول ذات العلاقة كما ان استخدام اية دولة لاي مضيق او ترعة لاجل الملاحة لا يبرر احتلالها لاجل حمايتها . ان مثل هذا الامتياز قد حرم منه الاتحاد السوفيتي لمدة طويلة وحتى الان في الدردنيل كما حرمت منه اية دولة في اي مضيق او ترعة وانني لا ارى لماذا يجب منحه الان لدولة واحدة .

« رابعاً — عندما وقعت المعاهدة كانت القوات الانكليزية مرابطة بحرية في جميع اراضي مصر والسودان ، مما ادى الى استياء المصريين الشديد ، والى حدوث ثورات متعددة وفي مثل هذه الظروف فلا عجب اذا قبلت مصر بان تحرر اراضيها من الاحتلال العسكري وان تبقى فرقة واحدة مؤلفة من ١٠،٠٠٠ جندي في منطقة واحدة في البلاد ، اذ عندما يكون الانسان مكبلاً باعضائه الاربعة بالسلاسل ويقبل حل القيود عن ثلاثة منها بحيث يبقى عضو واحد مكبلاً فانه ليس من الانصاف ان نسمي قبوله موافقة حرة . ان الجمعية العمومية ما كانت اعطت اهمية لمثل هذه الموافقة . فالموافقة الحرة والمعلنة بموجب اتفاق لا يجب ان تأتي الامن جانب حر ، والموافقة الاجبارية ليس لها اعتبار في العهد الجديد ، عهد الميثاق . ومبادىء القانون الدولي يجب ان تكون الآن متفقة مع مبادىء هيئة الامم . ولا يقام وزن لاي اتفاقات تتجاوز على مقتضيات المساواة في السيادة ، خاصة عندما تصبح شروطها غير

ضرورية . ان وجود القوات الاجنبية في اراضي دولة صديقـة هو تدبير استثنائي تحت ظروف استثنائية وينطوي على فوائد متبادلة للطرفين. وعندما تزول هذه الفوائد فان التدابير الاستثنائية يجب ان تزول معهـا . فهل وجود القوات الانكليزيـة في مصر في الوقت الحـاضر ضروري او مفيـد ؟ انني اقول لا . فهو ضار بانكلترا لانـه يكلفها نفقـات باهظة ويعرضهـا لفقد صداقة امـة عظيمة ترغب انكلترا رغبة صادقة في الاحتفاظ بالصداقة والعلاقات الحسنة معها . وهو ضار بالمصريين لانه مصدر ضيق دائم لهم لكونه يمس كبرياءهم الوطنية ويتحدى سيادتهم . وهو ضار بالسلم العالمي لانه يهدد السلم . ان القوات المصرية مرابطة على مرأى من معسكرات الانكليز ويمكن لأي كان ان يتصور الخطر الماثل لهذا الاحتكاك بين قوتين متماكستين تضمر كل منهما للاخرى شعور العداء » .

بعد تحليل الاسباب التي حملت الحكومة المصرية على قبول المادة ٨ في معاهدة ١٩٣٦ وبيان عدم جواز بقاء القوات الانكليزية في مصر ، اخذ فارس الخوري يقنع مجلس الامن بوجوب الاستجابة لرغبات مصر فقال : « ان مجلس الامن يكون قد عمل بموجب ما يترتب عليه اذا وضع حدا حاسما لهذا الوضع المؤسف . ولقد اقترح البعض اجراء مفاوضات بين الفريقين . على انه في المفاوضات السابقة وافقت انكلترا على سحب قواتها . فيمكنها ان تفعل ذلك الآن بدون مفاوضات والمصريون سوف لا يعترضون على ذلك . ويقال بان انكلترا تريد عقد تحالف مع مصر قبل الانسحاب بحيث يجعل الانسحاب شرطاً لتكوين تحالف جديد . وقد فهمت ان المصريين لا يريدون هذا التحالف، فهم راضون بتحالفهم الذي هو اقوى واكثر فائدة مع هيئة الامم المتحدة حسب المعاهدة الدولية التي هي ميثاق تلك الهيئة .

« وانني لا اؤمن بفائدة التحالفات الاجبارية، وحتى التحالفات التي عقدت بصورة شرعية قد رفضت بقرار طرف واحد . والتاريخ الحديث يعطينا امثلة عديدة عن ذلك . واذا انسحبت القوات الانكليزية بدون مفاوضات فانني اعتقد ان المفاوضات في امور اخرى معلقة يمكن ان تبدأ . ان طلب الاجلاء اجماعي في مصر والسودان . والاحزاب كلها

متفقة على هذه النقطة ، وهي مستعدة ، كما قد حذرنا، لركوب اي خطر لتحقيق هذه الرغبة ، وانه لم يرتفع صوت واحد من الملايين الستة والعشرين التي تقطن وادي النيل يطلب بقاء القوات الاجنبية . ان استمرار الحكم الثنائي في السودان ، وان اي قرار يتخذه هذا المجلس بدون شرط ينص على جلاء القوات الانكليزية ، من شأنه ان يؤدي الى اضطرابات خطيرة مخلة بالامن في مصر. وانني اخشى ان تعكير صفو السلم في تلك المنطقة بالنظر للحالة الحرجة في فلسطين سوف لا يقتصر على مصر وحدها . ان الشعب العربي في الشرق الادنى مضطرب جدا للظلم الصارخ الذي لحق بهم لتحقيق احلام الصهيونيين وقد لايستطيع ان يتحمل ظلما آخر ضد بلاده .

« انه ليس من الحكمة بشيء ان نتغاضى عن المطالب المشروعة لاي عضو من اعضاء هيئة الامم وعن رغبتها بأن تعيش حرة ضمن حدودها . فهذه المنطقة هي منطقة ستراتيجية يحيط بها ملايين السكان الذين يشاركونها في شعورها ويعطفون على امانيها القومية . وان مسألة شرعية المعاهدة او عدم شرعيتها امام الخطر الحالي على السلم يمكن ان نسميها سفسطة . ومثل هذا النزاع لا يمكن اعتباره نزاعا قانونياً حتى تحكم فيه محكمة العدل الدولية بموجب الفقرة ٣ من المادة ٣٦ من الميثاق . فمحكمة العدل الدولية يمكن ان تعرض عليها خلافات قانونية فقط وليس لها سلطة في المنازعات السياسية ولذلك فانني اعتقد ان الاقتراح البلجيكي ليس له محل في القضية التي بين أيدينا . »

اثر خطبة فارس : تكلم بعد فارس الخوري في جلسة ٢٦ آب (اوغسطس) مندوبو استراليا ومصر وبولونيا وبلجيكا . ثم نهض السير الكسندر كادوجان مندوب انكلترا واظهر استياءه من خطبة فارس فقال : « لا يسعني الا ان اقول بانه هالني ما جاء في الخطبة التي القاها مندوب سورية امام المجلس بعد ظهر هذا اليوم . اذ لاح لي انه كان يعيد على مسامعكم القضية المصرية بكاملها دون ان يعير انتباهاً لما حاولت الادلاء به ردا على ما قيل . اما وقد ابديت هذا الشعور نحو خطبته

ارى لزاما علي ان اعترف الآن وبعد ان امعنت النظر في الامر كله بانني لم استغرب ما قال . لانني اذكر ان مندوب سورية في جامعة الدول العربية قد قال في شهر آذار الماضي ، قبل ان تعرض القضية على المجلس ، وقبل ان يدلي احد من الطرفين بحججه، بان سورية ستؤيد مصر تأييدا مطلقا مائة بالمائة . وانني ارى ان مثل هذا الاجراء لا يرفع كثيرا من مكانة مجلس الامن . . »

وقد رد النقراشي في جلسة الصباح في ٢٨ آب (الجلسة ١٩٨) على ما قاله كادوجان بشأن خطاب فارس الخوري قائلا : « لقد هال السير الكسندر كادوجان يوم الثلاثاء الماضي ٢٦ اوغسطس (آب) ذلك التأييد المطلق الذي اضفاه على قضيتنا مندوب سورية المحترم · حتى لقد اشار (اي كادوجان) الى ان ذلك يضعف من هيبة مجلس الامن · كأنما يرى ان هيبة مجلس الامن تتوقف على تأييده لحق مغتصب وموافقته على العدوان والغزو البريطاني · وانا كمندوب امة صغرى اريد ان اقوي من هيبة مجلس الامن وذلك بأن احتكم على انتهاج سبيل اخرى مضادة · بأن اطلب اليكم تأييد امة صغرى تطلب سيادتها واستقلالها الذي لم تحترمه امة قوية · وبأن اطلب اليكم ان تعفوا مصر من العواقب التي لا بد من وقوعها والمترتبة على وجود القوات البريطانية في اراضينا وبأن اسألكم ان تكفلوا لنا مركزنا المشروع في الميثاق » ·

هذا ما قاله كادوجان من جهة والنقراشي من جهة اخرى اثناء المناقشة في مجلس الامن بشأن خطبة فارس · اما في الاوساط الدولية والعربية فقد كان اثرها بالغاً . وقد اكد مراسل وكالة الانباء العربية في ليك سكسيس في ٢٧ آب (اوغسطس) ان مصر استردت بالامس بعض التأثير بفضل تلك الخطبة القوية الرائعة التي القاها فارس الخوري . وقد وصف محمود ابو الفتح خطبة فارس بانها اصلح بيان القي بشأن القضية المصرية منذ شهور . وقال احد كبراء المصريين « لقد سرتني خطبة فارس بك السرور كله . . . ولو اخذت السياسة البريطانية بنصيحة فارس الخوري

لاستطاعت ان تكون اعز مما هي مكانة وارفع شأناً في تقدير جميع الامم العربية ولعاشت معهم في افق من المودة والاحترام » . واخذت الاوساط المختلفة تفكر منذ اوائل ايلول بتكريم فارس بمختلف الاشكال نظراً لدفاعه عن قضية مصر ، ولم يكن دفاعه بعد قد انتهى . فقد جاء عن القاهرة في ٢ ايلول (سبتمبر) ان بعض



السر الكسندر كادوجان مندوب انكلترا في هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن اثناء مناقشة قضية مصر .

الشخصيات المصرية اقترحت اقامة تمثال للسيد فارس الخوري تقديراً لموقفه الرائع في الدفاع عن مصر . ونظم عدد من الشعراء قصائد وطنية تتضمن الاشادة بموقفه من قضية وادي النيل . واقترح البعض اطلاق اسمه على احد ميادين القاهرة . وجاء

من بيروت في ٦ ايلول (سبتمبر) انه بوشر بالاكتتاب لصنع وسام ثمين يسمى وسام الامة العربية يهدى الى فارس الخوري لمناسبة دفاعه المجيد عن القضية المصرية امام مجلس الامن . وجاء من القاهرة في ٧ ايلول (سبتمبر) ان رابطة ادباء الاسكندرية قررت منح لقب المواطن المصري لدولة السيد فارس الخوري لدفاعه المجيد عن قضية مصر وان القرار رفع الى مقام القصر الملكي . وقد بعث الاتحاد السوداني المصري في القاهرة الى جريدة صوت السودان يهيب بالسودانيين بان يشتركوا في الاكتتاب مع المصريين لتقديم وسام لدولة السيد فارس الخوري اعترافاً بجميله ، واعراباً عن شعور وادي النيل وقد احدث خطاب فارس صداه المرتقب في البرلمان الانكليزي . فقام احد النواب يسأل الحكومة عن موقفها حيال اقتراح فارس الخوري بسحب قواتها من مصر . فاجاب الناطق باسم الحكومة ان انكلترا تعتبر الحرب قائمة بينها وبين المانيا !

متابعة الدفاع عن قضية مصر في مجلس الامن وخطبة ١٠ ايلول :

توالت الاجتماعات في مجلس الامن لبحث القضية المصرية . وعقدت جلستان في يوم ٢٨ آب . عرض في الاولى منها اقتراح البرازيل وتعديلاته التي قدمتها بلجيكا واستراليا والصين ، وهي ترمي الى اجراء المفاوضات بين الطرفين . ولكنها جميعها سقطت واحتج النقراشي على اقتراح مندوب كولومبيا لوبز Lopez في الجلسة ١٩٩ (بعد ظهر ٢٨ آب) التي تجمل الجلاء مرتبطاً بمعاهدة تطلب المعونة المشتركة لضمان حرية الملاحة في ترعة السويس في زمن السلم والحرب او خطر الحرب . ويقوم فارس فيعبر عن موقف الوفد السوري تجاه اقتراح كولومبيا فيلفت نظر المجلس الى ان بقاء الجيوش البريطانية بجوار ترعة السويس ليس من التزامات انكلترا . وانما هو تفويض من جلالة ملك مصر بوجود هذه القوات ثم يقول : « وهذا التفويض الذي منحه صاحب الجلالة ملك مصر كما سبق ان اوضحت في بياني السابق قد منح في ظروف معينة . وجميع هذه الظروف لم يعد لها الآن وجود . وليس ثمة ما يمنع حكومة جلالته من سحب هذه القوات التي وضعت هناك دون ان يكون لها اية نتيجة او اثر غير انطوائها على تهديد الامن وحنق الحكومة المصرية وزيادة النفقات للجانبين وخلق جو سيء

يسود علاقات الصداقة التي كان الجانبان يتمنى المحافظة عليها .

« وقد نص اقتراح كولومبيا في الجملة الاولى من الفقرة الاولى على ضرورة البدء في المفاوضات لاجل جلاء القوات البريطانية . وكما قلت سابقا كان الجلاء لا يحتاج الى اية مفاوضات بل قد يتم بدون مفاوضات . وقد نصت الجملة الثانية من الفقرة الاولى من هذا الاقتراح على المعونة المشتركة حتى يمكن ضمان حرية الملاحة في الترعة واود ان اذكر حضرات الزملاء ان المفاوضات السابقة قد فشلت لاصطدامها بهذه القضية . فاذا دعونا الطرفين الآن للدخول في مفاوضات جديدة فمن المرجح ان تفشل هذه المفاوضات لنفس السبب . والمعونة المشتركة لا ضرورة لها فيما يتعلق بالحكومة المصرية للدفاع عن الترعة . لان الجيش المصري قد بلغ الآن من القوة قدرا يمكنه من الاضطلاع بهذه المهمة التي تقع على عاتق مصر وحدها دون اية دولة اخرى . واعتقد ان مصر سوف تلجأ الى مجلس الامن عندما تحتم عليها الضرورة طلب المعونة المشتركة . لان هذه الترعة هي طريق بحري عالمي يستخدمه العالم كله ومن واجب مجلس الامن بمقتضى الميثاق ان يتخذ التدابير للسلامة المشتركة وهذا التدبير واحد منها . ولذلك فمجلس الامن ليس مضطراً ان يلزم او يشير على الدولتين المتنازعتين بالتعاون في المحافظة على الترعة . . . وليس من الصواب ان يشترط مجلس الامن قيام المساعدة لحماية الملاحة في الترعة لاجل جلاء الجيوش البريطانية . ومعنى هذا اننا نطلب الى الحكومة المصرية او نفرض عليها شرطا هو ان تعقد محالفة مع حكومة بريطانيا للدفاع عن الترعة . وان معاهدات التحالف العسكرية التي من هذا النوع لا تكون اجبارية بل يجب ان تكون اختيارية . . . ولذلك فانني ارى ان تضمين الفقرة الثانية من مشروع هذا القرار سيضر بالمفاوضات اكثر مما يفيدها » .

وفي ٢٩ آب ١٩٤٧ عقدت الجلسة المائتان فدافع مندوب كولومبيا عن اقتراحه . وتصدى له اندريه جروميكو مندوب الاتحاد السوفيتي فردّد تقريبا ما قاله فارس الخوري في الجلسة السابقة . وحذر من قبول هذا الاقتراح فقال : « . . . وقبول اقتراح كولومبيا لا يعني شيئا آخر سوى انه محاولة يقوم بها مجلس الامن لفرض

حالات من الاستعباد على مصر فيما يختص بتسوية العلاقات بينها وبين احدى الدول الاخرى وهذا يتنافى مع مبادىء المساواة القائمة بين الشعوب والدول . . . وقبول مجلس الامن لهذا الاقتراح معناه توجيه ضربة الى سلطته وسلطة هيئة الامم المتحدة بكاملها . لقد جاءت مصر الينا طالبة حماية مصالحها القومية المشروعة . وبدلا من ان نحمي مصالحها نرى بيننا من يوحي بفرض شروط عليها تعتبر جارحة لشعورها الوطني ومخلة بالنظام الدولي وغير متفقة مع سيادة مصر كدولة مستقلة . . . »

على ان كادوجان مندوب انكلترا لا يرى بان المجلس باتخاذه مثل هذه الخطوة يكون قد وضع اي قيود على مصر . لان الاقتراحين المقدمين يستوجبان على المتفاوضين ان يخطرا المجلس بما يتم من مفاوضتهما وهذا يجعل المجلس على علم تام بالموضوع . ويرى فارس الخوري فرصة مناسبة بعد ان ادلى الاعضاء بآرائهم لتقديم بعض ايضاحات باسم الوفد السوري فيقول « . . ان المادة السابعة من معاهدة ١٩٣٦ تلزم الحكومة البريطانية بان تساعد مصر في حالة الحرب او خطر الحرب او الاعتداء على اي جزء من الاراضي المصرية . لهذا السبب اعتقد ان سحب القوات البريطانية من منطقة الترعة لن يؤثر في الدفاع عن الترعة ولن يؤثر على فكرة المعاهدة او مبادئها . ان في مقدور مصر الآن ان تضع هناك خمسين الف جندي لا عشرة آلاف » . ثم يذكر كيف ان مليونا من الجنود المصرية اشتركوا مع الجنود البريطانية للدفاع عن القناة في الحرب العالمية الاولى . وكيف كان التعاون وثيقا في الحرب العالمية الثانية تحت احكام المعاهدة . ولما كان وجود هذه القوات البريطانية اختياريا فان سحبها عن طواعية لن يؤثر في المسألة لانها عادت غير ضرورية هناك في هذا التطور في ما يتعلق بالمادة ٨ من المعاهدة . واذا سحب البريطانيون جيوشهم فان ذلك لا شك يسهل كل المفاوضات التي تلي ذلك والتي من شأنها — ان حصل هذا — ان تأتي بنتائج باهرة . وقد جرى التصويت على اقتراح كولومبيا فسقط .

انتهت رئاسة فارس لمجلس الامن في نهاية شهر آب (اوغسطس) ١٩٤٧ ولم يستأنف المجلس اعماله حتى ١٠ ايلول . وقد اجتمع في ذلك اليوم (الجلسة ٢٠١) برئاسة جروميكو مندوب الاتحاد السوفيتي وبعد ان اعلن الرئيس الجديد افتتاح الجلسة

قال : « وقبل كل شيء. اريد ان اشكر سلفي مندوب سورية للمقدرة الفائقة التي اظهرها حين رئاسته للمجلس · واعتقد اننا تقدمنا بعض الشيء في شهر آب (اوغسطس) وبذلنا جهداً كبيراً في عملنا · غير انه لا تزال بعض المسائل التي لم نصل فيها الى تسوية». وقد تقدم مندوب الصين المستر تسيانغ بمشروع قرار يتعلق باستئناف المفاوضات بين الطرفين مع اطلاع مجلس الامن على مدى تقدمها وتقديم تقرير لمجلس الامن في اول كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ على الاكثر .

نهض فارس الخوري بعد ان تكلم كادوجان والنقراشي ، وابدى ملاحظات تعليقاً على بيان كادوجان فقال : ان النزاع المعروض على مجلس الامن يتألف من قسمين احدهما اشد خطورة من الآخر . وهو وجود القوات البريطانية في اراضي دولة من اعضاء هيئة الامم . وهذا يمكن معالجته بموجب الفقرة الاولى من المادة ٣٦ التي تقول « لمجلس الامن ان يوصي باتخاذ اجراءات مناسبة للتسوية في اي طور من اطوار نزاع ينطبق وصفه على ما اشير اليه في المادة ٣٣ » . بينما المسائل الاخرى من النزاع يمكن ان تعالج من طريق المفاوضات على اساس المادة ٣٣ · والوسيلة لتسوية القسم الاول هي اتخاذ اجراء حاسم لكي يتم سحب القوات البريطانية . وعلى ذلك فانه لا يرى تناقضا بين المادة ٣٣ وبين مسلك مجلس الامن كما ادعى كادوجان اذ يمكن معالجة جزء من الموضوع بمقتضى المادة ٣٣ والجزء الآخر على اساس الفقرة الاولى من المادة ٣٦ .

ثم انتقل فارس الى مناقشة نقطة ثانية هي مسألة الضغط ، ذلك ان استمرار وجود قوات اجنبية ربما يستخدم على سبيل الضغط للتأثير على المفاوضات الخاصة بالمسائل الاخرى . واشار الى ما ذكره كادوجان وهو ان جميع المسائل المتعلقة بالنزاع يجب ان تعالج جملة. ولكن فارس يقول ان ذلك معناه الضغط . او اذا لم نطلق عليه الضغط قلنا ان النفوذ الناشيء عن وجود القوات البريطانية قد يفسر على انه توجيه الضغط بهذه الصورة . ثم يفرض ان الطرفين قد نفذا مشروع المجلس وباشرا بالمفاوضة كما اوصاهما · عند ذلك سيطلب المصريون الى الحكومة البريطانية ان تسحب قواتها فتقول : ولكن لا يسعنا ان نسحب قواتنا قبل ان نفرغ من جميع المسائل الاخرى وان نصل الى اتفاق تام بصدد الامر كله . ولهذا فان فارس يبرر قول رئيس

وزارة مصر وهو : «اننا لا يسعنا ان ندخل في مفاوضات ما دامت القوات البريطانية مرابطة في الاراضي المصرية».

بعد ذلك يعطي فارس رأيه في مبدأ المفاوضات نفسه فيقول : « ان رأيي دائماً هو ان سحب القوات لا يتوقف على المفاوضات او ما يجري مجراها . فالانسحاب حركة يقوم بها جانب واحد والحكومة البريطانية حرة في ان تنسحب واني لعلى يقين من ان المصريين لن يثيروا عقبة ما في سبيل الجلاء بل على العكس سيكونون عوناً على تحقيقه» ثم اخذ يظهر حسنات الانسحاب فقال بان الحكومة البريطانية اذا قامت بهذه الحركة الودية وسحبت قواتها على ان تستأنف المفاوضات في المسائل الاخرى فان هذه الخطوة الطيبة يكون لها فضل كبير في حل النزاع حلا سريعا وهي لا تكلف الحكومة البريطانية شيئا ٠ اذ انها ستسحب قواتها وقد وافقت في الماضي على سحبها وهي الآن على يقين من انها لن تكسب شيئا من وراء الاحتفاظ بقوة صغيرة على مقربة من ترعة السويس لا لشيء الا لتثير حفيظة المصريين . ومثل هذا العمل لا يقدره المصريون فحسب بل تقدره جميع شعوب الشرق الادنى والعالم عامة .

بعد ان بين فارس بان جلاء القوات البريطانية سيساعد على حل المشاكل الاخرى واستئناف العلاقات الطيبة بين مصر وانكلترا روى المجلس ما حدث في لندن خلال العام الماضي بشأن قضية سورية ولبنان . اذ بعد ان فشل المجلس باتخاذ قرار في الموضوع تقدم المستر بيفن والمسيو بيدو واعلنا رسميا انهما على استعداد لتحقيق رغبة المجلس في جلاء قواتهما عن سورية ولبنان في اقرب وقت ممكن . وبالفعل فقد انسحبت القوات الاجنبية عن سورية بعد شهر من ذلك التصريح ، ومن لبنان بعد بضعة شهور ٠ ولقد كان لهذه التصريحات وقع عظيم في الشرق الادنى وفي العالم اجمع ٠ وآمل ان تعالج هذه المسألة على هذا النحو ٠ ثم عاد فارس فذكر بريطانيا بعدم لزوم بقاء قواتها في مصر وبما يخشاه المصريون من ضغط هذه القوات اثناء اجراء المفاوضات ٠

انتهت المناقشات في قضية مصر في هذه الجلسة التي عقدت في ١٠ ايلول

(سبتمبر) وقد جرى التصويت على الاقتراح الصيني وعلى صيغته المعدلة من قبل اوستراليا فسقط الاثنان . واعلن الرئيس جروميكو ان المجلس لم يتمكن من اتخاذ قرار بشأن القضية المصرية وستبقى هذه المسألة في جدول الاعمال الى ان يقر مجلس الامن غير ذلك . ويحاول فارس الخوري محاولة اخيرة لحمل انكلترا على الاقتداء بما حصل في قضية الجلاء عن سورية ولبنان فيقول : « وبما ان رغبة المجلس هنا واضحة وهي سحب القوات البريطانية من اراضي دولة من دول هيئة الامم فاني ارجو ان تتخذ حكومة صاحب الجلالة هذه الخطوة دون ان يوصي بها المجلس او يدعو اليها وفي ذلك تحقيق لرغبة ابداها كل عضو في هذا المجلس » . ويجيب كادوجان مؤكدا بان حكومته ستأخذ علما بما ابداه مندوب سورية مع اعتقاده بان المسألة الحالية تختلف في بعض الاوجه عن المسألة التي اشار اليها المندوب السوري ويعلن جروميكو بان النقاش في المسألة المصرية قد تأجل ويمكن تناول مسألة اخرى .

التعليق على دفاع فارس وتقدير جهوده: عقدت الصحف العربية مقالات رئيسية عن جهود فارس في مجلس الامن بشأن قضية مصر ونقل مراسلو الصحف في نيويورك رأي الاوساط الدولية في نشاطه ومقدرته وادارته للجلسات في شهر آب . فجاء عن نيويورك في ٣٠ آب (اوغسطس) ١٩٤٧ ما يلي :

« تصرح الاوساط الدولية بان دولة الاستاذ الخوري قد ارتفعت مكانته عما كانت من قبل رئاسته لمجلس الامن، كما ان رئاسته لمجلس الامن كانت حافلة بالاعمال الهامة الخطيرة . وبالرغم من ان سنه اربت على الثانية والسبعين فقد قام بمهام الرئاسة بهمة وحكمة نادرتين . وواجه اخطر مشاكل العالم كمشكلة اليونان ومصر واندونسيا والجميع يثنون على اقتداره. ولقد عقد اثناء رئاسته اثنتين وثلاثين جلسة. بينما متوسط الجلسات في الشهور الثمانية عشر السابقة كان لا يتجاوز ثماني جلسات » .
وجاء من مراسل وكالة الانباء العربية من فلشنغ ميدوز في ١٧ ايلول (سبتمبر) ان

« فارس الخوري احرز مقاماً رفيعاً في هيئة الامم . وكثيرا ما لوحظ مع الدهشة ان اثر التعب لا يبدو عليه مطلقا على الرغم من تجاوزه السبعين من العمر . بل في وسعه ان يلقي خطبة رائعة في نهاية اية مناقشة طويلة مجهدة » . وقد كتب مراسل جريدة الف باء في القاهرة يقول : « لا حديث للمصريين امس واليوم سوى حديث عبقرية فارس بك الخوري ، رئيس المجلس النيابي السوري ، ومندوب سورية في الامم المتحدة . فقد برهن على حصافة ممتازة في قيادة جلسات مجلس الامن . وفي تصيُّد الحجج القوية لقضية مصر التي هي قضية العرب ، ولقد كشف محمود ابو الفتح ناحية من قوة فارس وهي قوة الحجة . وتمنى لو انه غير مكلف بادارة جلسات مجلس الامن ، اذن لامكنه ان يفيد مصر كثيرا . ولكن السيد فارس بك الخوري افاد مصر بقيادة الجلسات فمكنها من الادلاء بحججها ، ومنع كل تشويش . ولما حان وقت الدفاع جرّد من نفسه فارسا مغوارا . فدافع عن مصر بقوة مما جعل هذا الدفاع حديث المجالس ، حتى انني سمعت بعضهم يقول انه بدفاعه عن مصر كان خيرا من النقراشي رئيس وزارة مصر . فهذا البطل رفع رأس السوريين بين العرب ، ورأس العرب في العالم . . . ولا عجب ان يحمل اليه البرق الوفا من البرقيات فشكراً لله على فضله العميم » .

وجاء في جريدة الزمان المصرية بعنوان « الرجل المكافح » ما يلي : « لن ينسى المصريون ابدا ذلك الصوت الرصين العميق الذي امتزج ذكره الى الابد بتاريخ جهادنا في سبيل السيادة والاستقلال . كان صوت كادوجان الجاف يرتفع في مجلس الامن الدولي وتتبعه اصوات اخرى توجه ضرباتها مباشرة او مداورة الى حقوق مصر المقدسة ويشعر المصريون وهم يسمعون تلك الاصوات النكراء بانقباض في الصدر يدوم لحظات طويلة او قصيرة . ثم يختلج الامل في الصدر ويحل محل الانقباض عندما يدوي في ذلك المكان الصوت الذي نقشت نبراته على صفحات الاذهان . وهو صوت فارس الخوري مندوب سورية ورئيس مجلس الامن الدولي في ليك سكيس في هذه الدورة التاريخية

فكان يلقي في ذلك الجو الرهيب بضع كلمات نيرة واضحة يعبر عن آراء واضحة نيرة مثلها . فيهدم حجة الخصم من الاساس . ولكن القضاة في ذلك المجلس كانت تنقصهم النزاهة . ولذلك لم يكتب الفوز للمحامي فارس الخوري في مرافعته المتينة الرائعة » .

كان المؤتمر الهندسي العربي الثالث منعقداً في دمشق عندما انتهت مناقشات مجلس الامن في القضية المصرية ، وقد قام وفد المهندسين المصريين في هذا المؤتمر برئاسة جودة بك كبير مهندسي السكة والاشغال بوضع اكليل على قبر الشهيد يوسف العظمة في ميسلون ، واكاليل على قبور شهداء العدوان الافرنسي . ثم زاروا دار فارس الخوري وقدموا الى نجله سهيل كتاب شكر باسم مهندسي مصر موجهاً لدولة والده على الموقف العظيم الذي وقفه من القضية المصرية . واقد رأى جلالة ملك مصر ان يشكر فارس الخوري على جهوده . فانعم عليه بالوشاح الاكبر لوسام اسماعيل . وارسلت اليه برقية بذلك من قبل رئيس الديوان الملكي ، وقد اجاب فارس على هذا الانعام الملكي ببرقية ارسلها الى رئيس ديوان الملك جاء فيها ... « وارجو ان ترفعوا لجلالته فائق امتناني على تشجيعه اياي بتقديره فوق ما تستحق خدماتي المتواضعة التي تقصر عن شرف الوشاح الاكبر لوسام اسماعيل». وقد علق مراسل الاهرام في نيويورك على ذلك بقوله : « لا تزال الدوائر العربية تذكر بالتقدير العظيم فضل الفاروق وتشجيعه لجهاد العرب ممثلا في ما تفضل به اخيرا من الانعام على فارس الخوري بالوشاح الاكبر من نيشان اسماعيل ... ولم يغتبط السوريون وحدهم بهذا التقدير السامي لشيخهم المحنك بل كان الاغتباط شاملا جميع الدوائر العربية . واقبل الجميع على سفير العالم العربي مهنئين مجددين اعجابهم وتقديرهم للشيخ الذي لم يمنعه كبر سنه وحاجته الى الراحة من ان يجاهد في سبيل اعلاء كلمة العرب . وان ما احرزه فارس الخوري من منزلة رفيعة لم يقف عند حدود العالم العربي وابنائه بل جاوز ذلك الى الاميركيين والانكليز والفرنسيين واليهود انفسهم ... »

اما في سورية فقد رأينا كيف نجح فارس في انتخابات المجلس النيابي الجديد بالتزكية في ٧ تموز (يوليو) ١٩٤٧ حيث انسحب مرشحو الاقليات غير الممثلة من اجله وعندما اجتمع المجلس الجديد في ٢٧ ايلول (سبتمبر) لانتخاب رئيس المجلس كان فارس لا يزال في مجلس الامن · ولكن المجلس السوري انتخبه رئيساً باكثرية ساحقة · وكان قد مضى سبعة عشر يوما على انتهاء المناقشة في قضية مصر ·

الفصل العاشر

نضاله في الهيئات الدولية لإنقاذ عروبة فلسطين

١٩٤٧ - ١٩٤٨

كان نضال فارس الخوري في سبيل انقاذ عروبة فلسطين ، وكفاحه ضد خطر الصهيونية من اهم مظاهر عبقريته ومقدرته . فقد قام يناقش ويجادل كمندوب عن الدولة السورية في خطبه واحاديثه التي تعد بالعشرات امام هيئة الامم المتحدة ولجانها ، وامام مجلس الامن وفي مختلف الاوساط الدولية . فاسمع العالم رأيه ورأي الدول العربية في مشكلة فلسطين . وتنبأ عن الاخطار والويلات التي تنجم عن اغتصاب حق العرب وايجاد دولة يهودية في فلسطين . وقبل ان نذكر جهوده ونصف تطور المشكلة الفلسطينية قبل حلول الكارثة الاخيرة ، لا بد من وضع خلاصة عن اهم الاحداث التي سبقتها حتى نهاية عام ١٩٤٦ .

خلاصة عن تطور مشكلة فلسطين حتى مطلع عام ١٩٤٧ : ظهرت الحركة الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على اثر الحركات القومية التي قامت في اوربا وبنتيجة موجة الاضطهاد التي تناولت اليهود في مختلف بلاد اوربا الشرقية . فقد ظهرت في روسيا في ذلك الوقت حركة عرفت باسم « حب صهيون » وتأسست جميات في مختلف المدن الاوروبية باسم « محبي صهيون » . ولكن الصهيونية كانت حتى عام ١٨٩٧ اما مثالية عاطفية غرضها بعث التقاليد والثقافة اليهودية في ظل الحرية ، واما عملية ترمي الى السكن في بقعة من الارض يكسب فيها اليهود معيشتهم بحرية وكرامة . غير ان اهدافها تبدلت على اثر المؤتمر الذي دعا اليه تيودور هرتزل في

بال في ١٨٩٧ . فقد كان هذا اليهودي النمساوي يتابع محاكمة دريفوس في باريس ويراسل صحيفته في فينا ، وتنبهت افكاره وافكار اليهود بنتيجة ما رآه في تلك المحاكمة الى وجوب تأسيس دولة يهودية. وقد نشر اراءه في كتابه «الدولة اليهودية» واصبحت مقررات مؤتمر بال برنامج الصهيونية الرسمي وهو ايجاد وطن لليهود في فلسطين . واتصل هرتزل بالسلطان عبد الحميد وعرض عليه قرضاً كبيراً يعقده له اغنياء اليهود لقاء مساعدته على تحقيق امانيهم . ولكنه رفض ذلك كما رفضه الاتحاديون بعد اعلان الدستور في ١٩٠٨ . وكانت الحكومة العثمانية تعارض حركة الاسكان اليهودية ، وتمنع اليهود من امتلاك الارض ، وصدرت القوانين بذلك في ١٨٨٢ و ١٨٩١ ، ولكن القوانين لم تنفذ بسبب الرشوة . وقد اتجه اليهود لتأسيس الجمعيات لاسكان بني جنسهم في فلسطين . وكان المثري الكبير البارون ادمون دي روتشيلد يد كبرى في مساعدتهم على ذلك ، وقد اصبح عدد اليهود في عام ١٩١٤ نحو سبعين الف نفس (من اصل سبعماية الف في فلسطين) بعد ان كان لا يتجاوز العشرين الف نفس في عام ١٨٨٠ .

عندما نشبت الحرب العامة انتهز زعماء الصهيونيين الفرصة ، واستخدموا نفوذهم المالي والسياسي في انكلترا والولايات المتحدة . واقنعوا الانكليز بان تصدر تصريحاً يتعلق بالوطن القومي . وكانت انكلترا قد اظهرت اهتماماً بامر يهود فلسطين ، منذ ان عينت اول قنصل لها هناك . فقد تلقى المستر يونغ Young ، اول نائب قنصل انكليزي في القدس ، كتاباً من وزارة الخارجية الانكليزية في ٣١ كانون الاول (دسمبر) ١٨٣٩ جاء فيه : « لقد امرني اللورد بالمرستون ان ابلغكم بانه سيكون من جملة واجباتكم كنائب قنصل انكليزي في القدس بان تقدموا حمايتكم لليهود بوجه عام، ويجب ان تضعوا في اول فرصة تقريراً لمعاليه عن وضع اليهود في فلسطين ». وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ وجه السر ارثر بلفور وزير خارجية انكلترا كتاباً الى البارون روتشيلد يقول فيه : « يسرني جداً ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، مع العلم

بان لا يفعل شيء يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية في فلسطين الآن. ولا بالحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى».

احتل الانكليز الزاحفون من مصر مدينة القدس بعد نحو شهر من اعلان وعد بلفور، وقد سهلت لهم القوات العربية ذلك بعد اعلان الثورة العربية في ١٩١٦ ولم يلبثوا ان احتلوا فلسطين كلها. وفوجيء العرب بعد الاحتلال باخبار هذا الوعد الذي يتعارض مع وعود الانكليز للشريف حسين باستقلال البلاد العربية. وحدثت الاضطرابات في القدس منذ ١٩٢٠ بعد ان رأى العرب وهم اصحاب البلاد، تشكيل لجنة صهيونية لتسهيل الهجرة واسكان اليهود في فلسطين وان الانكليز يساعدون في ذلك. وقد انشأت انكلترا ادارة مدنية في فلسطين في ١٩٢٠، وعينت السر هربرت صموئيل اليهودي مندوبا ساميا، بعد ان تم لها وضع فلسطين تحت الانتداب الانكليزي في مؤتمر سان ريمو. وفتح هذا المندوب السامي باب الهجرة على مصراعيه واصبحت اللغة العربية احدى اللغات الرسمية في فلسطين التي سماها اليهود «ارض اسرائيل». وتدفقت الاموال من اللجان الصهيونية على اليهود لشراء الاراضي، فهب العرب للدفاع عن بلادهم بعد ان كثر استياؤهم. ونشبت ثورة في ١٩٢١ في يافا وامتدت الى القدس. فاعلنت الاحكام العرفية واوقف المندوب السامي الهجرة موقتاً. والفت لجنة تحقيق اصدرت قرارا اعترفت فيه بان العرب محقون في تخوفهم. واختار العرب وفدا ليسافر الى اوربا لشرح قضيتهم، فسافر الوفد الى لندن، واسفرت مباحثاته عن بيان اذاعه وزير المستعمرات المستر تشرشل في ١ تموز (يوليو) ١٩٢٢ في كتاب ابيض، لازالة المخاوف ولتهدئة العواطف، شرح فيه سياسة الحكومة البريطانية واكد تمسكها بوعد بلفور. ولكنه اكد بان انشاء الوطن القومي ليس معناه تحويل فلسطين الى دولة يهودية. وقويت الدعاية للقضية العربية في لندن حتى اصبح لها مناصرون في البرلمان الانكليزي نفسه.

اقر مجلس جمعية الامم صك الانتداب الذي وضعته انكلترا لادارة فلسطين في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ وقد وضعت جميع السلطات بيد الدولة المنتدبة بحيث تجعل « الاوضاع السياسية والادارية والاقتصادية في البلاد كفيلة بانشاء الوطن القومي

اليهودي » . واعترف صك الانتداب بوجود وكالة يهودية تشير وتساعد في ادارة فلسطين وكان رئيس الوكالة حايم رايزمن زعيم الصهيونية العالمية . وقد احتج العرب على هذا الصك ورفضوه ووضعت حكومة فلسطين دستورا يتضمن تأليف مجلس تشريعي برئاسة المندوب السامي ولكن العرب رفضوا هذا الدستور لانه مبني على اساس وعد بلفور وصك الانتداب . كذلك لم يقبلوا الدخول في مجلس استشاري معين من قبل الحكومة . وعلى ذلك فقد حكمت انكلترا البلاد حكما مباشرا .

وفي صيف ١٩٢٩ عقد مؤتمر صهيوني في زوريخ . واستفزت الخطب المتطرفة التي القيت فيه شعور العرب . كذلك اعتدى اليهود على حائط البراق الذي كان له مكانته عند المسلمين واتخذه اليهود مبكى لهم باعتباره من بقايا هيكل سليمان . ووضعوا بجانبه مقاعد خشبية ورفعوا الاعلام اليهودية عليه تمهيداً لجعله كنيساً . فنشبت ثورة في ٢٣ آب (اوغسطس) وقعت فيها اصطدامات ومعارك بين العرب واليهود ولكن الحكومة البريطانية تمكنت من القبض على ناصية الحال . ثم عينت لجنة للتحقيق برئاسة السر ولتر شو Show لمعرفة اسباب الاضطرابات المباشرة ، وتقديم التوصيات التي تحول دون تكرارها . ورفعت اللجنة تقريرها بعد ثلاثة شهور (اعتبارا من ٢٣ ايلول ١٩٢٩) وقد جاء فيه ان اسباب الاضطرابات هي خيبة امل العرب ، وعدم تحقيق امانيهم ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي . واوصت اللجنة بتحديد الهجرة اليهودية وبيع الاراضي ، وباصدار بيان من قبل الحكومة يوضح سياستها بالنسبة لمستقبل البلاد ، ويكفل حقوق العرب . كذلك ارسلت انكلترا لجنة ثانية برئاسة السر جون همبسون للتحقيق في مسألة الاراضي . وقد جاء في تقرير هذه اللجنة بانه لا توجد اراض تسمح بو اصلة اسكان اليهود ما لم يحصل اصلاح في نظام ملكية الارض ، وان البطالة بين العرب متصلة بكثرة الهجرة اليهودية . وقد هاجم الصهيونيون هذا التقرير بينما قبلته الحكومة البريطانية . واصدرت بيانا بسياستها على شكل كتاب ابيض في تشرين الاول ١٩٣٠ بينت فيه انها ستراعي في تحديد الهجرة قابلية الأرض للاستيعاب وتؤلف مجلسا تشريعيا وتراقب انتقال الاراضي . وضع

اليهود عند صدور الكتاب وقاموا بتظاهرات في بلاد اوروبا واميركا حتى ارسل مكدونالد رئيس وزارة انكلترا كتابا في ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٣١ الى الدكتور وايزمن يفسر فيه الكتاب الابيض بشكل يزيل منه كل ما جاء لصالح العرب ويقر فيه سياسة الوطن القومي . وكان استياء العرب من هذا التغير في السياسة البريطانية من اسباب اشتعال ثورة ١٩٣٦ .

واستمرت الحكومة البريطانية في سياستها التي تهدد وجود العرب كاكثرية . حيث اخذ عدد المهاجرين يتصاعد خاصة منذ استلام النازيين الحكم في المانيا . وقد بلغ عددهم ثلاثين الفا في ١٩٣٣ ، وثلاثة واربعين الفا في ١٩٣٤ ، واثنين وستين الفا في ١٩٣٥ عدا الذين كان يدخلون البلاد تهريبا . وانتقل الى اليهود من الاراضي في هذه السنوات الثلاث اكثر مما انتقل في غضون السنوات الاثنتي عشرة السابقة . واصبح عدد اليهود نحو نصف مليون في ١٩٣٧ . بعد ان كان نحو سبعين الفا في ١٩٢٠ وازداد نشاط العرب السياسي بعد ان راوا مصيرهم مهددا واتفقت الاحزاب العربية الخمسة على تأليف اللجنة العربية العليا لمتابعة النضال . وقررت الاستمرار في الاضراب العام الذي دعت اليه اللجان القومية في نيسان (ابريل) ١٩٣٦ وعرضت مطالب العرب على المندوب السامي وهي منع الهجرة ، ومنع انتقال الاراضي العربية الى اليهود ، وانشاء حكومة وطنية فرفض الطلبين الاول والثاني ، وخرجت الثورة من حوادث الاضراب والاصطدام ، واظهر الثوار بطولة رائعة في مختلف انحاء البلاد ، ولم ينته الاضراب الا بعد توسط حكام بعض الدول العربية (كالمملكة العربية السعودية والعراق وشرقي الاردن) ، وكان ذلك في ١١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦ . واعلنت الحكومة البريطانية اثناء الاضراب في شهر ايار (مايو) سنة ١٩٣٦ انها سترسل لجنة تحقيق ملكية لمعالجة الحالة بعد ان يستتب النظام . وبالفعل فقد وصلت لجنة التحقيق برئاسة اللورد بيل Peel في تشرين الثاني (نوفمبر) فقاطعها العرب في اول الامر ليأسهم من ارسال اللجان . ونشرت هذه اللجنة تقريرها في تموز (يوليو) ١٩٣٧ وقد جاء فيه ان الانتداب لا يمكن تنفيذه بشكله

الحالي وانه لا يمكن التوفيق بين اماني العرب واليهود . ولذلك اوصت بتقسيم فلسطين الى ثلاثة اقسام : القسم الاول وفيه المناطق الشمالية (الجليل ومرج بن عامر) والساحلية الخصيبة حتى يافا لليهود ، والثاني وفيه المناطق الجبلية والوسطى والسهول الجنوبية والساحل الجنوبي للعرب ، على ان يلغى الانتداب في هاتين المنطقتين ، والقسم الثالث وفيه الاماكن المقدسة وممر يصلها بيافا على البحر وتبقى تحت الانتداب .

رفض العرب مشروع التقسيم واحتجت عليه الحكومات العربية بصورة رسمية . وعقد مؤتمر في بلودان في ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٧ حضرته وفود من البلاد العربية ورفضت فيه فكرة التقسيم وطالبت بالغاء الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين على غرار المعاهدة العراقية الانكليزية . اما انكلترا فانها قبلت المشروع واذاعته بشكل كتاب ابيض وعرضته على جمعية الامم . فعارضه مندوبا العراق ومصر وايدهما مندوب ايران وكذلك مندوب ايرلندا . وتوالت حوادث العنف في فلسطين واحتدمت الثورة خاصة بعد ان رأى العرب انكلترا عازمة على تنفيذ التقسيم . وقامت الحكومة البريطانية بحل اللجنة العليا واللجان القومية الاخرى ونفت بعض اعضائها الى جزر سيشيل . وعزلت المفتي الاكبر الحاج امين الحسيني من رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى . ولاحقته حتى غادر البلاد الى سورية . وارسلت قوة كبيرة لقمع الثورة ولم تتمكن من اخمادها قبل ربيع عام ١٩٣٩ . وفي هذه الاثناء وصلت لجنة انكليزية اخرى في اذار (مارس) ١٩٣٩ برئاسة وودهد Woodhead لدرس تفاصيل مشروع التقسيم . فرأت مشروع لجنة بيل غير عملي ورفضته واقترحت مشروعاً آخر . كذلك في هذه الاثناء قامت البلاد العربية تؤازر فلسطين في جهادها فعقد مؤتمر برلماني عربي في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٨ حضره ايضاً مندوبون عن البلاد الاسلامية غير العربية . واتخذ مقررات موافقة لاماني عرب فلسطين (وقد اتينا على ذكره في نهاية الفصل السادس) .

ظهر من مقاومة العرب الاجماعية استحالة تطبيق مشروع التقسيم . فدعت الحكومة

البريطانية العرب واليهود لمؤتمر مائدة مستديرة في قصر سان جيمس في لندن في شباط (فبراير) ١٩٣٩ وقد عقد مؤتمران نظراً لرفض العرب الاجتماع مع اليهود على مائدة مستديرة واحدة . وعرض مشروع مالكولم مكدونالد وزير المستعمرات على الجانبين ، وينص على تشكيل حكومة موحدة بعد عشر سنوات يحصل فيها تسليم الصلاحيات بصورة تدريجية ، وعلى ضمانات للاماكن المقدسة ولليهود ، وهجرة محدودة ولكن المشروع رفض من الجانبين . ولما لم يحصل الاتفاق ، اذاعت انكلترا سياستها الجديدة في شهر ايار (مايو) ١٩٣٩ في كتاب ابيض يتلخص بتحديد الهجرة بمقدار ٧٥ الف مهاجر يهودي يدخلون فلسطين خلال خمس سنوات ثم تمنع الهجرة نهائياً الا بموافقة العرب . وتأخذ انكلترا على عاتقها تأليف حكومة وطنية في فلسطين ، وتعقد معها معاهدة تحالف تدخل في طور التنفيذ بعد دور انتقال مدته عشر سنوات حيث تستقل فلسطين • وقد نقم اليهود على هذه السياسة واعلن المؤتمر الصهيوني انه سوف لا يتعاون معها .

تأجل البحث في قضية فلسطين اثناء الحرب العالمية الثانية • ولكن محاولات اليهود للدخول الى فلسطين ازدادت خاصة بعد ان اكتسحت المانيا النازية بلاد القارة الاوربية . وقد نجح بعضهم بالدخول عن طريق تركيا ، وآخرون عن طريق البحر . وبعد ان غرقت احدى البواخر التي تقل اليهود الى فلسطين في شباط (فبراير) ١٩٤٢ (واسمها ستروما) ، عقد مؤتمر صهيوني خاص في فندق بلتمور Baltimore في نيويورك في ايار (مايو) ١٩٤٢ وطلب ان يكون الاعتراف بدولة يهودية في فلسطين هدفاً من اهداف الحرب المباشرة وكانت قد تشكلت هيئات ارهابية في فلسطين قبل الحرب منها عصابة شترن والارغون ، كما تشكلت قوات الهجانة . فقام اليهود باعمال ارهابية واستعملوا الاساليب المختلفة لادخال ابناء جنسهم الى فلسطين . وصاروا يجمعون الاسلحة والعتاد . وازداد نشاطهم خاصة بعد بدء الهجوم الاميركي والروسي ضد دول المحور . وكان من اعمالهم الارهابية في مصر اغتيال اللورد موين Moyne وزير انكلترا في الشرق الاوسط . ومما زاد في نقمة اليهود وصول اخبار المعسكرات التي كان يموت فيها اليهود بالمئات في اوربا الوسطى . وكان عدد كبير من الارهابيين في

فلسطين من المهاجرين الذين دخلوا بصورة غير مشروعة . او ممن حاربوا في حركات المقاومة ضد حكومة النازيين في اوربا . وكانوا على جانب كبير من التعصب السياسي حتى انهم رغبوا في جعل فلسطين كلها دولة يهودية ، كما ان جماعة من اليهود اصبحت تعتقد منذ عـام ١٩٣٩ بان الحكم الانكليزي في فلسطين اصبح لا مبرر شرعي له. وعلى ذلك فان تاريخ فلسطين منذ نهاية الحرب في ايار (مايو) ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٨ مملوءاً بحوادث الارهاب اليهودي .

في نفس هذا الوقت كان نشاط العرب يزداد. واهتمت جامعة الدول العربية منذ ان تشكلت بقضية فلسطين . وقد تضمن ميثاق الجامعة الموقع في ٢٢ اذار (مارس) ١٩٤٥ ملحقاً خاصاً بفلسطين . وقد اعتبرها هذا الملحق مستقلة شرعاً بموجب معـاهدة لوزان في ١٩٢٣ حيث قال : « واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقـلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في اعمال مجلس الجـامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على الميثاق انه نظراً لظروف فلسطين الخاصة ، والى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً ، يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربي عن فلسطين للاشتراك في اعماله». وكان هذا النشاط والتضامن بين العرب يزيد في نقمة الصهيونيين . وقامت حكومة الولايات المتحدة في هـذه الآونة تعطف على اليهود وتشد ازرهم . فارسل الرئيس ترومان كتاباً الى المستر اتلي رئيس حكومة انكلترا في آب ١٩٤٥ يطلب منه ان تتخذ حكومته الخطوة الاولى لحل مشكلة اللاجئين اليهود بادخال مائة الف يهودي الى فلسطين . وقـام اليهود وهيئاتهم المحاربة بمساعدة اللاجئين على دخول فلسطين بالوسائل الارهابية . فهاجموا مصـالح خفر السواحل وهدموا الجسور وخربوا السكك الحديدية . وفي ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ اعلنت الحكومة البريطـانية على لسان وزيرها بيفن اشتراك الولايات المتحدة معها في اجراء تحقيق لتقرير مستقبل فلسطين، بالنسبة لمشكلة اللاجئين والوطن القومي . وقامت لجنة انكليزية اميركية بهذا التحقيق . وكانت مؤلفة من ستة اعضاء من كل من الجانبين، وكان ينتظر منها ايجاد حل نهائي لمشكلة

فلسطين بحيث يمكن تنفيذه عن طريق وصاية الامم المتحدة . وقد ازدادت اعمال الارهاب اليهودي في هذه الاثناء حتى ان المندوب السامي البريطاني كننغهام طلب من الوكالة اليهودية في شهر كانون الاول (دسمبر) ١٩٤٥ مساعدته في وضع حد لهذه الاعمال. على ان جواب بن غوريون كان : ان سياسة بريطانيا هي التي اوجدت هذه الحوادث . وفي هذه الاونة نفسها قام الارهابيون بنسف مقر البوليس في القدس وبدأ الصهيونيون الاميركيون بحملة واسعة ضد الانكليز وجمعت التبرعات لمساعدة الارهابيين في اعمالهم . هذا بينما نشاط العرب كان يتبع الطرق القانونية . وكان من جملة قرارات جامعة الدول العربية في شهر كانون الاول (دسمبر) ١٩٤٥ مقاطعة البضائع الصهيونية .

اما اللجنة الانكليزية الاميركية فقد انتهت زياراتها لمختلف الاماكن واستمعت شهادة سكان فلسطين وسائر البلاد العربية في مدة اربعة شهور . وقدمت تقريرها في نهاية نيسان (ابريل) ١٩٤٦ وقد رفضت هذه اللجنة التقسيم كما عارضت الاستقلال المباشر . ورأت ان تكون فلسطين تحت الوصاية الى ان تتمكن حكومة موحدة من القيام باعباء الحكم . وقد رأت اللجنة ان فلسطين يجب ان تصبح دولة تحترم حقوق ومصالح المسلمين واليهود والمسيحيين . وان « كل محاولة لتأسيس دولة مستقلة او دول مستقلة في فلسطين ستؤدي الى حرب اهلية يمكن ان تهدد السلم العالمي » . واوصت اللجنة باصدار تصريح لدخول مائة الف يهودي الى فلسطين حسب طلب ترومان . وقد رفض العرب تقرير اللجنة . وصرح المستر اتلي ان التقرير يجب ان يدرس بكامله . ولذلك لا يمكن قبول مائة الف يهودي ما لم يعد الهدوء الى البلاد . وفي هذه الفترة كانت جامعة الدول العربية تهتم بمحاربة اليهود وتفنيد مزاعم الصهيونية فأسست المكاتب العربية للدعاية في عواصم الدول الكبرى وخاصة لندن وواشنطن . وفي ٢٨ و ٢٩ ايار (مايو) سنة ١٩٤٦ تشاور رؤساء دول الجامعة العربية في زهراء انشاص بدعوة من الملك فاروق . فقرروا ان قضية فلسطين هي قضية

العرب جميعا . وانه يتحتم على دول العرب صيانة عروبتها . وبعد بضعة ايام عقد مجلس الجامعة العربية دورة استثنائية في بلودان (٨ — ١٢ حزيران) (يونيو) واتخذ مقررات هامة لانقاذ فلسطين العربية . وارسل المقررات الى انكلترا واميركا بشأن قضية فلسطين . وقبل انعقاد هذه الدورة بيومين تمكن الحاج امين الحسيني من مغادرة باريس ووصل القاهرة ، وكان قد غادر البلاد السورية قبيل دخول الانكليز في صيف ١٩٤١ . وبعد اقامة قصيرة في بغداد ثم في ايران تمكن من الذهاب الى ايطاليا ثم الى المانيا ، وعندما انتهت الحرب كان في فرنسا فغادرها الى القاهرة . وفي اواخر الشهر نفسه (٢٩ حزيران) اعتقلت الحكومة الانكليزية زعماء الوكالة اليهودية ، وعددا من اليهود لتآمرهم مع الارهابيين في مهاجمة الحكومة . غير ان الارهابيين تمادوا في ارهابهم فخربوا جانباً من فندق الملك داود بالقدس حيث كانت سكرتارية حكومة فلسطين ، ومركز قيادة جيشها . فقتل نحو مائة شخص بينهم بعض كبار الموظفين الانكليز .

وبعد ان طوي تقرير اللجنة الانكليزية الاميركية تقدمت انكلترا بمشروع جديد في نهاية تموز (يوليو) سنة ١٩٤٦ يعرف بمشروع موريسون وينص على تأسيس حكومة اتحادية تحتوي مقاطعات يهودية وعربية . وتقرر كل منها شؤون الهجرة ضمن حدودها . وفي شهر ايلول (سبتمبر) عقد مؤتمر في لندن للبحث في مشكلة فلسطين على ضوء المشروع الجديد . وتباحثت حكومة انكلترا مع وفود الدول العربية ومع الوكالة اليهودية وكان فارس الخوري رئيس الوفد السوري في هذا المؤتمر يصحبه الامير عادل ارسلان ونجيب الارمنازي وفريد زين الدين . وقد افتتح المؤتمر المستر اتلي مرحبا بالوفود . فشكره فارس باسم الوفود العربية ثم ألقى خطبة جاء فيها : « يجب ان لا يقتطع اي جزء من فلسطين ليكون وطناً لشعوب من جنسيات مختلفة . والدول العربية تعارض في تقسيم فلسطين كل المعارضة . والحل الطبيعي لهذه القضية هو ان تكون فلسطين ملك سكانها وان يعترف لهم بتقرير مصيرهم . » وقد اقترح مندوبو الدول

العربية مشروع دستور يعطي اليهود حقوقاً وامتيازات خاصة تفوق كل ما يتمتع به اليهود في اي بلد من بلاد العالم . ولكن المباحثات لم تؤد الى نتيجة .

وفي ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ عقد القسم الثاني من الدورة الاولى لهيئة الامم المتحدة في نيويورك . (وكان القسم الاول من هذه الدورة قد عقد في لندن في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ وهو الذي بحثت فيه قضية الجلاء عن سورية ولبنان) وقد غادر فارس الخوري لندن الى نيويورك ليرأس وفد سورية في هذه الدورة ايضا وكانت خطبه لا تلقى فقط امام الهيئات الدولية الرسمية الكبرى بل ايضاً في بعض الاحيان كان يرتجل الخطب امام الاندية والمعاهد وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٦ القى خطبة في مأدبة اقامها معهد الشؤون العربية الاميركية في نيويورك [1] ذكر فيها



فارس الخوري يخطب في احدى الحفلات في نيويورك .

(١) اسس هذا المعهد في تشرين الثاني ١٩٤٤ وغايته كما هو مبين في قانونه الاساسي هي ان يكون واسطة تفاهم وعلاقات حسنة بين الولايات المتحدة وبين البلاد والشعوب العربية في كل مكان .

الجهود التي يبذلها افراد الجاليات العربية الاصل في الولايات المتحدة لرفع مكانة امتهم ولمساعدتها في نضالها لاجل الاستقلال . ثم ذكر بزوغ العصر الجديد الذي بدأه مؤتمر سان فرنسيسكو حيث اصبحت الدول العربية تتعاون مع سائر الدول لاجل السلم ، وبعد ذلك يتطرق الى فلسطين فيذكر مؤتمر لندن في ايلول والمشروع الذي قدمه العرب ويؤكد ان فلسطين هي ملك سكانها ولا يمكن تحويل هذا الملك لاحد . وقد اقتطف فارس جانباً من الحديث الذي جرى بين السلطان عبد الحميد وبين الذين وسطهم هرتزل في طلب حق اسكان جماعات من اليهود في فلسطين حيث قال السلطان « اذهبوا وقولوا لهرتزل ان يتخذ تدابير اخرى في هذه القضية اذ لا يمكنني ان احول ملكية شبر مربع واحد من الارض لانها ليست لي ولشعبي . ولقد جاهد شعبي لاجل هذه الارض وجعلوها خصبة بدمائهم فليحتفظ اليهود اذن بملايينهم ! » ثم يستنتج فارس من ذلك انه اذا كان هذا السلطان المطلق التصرف باملاك رعيته قد اجاب على هذا المنوال فكم يكون من السخف ان يقوم جماعة من الغرباء فيقطعون الوعود لليهود .

وفي ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٧ القى فارس خطبة في مأدبة اقامها فرع بوسطن لمعهد الشؤون العربية الاميركية . وبعد ان تكلم عن الاتصالات الثقافية بين الاميركيين وسورية عن طريق المبشرين والمعاهد ، وذكر العلاقات الودية التي كانت تربط السوريين بالاميركيين ، واعترف بمساعدة روزفلت لسورية ولبنان في جهادهما للحصول على الاستقلال التام ، قال « ولكننا لم نكن قط نفكر ان جماعة الصهيونيين المتعصبين الطموحين ستتدخل بيننا وتحاول تشويش هذه العلاقات الودية وتخلق سوء التفاهم بين شعبينا . وانه من المؤسف ان ينحاز بعض الزعماء السياسيين للصهيونية ويعبروا عن آراء خطرة في هذا الشأن . خصوصاً وان هذه الآراء تناقض أبسط مبادىء العدالة وتغفل عن وجود سبعين مليون من العرب وثلاثمائة مليون من المسلمين يقاومون هذه الآراء التي تقلق راحة الشرق وتشوش علاقاتنا الاقتصادية والاجتماعية مع الولايات المتحدة وتصبح خطرا على السلم والامن . ثم يتكلم عن المكانة المرموقة التي نالتها الوفود العربية في الامم المتحدة واجتماعاتها . ويقول ان

موقفنا كان دائماً وسيكون مبنيا على مبادىء الحق والعدالة . فنحن نؤيد العدالة ونناهض الظلم اينما ظهر . وقد قدر الجميع موقفنا واظهرت الانتخابات الاخيرة في الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ذلك التقدير حيث انتخبت سورية لمجلس الامن، ولبنان للمجلس الاقتصادي والاجتماعي، والعراق لمجلس الوصاية » .

عقد مؤتمر آخر في لندن في مطلع عام ١٩٤٧ لبحث قضية فلسطين ووصلت معظم الوفود العربية الى العاصمة البريطانية في ٢١ كانون الثاني (يناير) وكان يرأسها عبدالفتاح عمرو باشا عن مصر، وفاضل الجمالي عن العراق، وجمال الحسيني عن فلسطين، وفارس الخوري عن سورية . وكان فارس حينذاك في الولايات المتحدة يرأس الوفد السوري في هيئة الامم المتحدة ويقوم بعضوية مجلس الامن . فغادر نيويورك على الباخرة كوين ماري ووصل لندن قبيل انعقاد المؤتمر في ٢٧ كانون الثاني (يناير). وكان يمثل انكلترا في المؤتمر وزير الخارجية بيفن ووزير المستعمرات جونسن . وقد قام الارهابيون اليهود يحاولون الضغط على الانكليز فاختطفوا احد الضباط ورئيس احدى المحاكم من الانكليز في فلسطين . وقد القى فارس رد الوفود العربية على بيان بيفن في ٤ شباط (فبراير) وحذر انكلترا من التقسيم وعواقبه . وكانت نتيجة المباحثات ان رفض العرب مشروع بيفن لانه لم يمنع انتقال الاراضي الى اليهود ولا منع الهجرة ولا وضع نظاماً ديمقراطياً لفلسطين . وقدم العرب مذكرة يطلبون فيها اعلان استقلال فلسطين ووقف الهجرة واتخاذ التدابير لحماية اراضي العرب . وقد غادر فارس الخوري وعقيلته لندن في ١٣ شباط على الباخرة كوين اليزابيت الى نيويورك لمتابعة تمثيل سورية في مجلس الامن . وبينما كان في لندن تلقى طائفة من البرقيات من رابطة السلام والعدالة في فلسطين وهي هيئة اميركية تعرب عن تمنياتها للوفود العربية في جهادها . وتذكر ان تسعين بالمائة من الاميركيين يؤيدون الجهود العربية بالرغم من قوة الدعاية الصهيونية . وزعيم هذه الرابطة المستر فريدمان Friedman من اثرياء اليهود وقد انفق مئات الوف الدولارات للدعاية ضد الصهيونية في الولايات المتحدة . ودفع من جيبه اجرة اعلانات شغلت صفحة كاملة من جريدة نيويورك هيرالد تريبون . وكانت الرابطة تعارض مطالب الصهيونية بدعوى ان هذه المطالب تقضي على سمعة الاميركيين في بلاد العالم .

دفاع فارس في دورة هيئة الامم المتحدة الخاصة بقضية فلسطين (نيسان وايار ١٩٤٧) : كانت قضية فلسطين تعالج حتى مطلع عام ١٩٤٧ من قبل الحكومة الانكليزية المنتدبة على البلاد . وقد رأينا كيف تدخل الرئيس تورمان في صيف ١٩٤٥ لاجل ادخال مائة الف مهاجر الى فلسطين . اما في عام ١٩٤٧ فان القضية تدخل في طور جديد حيث تصبح موضع نظر هيئة الامم المتحدة . وذلك ان انكلترا بدأت منذ مطلع العام تعرب عن رغبتها في التخلي عن الانتداب واحالة القضية الى هيئة الامم . وقد تكلم عن ذلك تشرشل زعيم المعارضة في خطبة في البرلمان في نهاية شهر كانون الثاني (يناير) . كما ان بيفن وزير الخارجية اعلن ذلك في ١٨ شباط (فبراير) وفي ٢ نيسان (ابريل) طلبت انكلترا بصورة رسمية من السكرتير العام للامم المتحدة وضع مشكلة فلسطين على جدول اعمال الدورة القادمة . وابدت رغبتها في دعوة هيئة الامم المتحدة الى دورة استثنائية لتشكيل لجنة خاصة تبحث عن المشكلة وتضع الحقائق اللازمة امام الجمعية العمومية لهيئة الامم في دورتها القادمة ، حتى تتمكن من عمل توصيات بشأن مستقبل فلسطين . وبالفعل فقد عقدت الدورة الخاصة في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٧ ودامت حتى ١٥ ايار (مايو) من نفس السنة . وقد طلبت الحكومات العربية في هيئة الامم ان يوضع على جدول اعمال هذه الدورة موضوع « انهاء الانتداب في فلسطين ، واعلان استقلالها » . ولكن الجمعية العمومية لم تقبل بذلك . وكان من نتيجة ابحاث هذه الدورة ان اللجنة السياسية (اللجنة الاولى في هيئة الامم) اوصت بتشكيل لجنة خاصة بفلسطين (تدعى لجنة البحث عن الحقيقة Fact Finding Committee) مؤلفة من احد عشر عضوا . وقد قبلت الجمعية العمومية هذه التوصية باكثرية ٤٥ صوتا وبما كسة سبعة اصوات وباستنكاف صوت واحد . وتشكلت اللجنة من مندوبين عن الدول الاحدى عشرة التالية : اوستراليا كندا ، تشيكوسلوفاكيا ، جواتيمالا ، الهند ، ايران ، هولاندا ، البيرو ، السويد ، الاورغواي ، يوغوسلافيا .

وقد القى فارس الخوري كلمة هامة امام اللجنة السياسية في هذه الدورة في ١٠ ايار

(مايو) ١٩٤٧ مؤداها ان استقلال فلسطين يجب ان يكون الهدف الاول لابحاث لجنة التحقيق . وقد رد في خطبته على مندوب الولايات المتحدة الذي ذكر وجوب تأخير ايجاد دولة مستقلة في فلسطين الى اجل غير مسمى . وشرح فارس كيف كانت فلسطين قسماً من الدولة العثمانية، ولم تكن مستعمرة . وكيف فرض الانتداب على فلسطين قبل ان توقع معاهدة الصلح مع الدولة العثمانية ، واشار الى ان لجنة التحقيق لا يجب ان تدرس تأثير المشكلة على السلم والامن في فلسطين فقط وانما في جميع بلاد الشرق الادنى والاوسط . واما الاساس الذي ستبنى عليه هذه الدولة المستقلة فانه سيكون الاساس الديموقراطي كما ذكر مندوب يوغوسلافيا اي اشتراك جميع العناصر في الادارة والتشريع بقطع النظر عن ديانتها وجنسها . واما سؤال البعض عما اذا كانت فلسطين ستكون دولة يهودية او عربية « فاننا نقول انها ستكون دولة فلسطينية فشعب فلسطين، وهم المواطنون الشرعيون ، سيشتركون في جميع الحقوق والواجبات التي يمارسها جميع سكان البلاد » .

وبعد اربعة ايام من القاء هذه الكلمة القى خطبة اخرى امام الجمعية العمومية لهيئة الامم في ١٤ ايار (مايو) سنة ١٩٤٧ بحث فيها توصيات اللجنة السياسية. وذكر الاسباب التي تحمل الوفد السوري الذي يرأسه على التصويت ضد توصياتها . وقد شرح اسباب اهتمام سورية اكثر من اي بلد آخر بفلسطين وذكر الروابط الجغرافية والتاريخية والجنسية والدينية التي تربطها بها . وتحدث عن الخطر الذي يهدد تلك البلاد والى اي حد يمكن للوفد السوري ان يقاوم هذا الخطر . ثم قال ان عرض قضية فلسطين من قبل الدولة المنتدبة (انكلترا) على هيئة الامم لم يكن عرضاً صحيحاً . فقد طلبت الدولة المنتدبة من هيئة الامم ان تعمل توصيات بشأن حكومة فلسطين المقبلة بينما كان يجب عليها اما ان تعلن استقلال فلسطين وتعلم هيئة الامم عن ذلك ، او ان توجد وصاية على فلسطين وتتقدم الى هيئة الامم بالاتفاقات المتعلقة بالوصاية او ان تقول بصراحة ان انتدابها على فلسطين قد فشل وانه لا يمكن تطبيقه ولذلك تعيد هذه الامانة الى هيئة الامم . والآن نرى ان الجمعية العمومية تحيل القضية الى اللجنة السياسية لتضع التوصيات اللازمة للدولة المنتدبة بشأن ادارة فلسطين . على ان

هذا الانتداب قد اتضح بانه غير عملي ولا يمكن ان يستمر بشكله الحالي . ولذا يجب البحث عن سبب فشله لان الدولة المنتدبة لم تشرح هذا السبب حتى الآن .

وهنا يذكر فارس الخوري وعد بلفور ويقول انه المسؤول عن فشل الانتداب وعن ايجاد مشكلة فلسطين ، التي تشغل العالم باسره . ويذكر كيف قطع هذا الوعد وكيف وعدوا باعطاء اراضي الآخرين واملاكهم لعنصر غريب لكي يسكن فلسطين ويصبح فيها اكثرية ويسود البلاد ويطرد السكان من مساكنهم . ثم يشرح من هم الفلسطينيون الذين يسمون الآن عرب فلسطين . فيقول انهم متسلسلون من نفس السكان الذين اقاموا في البلاد منذ اربعين قرنا والذين حاربوا اليهود عندما ارادوا الاستيلاء على فلسطين في القرن الخامس عشر قبل المسيح ويشير الى المتدينين الذين يقولون بان نبوءات التوراة تذكر عودة اليهود الى فلسطين والى اورشليم . فيقول ان هذه النبوءات حصلت اثناء سبي اليهود في بلاد بابل وانها تحققت عندما اعادهم كورش الفارسي . ثم يذكر خضوع اليهود للفرس والمكدونيين والرومان وتفرقهم في بلاد العالم بعد ان قهرهم الرومان في عام ٧٠ للميلاد . وكيف منعهم الامبراطور هدريان وكذلك البيزنطيون من دخول اورشليم . وظلوا ممنوعين من ذلك في زمن الحكم الاسلامي حتى تساهل معهم العثمانيون . وبعد ان يشرح ظهور الصهيونية ومساعي الدكتور هرتزل مع السلطان عبد الحميد وفشلها ، يذكر برنامج الصهيونية الذي افصح عنه مندوبو الوكالة اليهودية بصراحة امام اللجنة السياسية حيث قالوا : « نريد هجرة متواصلة وغير مقيدة الى فلسطين حتى نصبح اكثرية ونسود البلاد ونعد بان العرب سيعاملون معاملة حسنة » ويضيف فارس الى ذلك : « اننا نشكرهم على تأكيداتهم ليس فقط بشأن فلسطين وانما بشأن البلاد المجاورة ايضاً » . ويبحث فارس بعد ذلك عن ماهية هؤلاء اليهود الذين يريدون تأسيس دولة في فلسطين وعما اذا كانوا من بني اسرائيل ويثبت ان الامر غير ذلك . ويستند الى دائرة المعارف اليهودية التي تذكر اصل اليهود في شرقي اوربا . فيقول انهم كانوا من المغول الخزر شمالي بحر قزوين وكانوا من عبدة الاوثان . ثم في حوالي القرن الثامن الميلادي قرر اميرهم اعتناق احدى ديانات التوحيد . فاستدعى رجال الدين من اليهود والنصارى والمسلمين . وجمعهم

يتنافسون فيما بينهم بحضوره . فلم يتمكن احد من اقناعه في اي دين هو الافضل . واخيرا اعتنق اليهودية وبقيت امارة الخزر هـذه في جنوبي روسيا حتى قضت الامبراطورية الروسية على استقلالها، فتفرق الخزر اليهود في شرقي اوربا من روسيا حتى رومانيا وبولونيا . هؤلاء هم اليهود الذين لا يتصلون ببني اسرائيل والذين يريدون دولة في فلسطين .

بعد ذلك يبحث في توصيات اللجنة السياسية في هيئة الامم للجنة التحقيق فيقول انه لم يذكر فيها كلمة « الاستقلال » مع ان الاستقلال هو هدف الانتداب ونهايته الطبيعية . واكد ان توصية هذه اللجنة بتوجيه دراستها نحو تحقيق الاستقلال لا يكون مقيداً لاعمالها ، وطلب بان يكون حل مشكلة فلسطين مستوحى من ميثاق هيئة الامم . اما ما ذكره البعض من وجوب التفاهم والتعاون بين العرب واليهود في فلسطين فقد قال فارس بشأنه : انه وضعت اسس معينة لحل هـذا التعاون عـلى انه يجب ازالة البرنامج الصهيوني الذي يهدف الى ايجاد اكثرية يهودية « اذ كيف يمكن ان نقبل بان تصبح اكثرية سكان البلاد اقلية وان تحكم هذه الاقلية من قبل عنصر اجنبي ؟ . فالعرب لهم الحق ان يضطربوا ويلجاوا الى الدفاع عن انفسهم ، والحكومة السورية لا ترغب في حدوث هذه الاضطرابات » . ويصر عـلى ضرورة اهتمام لجنة التحقيق بالسلم والعدل ومبادىء تقرير المصير . ثم يشير الى ناحية اخرى وهي ضرورة تعاون اليهود وتفاهمهم مع سكان البلاد التي هاجروا منها . ويقول بافضلية عودتهم اليهـا لانهم هناك لا يعتبرون دخلاء وغرباء وغزاة . وانما يعتبرون مواطنين خصوصا والبلاد التي غادروها تسود فيها الديموقراطية والحرية والمساواة كما قال مندوبوها . ومن جهة اخرى فان فلسطين قد دخلها اكثر مما يجب حتى اصبح فيها نحو سبعمائة الف يهودي . وينهي فارس خطبته بالاشارة الى الارمن في سورية ولبنان الذين هاجروا اليهـا بعد الحرب العامة وسكنوا فيهـا آمنين وتمتعوا بنفس الحقوق التي لسائر السكان . وصار منهم عدد من النواب . وذلك لانهم لم يأتوا بأهداف سياسية ليسودوا البلاد ويستاصلوا سكانهـا ويحتلوا منازلهم ويسلبوهم حق السيادة وتقرير المصير . ولو ان اليهود هاجروا الى سائر البلاد العربية ليسكنوها فقط كما فعل الارمن لمـا وجدوا الا التسامح والتساهل ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

فارس الخوري يحارب التقسيم في الدورة الثانية لهيئة الامم (ايلول — تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧) : قامت اللجنة الخاصة بالتحقيق في فلسطين المؤلفة من احد عشر عضوا بعملها بين اواخر ايار واوائل ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ وعقدت جلساتها بين القدس وبيروت وجنيف وليك سكسيس . وقد اتفقت جميع الحلول التي اقترحها الاعضاء في تقريرهم في ان الانتداب يجب ان يزول وان البلاد يجب ان تصبح مستقلة . على ان الاعضاء اختلفوا بشأن طبيعة ذلك الاستقلال . فقد اقترح اكثرهم (وهم مندوبو كندا وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا وهولاندا وبيرو والسويد واورغواي) مشروعا لتقسيم فلسطين الى دولة عربية ويهودية يربطهما اتحاد



رؤساء اللجان الست الرئيسية في الدورة الثانية لهيئة الامم المتحدة (ايلول ١٩٤٧) وهم : في الصف الاعلى من اليسار : مندوب اللوكسمبورغ رئيس اللجنة السياسية والأمن ، مندوب شيلي رئيس اللجنة الاقتصادية والمالية ، مندوب بولونيا رئيس اللجنة الاجتماعية والثقافية ؛ في الصف الأسفل : مندوب نيوزيلاندا رئيس لجنة الوصاية والعدلية ، مندوب الهند رئيس اللجنة الادارية والميزانية ، فارس الخوري رئيس اللجنة القانونية .

اقتصادي . واما منطقة القدس وبيت لحم فتوضع تحت وصاية دولية وادارة الامم المتحدة ٠ وتدير شؤون فلسطين اثناء فترة الانتقال التي تنتهي في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٤٩ انكلترا وحدها او بمساعدة بعض اعضاء الامم المتحدة تحت اشراف هذه الهيئة، ويسمح بدخول ١٥٠٠٠٠ مهاجر يهودي في هذه الفترة . بينما اقترح ثلاثة من اعضاء اللجنة (وهم مندوبو الهند وايران ويوغوسلافيا) مشروع تشكيل دولة اتحادية تضم العرب واليهود في خلال ثلاث سنوات .

وقد عقدت الدورة الثانية لهيئة الامم المتحدة في نيويورك بين ١٦ ايلول (سبتمبر) و ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ وكان من جملة اعمالها معالجة قضية فلسطين والنظر في تقرير لجنة التحقيق التي عينتها . وقد انتخب فارس الخوري رئيساً للجنة السادسة وهي اللجنة القانونية في بدء هذه الدورة . وفي الوقت نفسه عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اجتماعا في صوفر بين ١٦ و ١٩ ايلول (سبتمبر) واصدرت بلاغا قالت فيه انها « ترى ان مقترحات لجنة التحقيق المنبثقة من الامم المتحدة تنطوي على هدر واضح لحقوق عرب فلسطين في الاستقلال . كما تنطوي على خرق لجميع الوعود التي قطعت للعرب ولذات المبادىء التي تقوم عليها منظمة الامم المتحدة . وترى في تنفيذ هذه المقترحات خطراً محتماً يهدد امن فلسطين والامن والسلامة في البلاد العربية جميعا . ولذلك فقد وطدت العزم تحقيقا لاستقلال فلسطين وحريتها ودفاعا عن بيان الدول العربية على ان تقاوم بجميع الوسائل العملية الفعالة تنفيذ هذه المقترحات وتنفيذ كل تدبير آخر لا يكفل تحقيق استقلال فلسطين كدولة عربية . . . »

وقام فارس الخوري يخطب في الجمعية العمومية لهيئة الامم في ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ فتكلم عن السلم العالمي والقضية العربية . وذكر فظائع الحرب التي لا تزال ماثلة في الاذهان وجهود الامم لتحقيق السلم عن طريق هذه المنظمة . كما ذكر مصدر الخوف الجاثم في تنافس الدول الكبرى ٠ وحذر من وقوع حرب عالمية ثالثة قد تقضي على الحضارة لان الحرب ستكون حرباً ذرية هائلة . وبعد ان ذكر بعض الوسائل لضمان السلم من تحديد التسلح ، ومنع استعمال الاسلحة الذرية ، وتنظيم

القانون الدولي ، وتحديد مقدار القوات التي يجب ان توضع تحت تصرف مجلس الامن ، وبعد ذلك تطرق الى مسألة فلسطين واهتمام سورية بها ، لان فلسطين قسم من سورية . وقد هاجم بشدة مقترحات الاعضاء السبعة في لجنة التحقيق . وانتقد ما قاله مندوب الولايات المتحدة بان هذه المقترحات تستحق بان تعطى اهمية كبرى من قبل حكومته. واكد بان المقترحات مخالفة للتوصيات التي اعطيت للجنة التحقيق. كما انها تخالف مبادىء حق تقرير المصير الواردة في ميثاق الامم المتحدة . وتخالف مبادىء العدالة وحقائق التاريخ وجميع مبادىء الحقوق العامة ، لانها تعطي حصة الاسد لليهود وتحرم سكان البلاد واصحاب الحق فيها من بلادهم . ثم انتقد اللجنة السياسية للامم المتحدة التي لم تعالج الأ اعراض المرض ولم تنظر في اسباب مشكلة فلسطين ، وفي قانونية الوثائق التي اثارت هذه المشكلة ، اذ لولا ذلك الانتداب وشروطه الخاصة المتعلقة بوعد بلفور ولولا المطامع الاستعمارية للدول التي انتصرت في الحرب العالمية الاولى ، لبقيت فلسطين كما كانت دائماً مقاطعة من سورية . . . ولجنة التحقيق ذهبت في كرمها الى ابعد من شروط الانتداب فاعطتهم دولة مستقلة بدلا من وطن قومي . . . والحكومة البريطانية اعلنت مرات عديدة بانها لم تقصد بان تعطي الوطن القومي مفهوم الدولة . ولكن الاكثرية في لجنة التحقيق تجاوزت كرم الانتداب . كذلك انتقد لجنة التحقيق ، لانها زارت مخيمات اللاجئين في اوربا واقترحت ادخال عدد كبير منهم الى فلسطين . مع ان هيئة الامم المتحدة اتخذت تدبيراً في دورتها السابقة بمنع اسكان اللاجئين في مقاطعات لا تحكم نفسها اذا لم يوافق السكان الاصليون او اذا كان هذا الاسكان يسيء الى علاقات الصداقة بين الدول الاعضاء . كذلك انتقد تقرير لجنة التحقيق الذي انكر على عرب فلسطين حق الاستقلال لانهم لم يشكلوا في الماضي دولة مستقلة . فاكد ان فلسطين كانت ثلاثة عشر قرناً مضت قسما من الامبراطورية العربيـة ثم الامبراطورية العثمانية . ولا يجوز انكار حق استقلالها لانها فصلت عن دولة كانت مستقلة . ثم يذكر المشكلة اليهودية التي لا يخلو منها عصر من عصور التاريخ . وذلك بسبب نوع معيشتهم التي تمسكوا بها ، بالرغم من التطورات والتغيرات التي حصلت في العالم . الى ان يقول :

« لقد تغير العالم كله ولكن اليهود وحدهم لم يتغيروا . وامام الامم المتحدة الآن آخر مثال كل الانعزال اليهودي وان لم يكن اقلها اهمية . وانه من الامور الغريبة ان نجد جماعة يقبلون رغبة اليهود في تأسيس دولة في فلسطين » . ويذكر بهذه المناسبة الجمهورية الاشتراكية التي شكلها الاتحاد السوفيتي لاجل اليهود في اقصى شرقي سيبيريا وهي جمهورية بيروبيجان Birobijan [1] التي يمكن ان تستوعب جميع اللاجئين اليهود . ويتوجه الى الولايات المتحدة بان تضع حدا لهذه المشكلة لان الدعاية الصهيونية والارهاب الصهيوني يقومان على اموال اميركية . والاسلحة والاموال الاميركية ترسل لمساعدة اقلية متطفلة ضد الاكثرية صاحبة الحق وضد السلطة المنتدبة نفسها . وينهي خطبته بقوله ان السوريين والشعوب العربية عموما يقاومون توصيات لجنة التحقيق وسوف لا يسمحون براس جسر اجنبي معاد بان يقام في قلب وطنهم .

في اليوم التالي لالقاء هذه الخطبة (٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧) قررت الجمعية العمومية تشكيل لجنة خاصة بمشكلة فلسطين Ad Hoc Committee on Palestine لبحث كتاب حكومة انكلترا وتقرير لجنة التحقيق وانهاء الانتداب . وبعد ان تشكلت هذه اللجنة دعت مندوبين عن الوكالة اليهودية وعن اللجنة العربية العليا لفلسطين لحضور اجتماعاتها . وقد صرح مندوب انكلترا في هذه اللجنة ان حكومته ليست مستعدة ان تفرض بالقوة كل حل للمشكلة لا يقبله العرب واليهود . واذا لم يوجد مثل هذا الحل فانها ستسحب القوات والادارة البريطانية من فلسطين في وقت قريب . وقد اعرب جمال الحسيني نائب رئيس اللجنة العربية العليا عن رفض مقترحات لجنة التحقيق . ودافع عن تأسيس دولة عربية تحمي مصالح جميع الاقليات وحقوقهم . بينما قبل مندوب الوكالة اليهودية الدكتور سيلفر مشروع اكثرية لجنة التحقيق . والقى كميل شمعون مندوب لبنان خطابا مستفيضا في هذه اللجنة الخاصة هاجم فيه

---

(١) تقع هذه المنطقة على نهر الامور على حدود منشوريا ، ومساحتها ٢٠٨ و ١٤ اميال مربعة وجعلها السوفيت بعد الحرب العالمية الاولى كوطن قومي لليهود ولكن الصهيونيين في اميركا لم يريدوا الاعتراف بها منافسة لفلسطين كوطن قومي .

مطالب اليهود التاريخية في فلسطين . ووصف نوري باشا السعيد مندوب العراق اقتراحات لجنة التحقيق الخاصة بانها اكثر خيالا ووهما من روايات الف ليلة وليلة . وتكلم الدكتور فاضل الجمالي وزير خارجية العراق ونائب رئيس وفدها في الامم المتحدة . فوجه لومه للولايات المتحدة التي تتبع نوعا من السياسة نحو اليونان ونوعا آخر نحو



الدكتور فاضل الجمالي وزير خارجية العراق ونائب رئيس وفدها في هيئة الامم المتحدة اثناء مناقشة قضية فلسطين .

فلسطين . واحتج عليها لانها ترسل المال والرجال والذخائر الحربية والمراكب الى فلسطين لتشجيع الارهاب والهجرة غير الشرعية . وذكر الفرق بين اليهودية التي هي ديانة عالمية ، والصهيونية التي هي حركة سياسية ذات طبيعة مملوءة بالحقد وحب

الاعتداء . وانبرى ظفر الله خـان مندوب الباكستان فقال « ان مجرد وجود اولاد يهود مشردين ليس سببا كافيا لارسالهم الى فلسطين . فهم في وضعهم هـذا لا يختلفون في شيء عـن اولاد هنود تشردوا من جراء التقسيم في الهند ويُطلب ان يهاجروا الى الولايات المتحدة الاميركية . . . » وبعد ان وصف مشروع التقسيم بانه « وحشي من ناحيتيه المادية والجغرافية » رفض التسليم بان التقسيم في الهند قد اوجـد سابقة لان في الهند كانت كل من الدولتين تضم اكثرية ساحقة من ابنائها قبل اجراء التقسيم . وهذه الاكثرية لم تتم بصورة اصطناعية عن طريق الهجرة المحولة من الخارج كما هي الحال في فلسطين ، كما ان التقسيم في الهند قد جرى بالاتفـاق بين المسلمين والهندوسيين وبرضاهم التـام . وتكلم محمود فوزي بك مندوب مصر مؤكدا بان فلسطين هي ملك لاهلها العرب . وان تشكيل دولة يهودية مبنية على اساس ديني وبالقوة في فلسطين انما هو عمل خيالي غريب . وسيؤدي حتما الى نزاع دائم لا ينتهي اجله . واذا كان وضع المشردين يتعب ضمير العالم الى هذا الحد فليحمل العالم نصيبه من هذا العبء . وتكلمت السيدة بنديت نهرو مندوبة الهند ، فقالت ان مشكلة المشردين لا يجب ان تحل عـلى حساب فلسطين . وان الحل الوحيد لفلسطين هو في انشاء دولة عربية صرفة مع منح الاقلية اليهودية حقوقا ديموقراطية تامة في هذه الدولة . غير ان مندوبي بناما والاورغواي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا (الدكتور مازاريك) واسوج وجواتيمالا والاتحـاد السوفيتي (تسارابكين) وكندا ونيوزيلاندا ايدوا التقسيم في كلامهم .

وفي ١١ تشرين الاول (اكتوبر) وقف هرشل جونسون مندوب الولايات المتحدة يعلن في اللجنة الخاصة تأييد حكومته لتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وفقا لما جاء في توصيات لجنة التحقيق مع بعض التعديلات . وفي نفس النهار بينما كان مجلس جامعة الدول العربية ينعقد في عاليه برئاسة رياض الصلح للموافقة على التدابير المتخذة للدفاع عن فلسطين وكيانها وصيانة اهلها ، كان فارس الخوري يقف في اللجنة الخاصة

للامم المتحدة في فلشنغ ميدوز قرب نيويورك فيرد على كلام جونسون ويؤكد ان العرب مستعدون للرد على التحدي الذي يوجهه الصهيونيون والاميركيون لهم . وقد ذكر فارس في خطابه الذي يملأ ثلاثا وعشرين صفحة : ان لجنة التحقيق بدلا من اقتراح حل عملي لمشكلة فلسطين فانها اوجدت وضعا اسوأ من ذلك الذي كان ينتظر منها حله . وقدر انها ولا بد اسست مشروعها على افتراضات ثلاثة اعتبرتها اموراً مسلماً بها وهي مزاعم اليهود التاريخية بشأن فلسطين والوعود الدولية في صك الانتداب عن فلسطين ، والامر الواقع . وقد اكد فارس ان هذه الامور الثلاثة خاطئة من اساسها . فقد برهن على ان اليهود لا علاقة لهم بفلسطين منذ عشرين قرناً . اما صلتهم العاطفية بها فيشاركهم فيها المسلمون والنصارى ايضاً . عدا عن ذلك فان اليهود لم يؤسسوا دولتهم قديما الا في جزء من فلسطين . والحضارة التي ادعوا انها حضارتهم اخذوها من جيرانهم الكنعانيين والفلسطيين والمصريين والبابليين . واليهود لم يكونوا قط سكان فلسطين الاصليين الذين كان معظمهم وثنيين ثم اعتنقوا النصرانية ومعهم بعض اليهود . ثم في القرن السابع الميلادي اعتنق معظمهم الاسلام. واصبحوا قسما من الدولة العربية ، ثم من الدولة العثمانية وهم ما فتئوا يملكون البلاد منذ اكثر من الفي سنة. ثم قال انه لا يمكن لاصحاب دين معين ان يشكلوا دولة على اساس ديانتهم . فاليهودية هي دين واليهود ليسوا بامة لانهم ينتسبون الى جميع امم الارض وهم ليسوا بجنس او عرق لان قسماً صغيراً منهم فقط يمكن ان يدعوا بانهم ابناء اسرائيل لان كثيرين منهم كانوا من الخزر الذين اعتنقوا اليهودية . اما قضية الوعود الدولية لليهود في صك الانتداب فان عرب فلسطين والعرب عموما قد عارضوا شرعية الانتداب ووعد بلفور الذي احتواه صك الانتداب لان الوعد اعطي عندما كانت فلسطين لاتزال قسماً من الدولة العثمانية كما ان صك الانتداب ووضع وفلسطين لا تزال قسماً من الدولة العثمانية ، وفي حالة ارض عدو محتلة (اي قبل معاهدة لوزان ١٩٢٣) . وعلى كل فان فارس يقترح عرض هذه المشكلة القانونية على محكمة العدل الدولية .

وقد هاجم فارس خطبة جونسون مندوب الولايات المتحدة بعنف . وقال انه لا يخلو موسم انتخابي في البلاد من اعطاء الوعود لمساعدة الصهيونيين وتحقيق احلامهم

من قبل الاحزاب السياسية الاميركية . واما ما قاله جونسون من ان الولايات المتحدة اعطت دماء ابنائها في الحرب العالمية الاولى لكسب الحرب وتحرير المقاطعات العربية . فقد قال فارس انه يمكن الاستنتاج من موقف بعض الاميركيين ان الولايات المتحدة كأنها قامت بهذه التضحيات ليس لاجل العرب وتحرير فلسطين بل



فارس الخوري الى اليمين يتحدث الى البانديت نهرو والسيدة بانديت نهرو شقيقته

لكي تقدم تلك البلاد هدية لليهود . والاميركيون يعلمون ولا شك ان مزاعم اليهود التاريخية ليست سوى حجة خيالية لا يوازيها شيء في تاريخ العالم . وان من الثابت ان

يهود امريكا وخاصة نيويورك يرمون من وراء احتلال فلسطين الى غزو العالم الشرقي وبسط سيادتهم عليه لاستعماره . وهذه الدولة المنتظرة اذا اوجدت ستكون دائما معتمدة على يهود الولايات المتحدة . ثم يسأل فارس كيف يمكن تفسير هذا المسلك الاميركي سوى انه مشروع اقتصادي سياسي للحصول على محط رجل عند ابواب الشرق الادنى.

اما ما قاله جونسون عن اهتمام الولايات المتحدة بمصير الشعوب التي تحررت بنهاية الحرب العالمية الاولى فان فارس يسأله عن هذه الشعوب التي تحررت . ويجيبه بنفس الوقت بانها انما هي السكان العرب الذين كانوا ٩٣ بالمائة من اهل البلاد . ويذكره فارس بميثاق هيئة الامم والمبادىء الاربعة عشر للرئيس ولسون وميثاق عصبة الامم ويسأله اذا كانت تسمح بفرض جماعات من الاجانب على البلاد وحرمان سكانها من ارضهم وتقرير مصيرهم خاصة في هذا القرن العشرين . ثم يؤنب فارس المندوب الاميركي الذي يفترض فيه ان يكون من اهم مؤيدي هيئة الامم ومن كبار المدافعين عن العدل والحرية في العالم . ثم يقرأ له المادة ٨٠ من ميثاق هيئة الامم التي تقول : ان شروط الانتداب لا يمكن ان تعدل او تتغير الا بموجب اتفاق على وصاية بموجب الميثاق . وانكلترا لم تتقدم باتفاق للوصاية ولا اعلنت استقلال فلسطين . وانما عرضت القضية على الامم المتحدة طالبة النصح واعطاء الرأي بموجب المادة ١٠ من الميثاق . وينهي فارس خطابه بقوله ان عرب فلسطين الذين ستهضم حقوقهم في مشروع التقسيم لا يمكن ان يعطوا خدهم الايسر بعد ان ضربوا على خدهم الايمن . وهم يؤملون ومعهم سائر العرب ان تجد الجمعية العمومية حلا عمليا يعيد السلام الى الارض المقدسة . ولا يمكن ان يستسلموا لهذا المشروع الذي يجبرهم على ترك اراضيهم التي رووها بدمائهم لقرون عديدة حتى يحتلها الدخلاء المعتدون . ويتعرض فارس الى ما جاء في كلمة مندوب الوكالة اليهودية من تهديد للعرب باستعمال قوات الارهابيين الذين تحت تصرف الوكالة ضدهم فيقول : « لقد فهمنا انه كان بذلك يعبر عن مقاصد حكومته، طالما انه من رعايا الولايات المتحدة كسائر زملائه اعضاء المنظمة الصهيونية، عندما كان يتكلم بالنيابة عن يهود فلسطين، ويظهر ان حكومة الولايات المتحدة تسنده في ذلك . ولقد اثبت تهديده مندوب الولايات المتحدة عندما نصح بتشكيل

قوة من الشرطة مؤلفة من المتطوعين للعمل في فلسطين وامام هذا التحدي فان العرب لا يسعهم الا قبول التحدي » .

بعد ان تناقشت اللجنة الخاصة في مسألة فلسطين قررت تشكيل هيئة لمحاولة التوفيق بين العرب واليهود بناء على اقتراح مندوب سالفا دور . كذلك شكلت لجنة فرعية اولى لوضع مشروع مفصل للتقسيم مبني على تقرير اكثرية لجنة التحقيق . كما انها شكلت لجنة فرعية ثانية لوضع مشروع مفصل للاعتراف بفلسطين كدولة مستقلة موحدة بناء على اقتراح المملكة العربية السعودية والعراق وسورية . ولم تتمكن هيئة التوفيق من القيام بعمل مثمر . اما اللجنة الفرعية الاولى فقد تقدمت بمشروع قرار للتقسيم مع اتحاد اقتصادي ينبع في خطوطه العامة اقتراح اكثرية لجنة التحقيق . واقترحت تأليف لجنة من خمسة اعضاء تعينها الجمعية العمومية للذهاب الى فلسطين والقيام بالاعمال التي تفوضها بها الجمعية العمومية تحت اشراف مجلس الامن . اما اللجنة الفرعية الثانية فقد اقترحت مشاريع قرارات ثلاثة : اولا ان يطلب من محكمة العدل الدولية اعطاء رأي في بعض المسائل القانونية التي تتعلق بمشكلة فلسطين ومن جملتها صلاحية هيئة الامم في تنفيذ حلول معارضة لرغبة الاكثرية في فلسطين ، ثانيا حل مشكلة اللاجئين اليهود والمشردين على اساس دولي ، وثالثا انشاء حكومة موقتة لشعب عموم فلسطين وتحويل صلاحيات الدولة المنتدبة اليها وتشكيل مجلس تأسيسي . وقد بحثت اللجنة الخاصة في مقترحات اللجنتين الفرعيتين الاولى والثانية التي وصلتها في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٧ وجرى التصويت على مقترحات اللجنة الفرعية الثانية بشأن جعل فلسطين دولة موحدة في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) . فرفضت باكثرية ٢٩ صوتا ضد ١٢ صوتا وامتناع ١٤ دولة عن التصويت وغياب دولتين . كذلك رفضت الاكثرية نقل قضية فلسطين بمجموعها بما فيه وعد بلفور والانتداب الى محكمة العدل الدولية بـ ٢٩ صوتا ضد ١٨ صوتا وامتناع ١١ دولة عن التصويت . ورفضت الاكثرية ايضا تكليف محكمة العدل الدولية بابداء رأيها في صلاحية الامم المتحدة بتنفيذ اي نوع من التقسيم دون موافقة سكان فلسطين على ذلك وكانت الاصوات ٢١ ضد ٢٠ مع امتناع ١٦ دولة عن التصويت . وقد امتنعت انكلترا عن التصويت في جميع هذه المقترحات . وفي ٢٥ تشرين الثاني

(نوفمبر) جرى التصويت في اللجنة على مشروع تقسيم فلسطين كما ورد في تقرير اللجنة الفرعية الاولى فقبل باكثرية ٢٥ صوتا ضد ١٣ صوتا وامتناع ١٧ دولة عن التصويت وغياب دولتين . ويشاهد في جميع هذه الاحوال ان اصوات الاكثرية التي رفضت مشروع الدولة الموحدة وقبلت مشروع التقسيم كانت اكثرية ضئيلة . وبعد ان قررت اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة تقسيم فلسطين وبعد ان استمرت في بحث هذه القضية منذ ٢٣ ايلول اعتبرت ان مهمتها قد انتهت وحلت نفسها بنفسها . وبقي ان تصوت الجمعية العمومية على مشروع اللجنة الخاصة .

وفي هذه الاثناء كان قد انعقد مجلس جامعة الدول العربية في لبنان في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) فقرر ان الحالة في فلسطين تستلزم من جانب الدول العربية اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين نظرا لقرارات الحكومة البريطانية المعلنة اخيرا بعزمها على التخلي عن انتدابها وانسحابها بقواتها العسكرية وجهازها الاداري، ونظرا لوجود القوات الصهيونية ومنظماتها الارهابية التي تهدد سلامة العرب . ولهذه الغاية يقترح المجلس ان يوصي حكومات الدول العربية بان تبادر الى اتخاذ هذه الاحتياطات العسكرية، على ان تيسر الدول المتاخمة لفلسطين للدول غير المتاخمة سبيل الاشتراك والتعاون في هذا الواجب بالاتفاق بينها . ويوصي المجلس تنفيذا للقرارات السابقة باداء المعاونة الفعلية للعرب في فلسطين وتقويتهم وتعضيدهم للدفاع عن انفسهم وعن كيانهم وان ترصد فورا دول الجامعة العربية الاموال اللازمة لذلك على ان تتولى انفاق هذه الاموال لجنة خاصة .

عرض مشروع التقسيم على الجمعية العمومية في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ لاقراره او رفضه ويحتاج التصويت عليه الى ثلثي عدد اصوات الاعضاء الذين يشتركون في التصويت . وقد كانت المناقشات حادة في الجمعية العمومية بين مؤيدي التقسيم ومعارضيه . وكانت بعض الدول تتردد وتريد الاستنكاف . واتضح للدول الكبرى الراغبة في قبول المشروع انه سوف لا يحوز الاكثرية اللازمة في ذلك اليوم . فعمدت الى تأجيل التصويت حتى تم لها اقناع الدول المترددة . وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر)

اجتمعت الجمعية العمومية بكامل هيئتها للتصويت على المشروع . فقام فارس الخوري يبذل الجهود لاقناع هذه الجمعية باعادة المشروع الى اللجنة الخاصة لان هـذه اللجنة لم تبذل مساعيها في التوفيق بين الطرفين ، ووصف اللجنة بانها كانت متحيزة وبانها لم تقم بواجبها بل فشلت في مهمتها . وذكر ان التعليمات المعطاة للجنة الخاصة قضت بان تهتم بدراسة تقرير لجنة التحقيق بما فيه مشروع التقسيم وهو مشروع الاكثرية ، ومشروع الدولة الاتحادية وهو مشروع الاقلية . ولكن اللجنة الخاصـة لم تهتم الا بمشروع التقسيم . واما محاولة التوفيق بين الجهات التي لها صلة بمشكلة فلسطين فقد قرأ فارس نص الكتاب الذي وجهه رئيس هيئة التوفيق (مندوب استراليا) الى الامير فيصل آل سعود لاجراء محادثات مع جورج مارشال رئيس وفـد الولايات المتحدة ، وجواب الامير فيصل واستعداده لاجراء هذه المحادثات . ولكن الامور بقيت عند تبادل الرسالتين ولم يدع احد الى اجتماع او محادثات . ولم تجر محاولة للتوفيق بين وجهات النظر . وعليه فقد قال فارس للاعضاء « لقـد سمعتم عدداً من مندوبي الدول يصرحون بان مشروع التقسيم معقد ويصعب تنفيذه وانه لا يخدم قضية السلم وانما يؤدي الى اهراق الدماء . وليس من اهداف الامم المتحدة ايجاد وضع كهذا وعليه فان الجمعية العمومية يجب ان تتخذ جميع الوسائل التي تحت تصرفها لتجنب اهراق الدماء».

وبعد ان استعرض جميع الاعتراضات التي يمكن ان تقال ضد تأجيل البت في الموضوع ورد عليها ، اخذ يتعرض لنفوذ اليهودية في الولايات المتحدة بالرغم من كونهم بنسبة واحد من ثلاثين . واظهر كيف بلغ نفوذهم قلب هيئة الامم المتحدة . واشار الى انه اذا كانوا في دولة موحدة في فلسطين فليس من الضروري ان يكونوا اقليـة . لان الاحزاب سوف لا تكون على اساس ديني بل يمكنهم ان ينضموا الى حزب يصبحون فيه الاكثرية وبذلك يسيطرون على البلاد كما هي حالهم في الولايات المتحدة .

حصل التصويت على مشروع التقسيم في الجمعية العمومية في ٢٩ تشرين الثاني فنجح باكثرية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا وامتناع عشر دول عن التصويت وغياب دولة واحدة (سيام). وكانت الدول التي عارضت المشروع عدا عن الدول العربية الست ، تركيا

والافغان والهند وايران والباكستان وكوبا واليونان . واما الدول التي استنكفت فهي المكسيك وانكلترا والارجنتين وشيلي والصين وكولومبيا وسلفادور وهندوراس والحبشة ويوغوسلافيا . والدول التي صوتت بجانب التقسيم كانت استراليا ، بلجيكا بوليفيا ، البرازيل ، روسيا البيضاء كندا ، كوستاريكا ، تشيكوسلوفاكيا ، الدانمرك دومينيكا ، ايكوادور ، فرنسا ، جواتيمالا ، هايتي ، هولندا ، ايسلندة ، ليبريا ، اللوكسمبورغ ، نيوزيلاندا ، نيكاراغوا ، النروج ، بناما ، باراغواي ، بيرو ، الفلبين بولونيا ، اتحاد جنوبي افريقيا ، الاتحاد السوفيتي ، اسوج ، اوكرانيا ، الولايات المتحدة



فارس الخوري في مؤتمر صحفي بعد اتخاذ قرار تقسيم فلسطين في هيئة الامم المتحدة .

باراغواي ، فنزويلا . وقد شرح فارس الخوري في خطبه فيما بعد ان ٢٤ دولة تحوي ثلثي سكان العالم رفضت الموافقة على التقسيم اما برفض المشروع او بالاستنكاف . والذين وافقوا يمثلون ثلث سكان العالم ومعظمهم ينتسبون الى دول نائية ليس لها اتصال بفلسطين او بشؤون القارة الاسيوية والشرق الادنى . اما ضمان ثلثي الاصوات فقد تم بنتيجة مناورات وتطبيقات للدول التي كانت قد امتنعت عن التصويت للمشروع في اللجنة الخاصة وهي فرنسا وبلجيكا وهولندا ونيوزيلاندا ولوكسمبورغ وهايتي وليبريا

وكذلك للباراغواي والفليبين اللتين كانتا غائبتين اثناء التصويت في اللجنة بحيث اعطت هذه الدول اصواتها في الجمعية العمومية .

اما قرار الجمعية العمومية التاريخي بشأن تقسيم فلسطين بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ فقد جاء فيه :

« ان الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة بعد ان عقدت دورة خاصة بناء على طلب الدولة المنتدبة (بريطانيا) للبحث في تشكيل وتحديد صلاحية لجنة خاصة يعهد اليها بتحضير اقتراح يعمل على حل المشكلة . وبعد ان تلقت وبحثت تقرير اللجنة الخاصة الذي يتضمن عدة توصيات قدمتها اللجنة بعد الموافقة عليها بالاجماع ، ومشروع التقسيم مع الاتحاد الاقتصادي الذي وافقت عليه اغلبية اللجنة ، تعتبر ان الحالة الحاضرة في فلسطين من شأنها ايقاع الضرر بالرفاهية العامة والعلاقات الودية بين الامم ، وتأخذ علماً بتصريحات الدولة المنتدبة التي اعلنت بموجبها انها تنوي انهاء الجلاء عن فلسطين في اول آب (اوغسطس) سنة ١٩٤٨ ، وتوصي دولة انكلترا بصفتها دولة منتدبة على فلسطين وكل دولة اخرى من اعضاء الامم المتحدة بالموافقة وبتنفيذ مشروع التقسيم مع الاتحاد الاقتصادي لحكومة فلسطين العتيدة على الصورة المبينة ادناه :

اولا — يجب على مجلس الامن ان يتخذ التدابير الضرورية المنوه عنها في المشروع للعمل على تنفيذه .

ثانيا — ان يقرر مجلس الامن ، اذا اوجبت الظروف ذلك اثناء المرحلة الانتقالية ، ما اذا كانت الحالة في فلسطين تشكل تهديدا للسلم . فاذا قرر مجلس الامن ان مثل هذا التهديد موجود فعلا فيجب عليه محافظة على السلم والامن الدوليين ان ينفذ تفويض الجمعية العمومية باتخاذ التدابير اللازمة وفقا للمادتين ٣٩ و ٤١ من الميثاق ، وذلك في اعطاء الصلاحيات الضرورية الى اللجنة الدولية للقيام في فلسطين بالاعمال الملقاة على عاتقها كما هو منوه عنه في القرار الحاضر .

ثالثاً – يجب على مجلس الامن ان يعتبر تهديداً للسلم وقطعاً للعلاقات السلمية وعملا عدوانياً بموجب نصوص المادة ٣٩ من الميثاق كل محاولة ترمي الى تغيير نظام حققه وقضى به القرار الحاضر وذلك بواسطة القوة .

رابعاً – يجب ان يطلع مجلس الوصاية على الصلاحيات التي ستمنح له بموجب المشروع الحاضر .

« وتدعو الجمعية العمومية سكان فلسطين الى اتخاذ التدابير الضرورية المطلوبة منهم لتأمين تطبيق هذا القرار . وتوجه نداء الى جميع الحكومات والشعوب للتمنع عن القيام باي عمل من شأنه عرقلة او تأخير تنفيذ هذه التوصيات ، وتأذن للامين العام لهيئة الامم المتحدة بدفع نفقات سفر واقامة اعضاء اللجنة المنوه عنها على الاساس والشكل اللذين يراهما مناسبين . وعليه ان يقدم المأمورين والمستخدمين الضروريين لمساعدة اللجنة في المهام التي القتها الجمعية العمومية على عاتقها » .

بعد موافقة الجمعية العمومية على مشروع تقسيم فلسطين انتخبت لجنة خماسية مؤلفة من بوليفيا وتشيكوسلوفاكيا والدانمارك وبناما والفلبين (وتسمى لجنة تقسيم فلسطين) بناء على ما جاء في تقرير اللجنة الخاصة بشأن حكومة فلسطين المقبلة . ومهمة هذه اللجنة الذهاب الى فلسطين تحت اشراف مجلس الامن واستلام الادارة من الحكومة البريطانية بعد جلائها ومن ثم تسليمها الى الحكومتين المؤقتتين العربية واليهودية .

وقد صرح مندوبو الدول العربية بعد اتخاذ هذا القرار بانهم لا ينوون الانسحاب من هيئة الامم في الوقت الحاضر ولكنهم يعلنون ان قرار الجمعية العمومية باطل وغير معمول به ومخالف للميثاق وان بلدانهم سترفض التعاون مع اللجنة الدولية التي ستنفذ التقسيم . وقد قال ظفرالله خان مندوب الباكستان : « ان حكومة الباكستان تغسل يدها من كل مسؤولية تنجم عن هذا القرار وتمتنع عن الاشتراك باية لجنة تؤلفها هيئة الامم لتنفيذ التقسيم » . وقال الامير عادل ارسلان مندوب سورية : « ان

ميثاق هيئة الامم قد توفي ، وان بلاده لا تقر هذا القرار ولا تتحمل ما سينجم عنه وجميع نتائجه تقع على عاتق هيئة الامم » .

وتلت القرارات مظاهرات صاخبة في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان وبيروت والقدس ورفضت الهيئة العربية العليا القرار . واشتدت حالة التوتر في بلاد الشرق الاوسط وافتتحت مكاتب للتطوع في عواصم البلاد العربية . واندلعت الثورة في جميع انحاء فلسطين . وقد اجتمع رؤساء الحكومات العربية في القاهرة واصدروا بياناً في ١٨ كانون الاول (دسمبر) ١٩٤٧ قرروا فيه ان التقسيم باطل من اساسه . وقد جاء في نهاية البيان « اما وقد تغلبت الشهوات والاغراض في ساحة الامم المتحدة واغلقت ابواب الحق والعدل في وجوه العرب فانهم قد وطدوا العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة باذن الله . فتستقر مبادىء الامم المتحدة في نصابها السليم وتسود في الاراضي المقدسة مبادىء العدالة والمساواة بين الناس اجمعين » .

جهوده في مجلس الامن وفي الدورة الاستثنائية الثانية لهيئة الامم لعدم تنفيذ التقسيم (شباط ـ ايار ١٩٤٨) : بعد صدور قرار تقسيم فلسطين في الجمعية العمومية في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ نقل هذا القرار الى مجلس الامن . وفي ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ وضع مجلس الامن قضية فلسطين في جدول اعماله على انه لم يبدأ مناقشة هذه القضية قبل ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، اي بعد مضي شهرين ونصف من وضع القضية على جدول اعماله . وفي هذه الفترة التي انقضت بين نقل القضية الى مجلس الامن وبين المباشرة بمناقشتها بصورة رسمية تقدمت لجنة تقسيم فلسطين الى المجلس بتقرير في ٢٩ كانون الثاني (يناير) وبتقرير آخر في ١٦ شباط (فبراير) ١٩٤٨ . وقد ذكرت في التقرير الاول ان انكلترا مصرة على بقاء السلطة بيدها وحدها حتى ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ . وان اللجنة يجب ان تصل الى

فلسطين قبل انتهاء الانتداب بمدة كافية تتمكن فيها من اتمام مهمتها . واما في التقرير الثاني فقد بحثت في وضع فلسطين ووصفته بانه خطر جدا وبشتد حراجة كل يوم ودعت الى القيام بعمل سريع يساعد على تنفيذ قرار التقسيم ومنع سفك الدماء، وان تعين هيئة دولية لحفظ الامن والنظام .

وعندما بدأت المناقشة في مجلس الامن في ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٨ قام فارس الخوري وكان من اعضاء هذا المجلس فالقى خطبة مستفيضة ابان فيها عدم مشروعية تقسيم فلسطين من جهة، وعدم اضطرار مجلس الامن لقبول طلب الجمعية العمومية وتوصياتها من جهة اخرى . كما انه طلب رد طلب لجنة تقسيم فلسطين وهو تأليف قوة دولية لحفظ الامن والنظام . وقد تكلم فارس عن التدخل والضغط اللذين قامت بهما بعض الدول الكبرى للوصول الى التوصيات التي ارتأتها الجمعية العمومية . واشار الى اغفال بعض المقترحات القانونية والغاء بعض الجلسات . ثم ذكر ان مجلس الامن هيئة مستقلة تتمتع بحرية العمل في نطاق نصوص الميثاق ولذلك فان توصيات الجمعية العمومية تبقى خاضعة لبحثها من قبل هذا المجلس والتثبت من مطابقتها للسلطات التي منحها الميثاق للجمعية العمومية واوضح ان تقرير الاعضاء السبعة في لجنة التحقيق في فلسطين تقرير خاطىء في اساسه . وينطوي على جميع ما يمكن ان يتصوره الانسان من عبث بالحقوق والعدوان عليها . وينافي حتى صك الانتداب الجائر الذي اشار الى حكومة واحدة في فلسطين . وبعد ان فند النقاط التي استندت اليها الجمعية العمومية في توصياتها قال ان توصيات الجمعية ليست ملزمة لمن توجه اليهم وذكر السوابق الكثيرة على ذلك في النزاع المتعلق بالهنود في جنوبي افريقيا، وقضية البلقان واللجنة الموقتة فيها، وقضية كوريا وغيرها . ثم اوضح عدم شرعية اللجنة الخماسية لتقسيم فلسطين لانها لا تستند الى اساس قانوني . واكد بطلان التقسيم لان المادتين العاشرة والرابعة عشرة المستند اليها لا تخولان الجمعية العمومية سوى تقديم توصيات ضمن حدود ميثاق الجمعية واهدافها . واكد ان الجمعية ليست حكومة عالمية . وهي لا

تتمتع بالسلطة التنفيذية التي تهيمن بها على شعوب العالم . وذكر اعضاء مجلس الامن بان هذه القضية ليست عربية يهودية ولا قضية الشرق والغرب ، بل هي قضية صراع بين العواطف العمياء وبين العقل ، وبين الحقوق الطبيعية والحقوق المكتسبة بموجب الدعاوي الباطلة وباسلوب غير مشروع وبين مناهج القانون الدولي وسياسة القوة المرتكزة على شريعة الغاب. وشبه الصهيونية بجرب صليبية يحرض الصهيونيين فيها الدول العظمى على تنظيم حملة عالمية تغزو فلسطين . وحذر من تقرير هذه السابقة الاثيمة التي هي اخطر من اي موقف سياسي يمكن حدوثه نتيجة لالغاء هذه السابقة . وقال انه تلقى تحاذير من شخصيات بارزة في الولايات المتحدة تؤكد له ان هذه السابقة يمكن ان تحمل عناصر اخرى في الولايات المتحدة نفسها على طلب التقسيم وتقرير مصيرها . وذكر بان هنالك عناصر اخرى في الولايات المتحدة ومنها الزنوج يمكن ان تطلب ذلك . كما ان العناصر في اية دولة اخرى في العالم يمكن ان تستفيد من هذه السابقة لاجل اغراضها الخاصة .

كان لهذه الخطبة صدى بعيد في الاوساط الدولية والاميركية حتى ان احد اعضاء مجلس النواب الاميركي المستر غوست Gossett نائب ولاية تكساس وقف في مجلس النواب في ٨ اذار (مارس) ١٩٤٨ وقال : « سيدي الرئيس ، اذا اراد احد منا ان يعرف وجهة نظر العرب في قضية فلسطين الهامة ، واذا اراد ان يقرأ اعظم خطبة القيت في هذه البلاد في الشهور الاخيرة فاسمحوا لي ان اوصي بقراءة الخطاب الفخم المملوء بالحقائق الذي القاه السياسي السوري السيد فارس الخوري امام مجلس الامن في ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٨ . ان خمسة وتسعين بالمائة من اعضاء الكونغرس ومن الشعب الاميركي الذين يعرفون الحقائق ويدركون ما تنطوي عليه هذه المشكلة مستعدون للاعتراف باننا ارتكبنا خطأ فادحاً . ان الامم الشريفة كالرجال الشرفاء يعترفون باخطائهم ويسعون لتصحيحها ولتخفيف الاضرار الناتجة عنها . ان موقفنا في الجمعية العمومية وهيئة الامم المتحدة في قضية فلسطين لا يمكن الدفاع عنه . اننا نحاول التدخل في سيادة عنصر قديم محترم وفي حقوقه الثابتة بدون اي مبرر اخلاقي او قانوني . يا سيدي الرئيس ، ان الشعب الاميركي لم يطلع على الحقائق ولم يسمع وجهة نظر العرب ولقد حان الوقت

لان نفتح عيوننا . ولذلك فانني لاجل الحقيقة والتاريخ ولاجل ان يطلع اعضاء الكونغرس والشعب الاميركي على نواحي هذه القضية فقد استأذنت بادخال خطاب السيد فارس الخوري في وقائع مجلس الكونغرس . واسمحوا لي ان اوصي كل مواطن اميركي بقراءته . » وقد نشر نص الخطاب الذي القاه فارس الخوري بالانكليزية مع كلمة النائب الاميركي في كراس خاص ووزعت منه آلاف النسخ . [1]

وفي ٢ اذار ١٩٤٨ القى فارس الخوري خطاباً آخر في مجلس الامن ، تعرض فيه لمقترحات وفد الولايات المتحدة وعلى رأسه المستر اوستن ، بشأن تنفيذ مشروع التقسيم ونعت هذه المقترحات بانها لا تتفق مع صلاحيات مجلس الامن ولا مع مبادىء ميثاق هيئة الامم ، وقد تناول كلا من هذه المقترحات ورد عليها . وهي بالحقيقة لاتخرج عن المقترحات التي جاءت في قرار الجمعية العمومية بشأن التقسيم . فاما المقترح الاول وهو « ان يتخذ مجلس الامن التدابير الضرورية التي ينص عنها مشروع تنفيذ التقسيم » فقد رد فارس الخوري على ذلك بانه لا يمكن اتخاذ هذه التدابير بدون قوة دولية كافية . وان مجلس الامن ليس من صلاحياته ان ينفذ بالقوة التوصيات السياسية . ولذلك لا يمكنه ان يتخذ اي تدبير لتنفيذ المشروع . واما بشأن المقترح الثاني وهو « ان يبحث مجلس الامن في ما اذا كانت الحالة في فلسطين اثناء الفترة الانتقالية تكون تهديداً للسلم » . فقد قال فارس ان وفود دول كثيرة قد اخبرتنا بان مشروع التقسيم نفسه هو تهديد للسلم . وقد رفضه كل من لهم علاقة به ، وكل الذين وضع هذا المشروع على حسابهم ، ولذلك فان العرب لهم الحق في ان يدافعوا عن انفسهم ضد اعتداء العناصر الاجنبية التي تحاول اغتصاب ارضهم . واما بشأن المقترح الثالث وهو « ان يقرر مجلس الامن بان كل محاولة لتعديل قرار التقسيم بالقوة يعتبر بموجب

---

(١) راجع خطبة النائب مع خطاب فارس الخوري في: Palestine — Arabs' View ; Extension of Remarks of Hon. Ed Gossett of Texas in the House of Repesentatives, Monday March 8,1948 (Washington 1948).

المادة ٣٩ من الميثاق تهديداً للسلم او خرقاً للسلم او عملا عدائياً » فقد قال فارس ان ذلك معناه بان يفسر مجلس الامن صلاحياته بشكل خاص لكي تخدم اغراض الذين تبنوا مشروع التقسيم . وقد هاجم فارس الجمعية العمومية واتهمها بتجاوز صلاحيتها عندما اقدمت على مثل هذه التوصية . لان مجلس الامن لا يرضى بان يقال له ان هذه القضية هي تهديد للسلم . فالغرض من هذه التوصية هو منع العرب من المقاومة واجبارهم على قبول المشروع بالقوة . ثم هاجم فارس ممارسة الامم المتحدة للسلطة في فلسطين بعد انتهاء الانتداب وقال « ان الميثاق لا يخولها حق ممارسة السلطة الا بموجب نظام الوصاية » . كذلك هاجم المقترح الاميركي القاضي بتشكيل لجنة من مجلس الامن مؤلفة من الاعضاء الخمسة الدائمين لتنظر في التهديدات الممكن ان تنشأ للسلم العالمي عن حالة فلسطين ولتشاور لجنة فلسطين والدولة المنتدبة وممثلي العرب واليهود بشأن تنفيذ مشروع التقسيم، فقال « ان المجلس بكامله يجب ان يدرس جميع الاوضاع والمنازعات وان ينظر فيما اذا كانت تكون تهديدا للسلم . وليس من الانصاف ان تستخدم الدول الخمس الكبيرة نفوذها للضغط على سائر اعضاء مجلس الامن » واما دعوة العرب لاتخاذ كل تدبير ممكن لمنع او تخفيف الاضطرابات السائدة في فلسطين فقد قال فارس بشأنها انها ستكون بلا فائدة بما ان سبب الاضطراب لا يزال قائماً .

وكان المستر جونسون وزير المستعمرات البريطاني قد عبر عن موقف حكومته في مجلس الامن فقال « ان بريطانيا العظمى تمتنع عن التصويت على مسألة تنفيذ التقسيم كما انها تمتنع منفردة او بالاشتراك مع سواها على تنفيذ مشروع التقسيم بالقوة » وصرح بان جلاء آخر جندي بريطاني من البلاد سيتم قبل اول آب وان ادارة الانتداب ستنهي اعمالها في ١٥ ايار المقبل .

وبينما كان مجلس الامن يعقد جلساته اصدرت اللجنة الادارية لهيئة المجمع اليهودي الاميركي في ٤ اذار ١٩٤٨ تقريراً تدعو فيه هيئة المجمع العامة الى حصر الوطنية

الصهيونية ضمن نطاق الدولة الصهيونية المنتظرة ، وان لا يمثل اليهود الاميركيين سوى حكومة الولايات المتحدة . وقد جاء في هذا التقرير ان اليهود هم يهود من حيث الدين والمذهب . وختم المجمع موتمره الرابع في مدينة سانت لويس باحتضان جوهر هذه المبادىء .

وقد اتخذ مجلس الامن قرارا في ٥ آذار ١٩٤٨ بدعوة الاعضاء الخمسة الدائمين الى بحث الموضوع وابلاغ المجلس عن الموقف فيما يتعلق بفلسطين وتقديم التوصيات التي يرونها الى المجلس بشأن التعليمات والتوجيهات التي يجب على المجلس ارسالها الى لجنة فلسطين ، وان يرسلوا تقريرا عن مباحثاتهم في غضون عشرة ايام . وعلى ذلك فقد رفض مجلس الامن ان يوافق على اعلان قبوله في الحال لتوصيات الجمعية العمومية باقرار التقسيم . وخلا قرار المجلس ايضا من اية اشارة الى تشكيل قوة دولية لترسل الى فلسطين . ورفض كذلك المجلس ان يتشاور اعضاؤه في ما اذا كانت الحالة في فلسطين تهدد السلم الدولي بخطر . وقد اعلنت بريطانيا عن عزمها على عدم الاشتراك في اعمال لجنة الخمسة اعضاء الدائمين . واحمل مندوب كندا الوضع بقوله ان توصيات الجمعية العمومية لم توجد سلاما في الاراضي المقدسة .

وقد عقد ادجار جلاد في جريدة الزمان المصرية مقالاً عن جهود فارس التي ادت الى عدم موافقة مجلس الامن على قرار الجمعية العمومية بشأن تقسيم فلسطين جاء فيه :
« ليست هذه اول مرة تتغلب فيها ارادة فارس الخوري الحديدية على كل ما عداها من اعتبارات مادية او صحية او سياسية او غيرها . فان حياته كلها ملأى بامثال هذه المواقف منذ العهد الذي ترعرع فيه ، فتى بعيد المطامع شديد المراس ، الى العهد الذي تجلت فيه مواهبه النادرة في مجامع دمشق السياسية ، منذ ان كان الاتراك يحكمون سورية الى ان حكمها الافرنسيون ، الى ان رحل عنها الاجنبي ورفرف عليها علم الحرية والاستقلال والسيادة . حياة كلها جلد ، وكلها شجاعة ، وكلها تضحية وكلها اقدام وثبات في سبيل الاوطان العربية المكافحة عن حقوقها المهضومة . كان فارس يتأهب للعودة الى بلاده بعد ان ترافع في اميركا عن مصر وفلسطين . وكان عازما على

المرور في مصر حيث ترتقب الامة المصرية عودته للترحيب به بعطف خاص من ذلك النوع المطبوع بطابع الفاروق الذي لا يجارى في سحره . لكن فارس قرر البقاء في اميركا نزولا عند رغبة حكومته وطلب الجامعة العربية.

« واليوم نرى ذلك الفارس الذي خاض من قبل المعارك كلما كان الخطر يهدد احدى القضايا العربية النبيلة ينزل من جديد الى الميدان في سبيل فلسطين . لقد خانت الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة مرة اخرى قضية عادلة من قضايا العرب . ولم يشأ فارس ان يعتبر القضية خاسرة ويقف امام تلك الخيانة موقف اليائس امام الامر الواقع . كلا بل استولت عليه الرغبة في النضال فاعتزم الذهاب الى مجلس الامن لمقارعة الحجة بالحجة . وقد نشرنا في صفحة البرقيات الخطاب النفيس الذي القاه توطئة لعرض قضية فلسطين على ذلك المجلس .

« كان فارس الخوري مريضاً قبل اجتماع المجلس لكنه غالب المرض فتغلب هو عليه ولا غرابة في ذلك فان الروح التي قدت من صخر تبعث الحياة والقوة والنشاط في الجسم الذي تراكمت عليه الاعوام وانتابه الاعياء. نهض فارس من سريره سليما معافى وحضر اجتماع مجلس الامن . واحرز فيه النصر في الجولة الاولى . فحمل المجلس على عدم الموافقة على قرار الهيئه العامة بشأن فلسطين ».

قامت اللجنة المؤلفة من الاعضاء الدائمين في مجلس الامن (باستثناء انكلترا) بدراساتها ووافق مندوبو روسيا واميركا وفرنسا على ان حالة الامن في فلسطين تهدد السلام وتم الاتفاق بين المندوبين الاربعة على ان يقدموا تقريرهم الى مجلس الامن في جلسته المقبلة في ١٩ اذار ١٩٤٨ بمخالفة المندوب الصيني . كما انهم سيطلبون وضع حد لاعمال الفوضى والاضطراب في الاراضي المقدسة . ولما اجتمع المجلس في ١٩ اذار اعلن المستر اوستن مندوب الولايات المتحدة ان بلاده قد سحبت تأييدها لمشروع التقسيم . وتقترح اقامة وصاية موقتة في مكانه يشمل فلسطين بكاملها .

وقال ان المشروع الجديد يرتكز على ان مشروع التقسيم الذي صدر عن الجمعية العمومية لا يمكن تنفيذه سلمياً . وان مجلس الامن ليس مستعداً لتنفيذه كما ان الامم المتحدة لا تقبل مسؤولية الحكم والادارة في فلسطين بموجب قرار الجمعية العمومية . وانما قبلت بعض مسؤوليات محدودة تتعلق بمدينة القدس وتحويل المسؤولية



المستر وارن اوستن مندوب الولايات المتحدة الدائم في هيئة الامم ومجلس الامن اثناء مناقشة قضية فلسطين .

من السلطة المنتدبة الى الحكومات التي ستحل محلها ، الامر الذي اذا لم تتخذ الجمعية العمومية احتياطها من اجله سيترك فلسطين بدون حكومة على اثر انتهاء الانتداب في ١٥ ايار .

وقد عارض غروميكو مندوب الاتحاد السوفيتي هذا المشروع الاميركي الجديد. بينما وافق مندوب الصين ومندوب فرنسا على المشروع . وبينما كانت انكلترا تؤكد في ٢٣ آذار قرارها بانهاء الانتداب في ١٥ ايار ١٩٤٨ كانت الوكالة اليهودية تستعد لاعلان انشاء الدولة اليهودية حال انتهاء الانتداب وتبليغ مجلس الامن استعدادها لذلك . اما الرئيس ترومان فقد طلب بواسطة مندوبه في مجلس الامن عقد هدنة في الحال بين العرب واليهود لان القتال بدأ بصورة غير نظامية . وذكر انه لا يزال عند رأيه في التقسيم واستمرار الهجرة اليهودية. وان اقتراح الوصاية موقت، بينما نقمت مسز روزفلت على التحول في سياسة الولايات المتحدة لانها كانت من اكثر اعضاء الوفد الاميركي تأييداً للتقسيم . حتى سرت اشاعة بانها استقالت من تمثيل بلادها في لجنة حقوق الانسان احتجاجا على سياسة ترومان الجديدة .

وفي ٣٠ اذار تقدم اوستن مندوب الولايات المتحدة باقتراحين الى مجلس الامن اولهما ايجاد هدنة بين العرب واليهود في فلسطين، وثانيهما عقد دورة خاصة للامم المتحدة يبحث فيها مستقبل الحكم في فلسطين . وقد اعترض غروميكو على الاقتراحين ولكن مجلس الامن وافق عليها. واحتج شرتوك مندوب الوكالة اليهودية في جلسة اول نيسان ١٩٤٨ على اهمال مشروع التقسيم ، وقال ان الشعب اليهودي مصمم على امتشاق الحسام للدفاع عن دولته ومقاومة اي تبديل للقرارات المتخذة حتى الآن . ومضى مجلس الامن بوضع مشروع الهدنة بين العرب واليهود . واقر المشروع في ١٧ نيسان بمخالفة الاتحاد السوفيتي واوكرانيا . وفي ٢٣ نيسان عين مجلس الامن لجنة مؤلفة من قناصل الولايات المتحدة وفرنسا والبلجيك في القدس المساعدة على تنفيذ مشروع الهدنة وارسال تقارير الى مجلس الامن عن الوضع في فلسطين. واطلع مجلس الامن بعد اسبوع على برقية من لجنة الهدنة تقول فيها ان الوضع في فلسطين يشتد تأزماً بسرعة ودوائر الحكومة تتوقف عن سير اعمالها يوما بعد يوم ، وتعمل الوكالة اليهودية كهيئة منظمة للمناطق اليهودية محاولة القيام بالاعمال الحكومية المعلقة . بينما تعتمد

المناطق العربية على السلطات البلدية المحلية بدون ان تكون لها ادارة مركزية. والاعمال الحربية تزداد نشاطا يوما عن يوم وينتظر انتشار المعارك الحربية على نطاق واسع .

بينما كان مجلس الامن يبحث في الهدنة كانت الدورة الاستثنائية الثانية لهيئة الامم المتحدة تنعقد للبحث في مستقبل الحكم في فلسطين . دامت هذه الدورة من ١٩ نيسان حتى ١٥ ايار ١٩٤٨ . وقد طلب وارن اوستن مندوب الولايات المتحدة في ٢٠ نيسان اقرار وصاية موقتة لهيئة الامم على فلسطين . وقال ان حكومته تتعهد بالقيام بنصيبها من مهمات الوصاية الموقتة ولكنها غير مستعدة للعمل المنفرد في هذه القضية • وقام فارس الخوري فالقى خطابا في الجمعية العمومية لهيئة الامم في ٢١ نيسان عرض فيه قضية فلسطين مرة اخرى • واظهر بطلان دعوى اليهود . وهاجم بشدة مشروع التقسيم ووصفه بانه خارج عن صلاحية الهيئة العامة الشرعية . وانهى خطابه بطلب ابقاء فلسطين في ظل نظام ديموقراطي يضمن حقوق العناصر المختلفة . وفي ٢٧ نيسان اجتمع مجلس الوصاية بناء على الاقتراح الافرنسي الاسوجي لاتخاذ التدابير الفورية المحافظة على مدينة القدس وسكانها بالتشاور مع العرب واليهود والبريطانيين بشأن هذه التدابير . وتبنت الجمعية العمومية في ٦ ايار ١٩٤٨ تقرير مجلس الوصاية المتعلق بالهدنة واحترام الاماكن المقدسة وتعيين مفوض بلدي خاص لمدينة القدس من قبل السلطة المنتدبة يرضى عنه العرب واليهود • ولكن في اليوم التالي ابلغ مندوب انكلترا الامين العام لهيئة الامم ان السلطة المنتدبة لم تجد الرجل الذي يرضى عنه الفريقان • على ان العرب واليهود اتفقوا في ١٣ ايار على تعيين هارولد ايفانس من جماعة الكويكرز من فيلادلفيا لاشغال هذا المنصب . وفي نفس هذا اليوم ، اي قبل موعد انتهاء الانتداب بست وثلاثين ساعة ، تقدم اوستن باقتراح يقضي بتعيين مفوض للامم المتحدة في فلسطين بعد انتهاء الانتداب يقوم بمقام وسيط لايجاد حل سلمي للمشكلة ، ويقدم تقارير لمجلس الامن • وان تتوقف

لجنة فلسطين التابعة لهيئة الامم عن ممارسة صلاحياتها . وقد وافقت اللجنة السياسية على هذا الاقتراح وفهم من ذلك ان هيئة الامم قد عدلت عن مشروع التقسيم .

وفي ١٥ ايار وهو اليوم الذي انتهى فيه الانتداب البريطاني على فلسطين انفرط عقد الجمعية العمومية ، بدون ان تتخذ قرارات بشأن نظام الوصاية على فلسطين ، وبدون ان توجد حكومة تحكم البلاد . على انها وافقت على تعيين وسيط للامم



فارس الخوري يتحدث مع رياض الصلح رئيس وزارة لبنان والدكتور فريد زين الدين مندوب سورية في احدى جلسات هيئة الأمم المتحدة بلندن

المتحدة في فلسطين . وقد انتخب هذا الوسيط من قبل الدول الخمس الكبرى فكان الكونت برنادوت رئيس جمعية الصليب الاحمر السويدية . وقد رافق انتهاء هذه الدورة الاستثنائية للامم المتحدة ، وانتهاء الانتداب البريطاني ، اعلان تأسيس دولة اسرائيل وتشكيل حكومة موقتة لها من جهة ، ودخول الجيوش العربية الى فلسطين لحفظ الامن والنظام والاحتفاظ بعروبتها من جهة اخرى واعترفت حكومة الولايات

المتحدة بدولة اسرائيل بعد دقيقتين من اعلانها بشكل لا مثيل له في تاريخ الاعتراف بالدول الناشئة . وقد صرح الدكتور تسيانغ مندوب الصين ان اعتراف الولايات المتحدة بالدولة اليهودية قد زاد المصاعب العديدة التي يتعذر معها على مجلس الامن ايقاف النزاع القائم في فلسطين . وان هذا الاعتراف قد جاء صدمة للجنة الهدنة القنصلية التي تنحصر قوتها على العمل في حيادها التام لان الاعتراف افقدها حيادها .

وقد نشرت دول الجامعة العربية على العالم مذكرة تاريخية ، تبرر فيها دخول جيوشها الى فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ ، شرحت فيها تطور قضية فلسطين ومساعي الجامعة العربية لاستنباط حل عادل لها والعدوان الصهيوني الذي ادى الى نزوح ما ينيف عن ربع مليون من السكان العرب ، وذكرت ان الحكومات العربية كانت ترجو لو ان الامم المتحدة وفقت الى استنباط الحل السلمي العادل لقضية فلسطين وفق المبادئ الديمقراطية ، كما ذكرت المذكرة مسؤولية حكومات البلاد العربية في حفظ السلم والامن في ساحتها ، وكيف ان الاحداث الواقعة في فلسطين تعتبر تهديدا للسلم بالنسبة لكل منها . ولذلك فقد رغبت في منع امتداد الاضطراب والفوضى الى البلاد العربية المجاورة وسد الفراغ الحادث في الجهاز الحكومي في فلسطين بسبب زوال الانتداب فرأت نفسها مضطرة الى التدخل فيها ، كذلك اعترفت الحكومات العربية في مذكرتها بان استقلال فلسطين قد اصبح حقيقة واقعة لسكان فلسطين الشرعيين . واكدت ان الحل الوحيد العادل لقضيتها هو انشاء دولة فلسطينية موحدة تكفل فيها الاقليات جميع الضمانات المقررة في البلاد الديموقراطية (١) .

وقد شكا مندوب الوكالة اليهودية الدول العربية الى مجلس الامن ، وطلب اصدار الاوامر اليها بوقف التهديد لفلسطين . فاجاب مندوب الهيئة العربية العليا ان الهيئة المذكورة التي تمثل الاكثرية الساحقة من سكان فلسطين هي التي وجهت الدعوة الى الدول العربية ترجوها فيها دخول اراضي فلسطين . وعندما طلبت حكومة اسرائيل

---

(١) راجع نص هذه المذكرة وسائر بيانات الجامعة العربية بشأن قضية فلسطين في كتاب «الدول العربية في منظمة الامم المتحدة» للاستاذ شاكر الدبس (دمشق ١٩٤٨) ص ٤٣٥ وما يليها .

من مجلس الامن التدخل لوقف الزحف العربي اجاب مندوب مصر « ان البيت الذي بجوارنا يحترق بسرعة فمن حق مصر والحالة هذه، لا بل من اقدس واجباتها، ان تسرع لاطفاء هذه النار » .

متابعة الدفاع عن فلسطين بعد حوادث الحرب وعقد الهدنة (ايار ـ تشرين الثاني ١٩٤٨): ناضل فارس الخوري في مختلف مراحل القضية الفلسطينية وامام مختلف الهيئات الدولية فحاول منع الجمعية العمومية لهيئة الامم من اتخاذ قرار التقسيم. ثم تابع نضاله في مجلس الامن فنجح في عدم اقرار توصيات الجمعية العمومية بشأن التقسيم. ولما انتهى الانتداب في ١٥ ايار ١٩٤٨ بدون انشاء سلطة شرعية في فلسطين، تابع دفاعه في مجلس الامن بينما كانت الجيوش العربية تدافع عن وحدة فلسطين وتحاول حفظ السلم والامن . وكانت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة تحاول وقف القتال . ففي ١٧ ايار تقدم مندوب الولايات المتحدة باقتراح يدعو فيه الفريقين الى وقف اطلاق النار على اساس ان الحالة في فلسطين تهدد السلم العالمي . ووجه لائحة اسئلة الى الدول العربية والهيئة العربية العليا وحكومة اسرائيل . وفي اليوم التالي دار نقاش حاد بين فارس الخوري ووارن اوستن حول عدم شرعية اعتراف الولايات المتحدة بدولة اسرائيل المزعومة ابان فيه فارس عدم قانونية هذا الاعتراف، وطلب احالته الى محكمة العدل الدولية لتبدي رأيها فيه . وعندما فقد اوستن مندوب الولايات المتحدة حجته اجاب بحدة انه « لا يحق لاية محكمة دولية ولا لاي شخص ان يبحث قضية اعتراف حكومته بالحكومة اليهودية » . فاجابه الدكتور شارل مالك مندوب لبنان : « ما دامت الولايات المتحدة لا ترضى ببحث صلاحية اعترافها فلا يحق لها والحالة هذه ان توجه اي سؤال الى الدول العربية عما جرى عن الاتفاق فيما بينها بشأن قضية فلسطين » .

وفي ٢٢ ايار قبل اقتراح وقف القتال بثمانية اصوات في مجلس الامن وامتنعت عن التصويت اوكرانيا والاتحاد السوفيتي وسورية. وتقدم المندوب البريطاني باقتراح احداث هدنة في فلسطين مدتها اربعة اسابيع على ان تنص : اولا ـ على عدم

استيراد الاسلحة الى فلسطين او الدول العربية ، ثانياً — عـدم تجنيد او تعبئة او تدريب القادرين على حمل السلاح في فلسطين او الدول العربية ، ثالثاً — عدم هجرة الذكور البالغين الى فلسطين ، رابعاً — تنفيذ وقف القتال في اول حزيران . وقد ناقش مجلس الامن هذا المقترح يوماً كاملاً وفي مساء ٢٩ ايار اتخذ قراراً بالموافقة على هدنة تدوم اربعة اسابيع ضمن الشروط المنصوص عليها في المقترح على ان يشرف



الدكتور شارل مالك وزير لبنان المفوض في واشنطن ومندوبه في هيئة الامم المتحدة .

وسيط هيئة الامم مع لجنة الهدنة على حفظ هذه الشروط بمساعدة بعض المراقبين العسكريين ، وان يقوم الوسيط بمهمة للوصول الى اتفاق بين العرب واليهود . وقد عارض فارس الخوري اقتراح الهدنة وامتنع عن التصويت بجانبه وكذلك فعل مندوبو الاتحاد السوفيتي واوكرانيا وكولومبيا . بينما وافقت انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة والصين وكندا وبلجيكا والارجنتين .

قبل العرب واليهود هدنة الاربعة الاسابيع . ووصل الكونت برنادوت وسيط هيئة الامم الى فلسطين لمباشرة عمله في ٣١ ايار ١٩٤٨ . واصدرت جامعة الدول

العربية بلاغاً على اثر اجتماع لجنتها السياسية في عمان تقول فيه : « ان قبول الحكومات العربية لهذه المقترحات يثبت مرة اخرى رغبتها الخالصة في عودة السلم الى الارض المقدسة وفي التوصل الى حل عادل لمشكلة فلسطين » . وقبل اليهود الهدنة ولكن قبولهم كان مؤسساً على افتراضات شرحها شرتوك بقوله ان تحريم استيراد الاسلحة الى الدول العربية يجب ان يشمل ايضاً تسليم اسلحة الى تلك الدول من كميات باقية فيها تملكها دول اجنبية ، وان حرية النقل الطبيعي للبضائع الموجهة الى اسرائيل يجب ان تؤمن وانه يجب ان تحتفظ اسرائيل بحرية ادخال المهاجرين من اية سن كانوا مع العلم انها مستعدة لعدم تجنيد من يدخلون في مدة وقف القتال اذا كانوا في السن العسكرية . وتمكن الوسيط من تحديد موعد وقف القتال في صباح ١١ حزيران . وكانت شروط العرب التي قد تؤدي الى استئناف القتال : خرق شروط الهدنة ، خلق دولة يهودية ، الفشل في الاتفاق بشأن الضمانات التي تتخذ لتأمين سيادة فلسطين ووحدة كيانها . وهكذا فقد بدأت الهدنة وأخذ برنادوت يجري المفاوضات في مقر عمله في رودس مع خبراء من العرب واليهود . وكان اليهود في هذه المدة وحتى نهاية الاربعة الاسابيع يخرقون الهدنة . ويأتون بالمعدات والرجال ويقوون مراكزهم . وذلك بشهادة مراقبي الهدنة انفسهم . بينما كان مجلس الامن ينتظر تقارير الوسيط ونتيجة مساعيه . وكان يرأس مجلس الامن في هذه الظروف الدقيقة فارس الخوري طيلة شهر حزيران .

في ٢٧ حزيران تقدم الكونت برنادوت الى العرب واليهود بمقترحات لتسوية مشكلة فلسطين . وارفق مقترحاته المرسلة الى الامين العام لهيئة الامم ببيان شرح فيه اسس الخلاف بين العرب واليهود . وقد جاء في هذه المقترحات : انشاء اتحاد من دولتين ، دولة عربية ودولة يهودية ، يشمل اراضي فلسطين وشرقي الاردن . وذلك بعد موافقة الطرفين اللذين يعنيهما الامر . واجراء مفاوضات لتخطيط الحدود بين الدولتين على ان يتم التخطيط النهائي عن يد لجنة خاصة . وانشاء مجلس مركزي وهيئات اخرى يؤدي الاتحاد وظيفته عن طريقها على ان تتمتع كل من

الدولتين باستقلال داخلي في ما يتعلق بشؤونها الخاصة والسماح بالهجرة الى اراضي كل من الدولتين على اساس طاقة كل منهما لاستيعاب المهاجرين على ان يكون لكل عضو ان يطلب من مجلس الاتحاد اعادة النظر في سياسة الهجرة التي يسير عليها العضو الآخر وذلك بعد سنتين من انشاء الاتحاد ، وحماية حقوق الاقليات في كل من الدولتين وحماية الاماكن المقدسة . وقد جاء في ملحق هذه المقترحات ضم منطقة النقب الى الاراضي العربية ، وضم منطقة الجليل او جزء منها الى الاراضي اليهودية ، وبحث مركز يافا ، وضم مدينة القدس الى الاراضي العربية مع منح اليهود فيها استقلالا ذاتيا واعتبار ميناء حيفا مينا حرا ، وكذلك مطار اللد .

درست اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية هذه المقترحات فرأت « انها جاءت مخيبة لآمال العرب لانها ترمي الى تحقيق اماني الصهيونيين وتميل الى منحهم اكثر مما يمنحهم مشروع التقسيم الذي باء بالفشل . وفضلاً عن ذلك فان هذه المقترحات لاتضمن للعرب تحقيق مطالبهم . وبذلك دلت على انها لم تعن باسباب النزاع الحالي . ولم تبذل محاولة لازالة تلك الاسباب . بل على النقيض من ذلك فانها زادت الامور سوءاً على سوء بخلق اسباب اخرى من شأنها ان تزيد في خطورة الموقف » . ولذلك اجابت عليها بالرفض وقدمتها الى الوسيط في ٦ تموز ١٩٤٨ .

وعلى اثر هذا الرفض رفع برنادوت تقريرا مطولا بوجهة نظره الى مجلس الامن . وعرض على العرب واليهود مقترحاً جديداً بتمديد الهدنة . واجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية من جديد للنظر في هذا المقترح . فاجابت في ٨ تموز انه « ليس احب الى العرب من حقن الدماء والوصول الى حل سلمي للقضية . ولكن استحالة تخلي القلة اليهودية عن قبول تلك الاطماع واستغلال العصابات اليهودية فترة الهدنة للمضي في تشريد السكان العرب واجبارهم على العمل ونهبهم لاموالهم — كل ذلك يحتم على العرب ان يستأنفوا القتال وان يتخذوا التدابير الكفيلة بوقف هذا العدوان . على ان هذا لن يعني اقفال الباب بوجه الوسيط ومحاولاته الوصول الى حل سلمي للقضية

الفلسطينية » وقد شرحت المذكرة التي اذاعتها الجامعة العربية بشأن مقترحات تمديد الهدنة كيف دخلت الجيوش العربية تلبية لنداء السكان العرب ولوضع حد المذابح التي اثارتها العصابات الصهيونية . وانه بالرغم من تمكن الجيوش العربية من استلام ناصية الامور فانها قبلت دعوة مجلس الامن لوقف القتال ليضطلع الوسيط بوظائفه . ولكنه وقع مـا كانت الدول العربية تخشاه من عدم احترام الصهيونيين لشروط الهدنة ، حيث استمروا في عدوانهم وهربوا الاسلحة والذخائر – كما شاهد ذلك اعضاء هيئة المراقبة – واستولوا على القرى العربية وقتلوا سكانها . وجاء في المذكرة ان تمديد الهدنة هو ادامة لهـذا الوضع الراهن ، والصهيونيون ماضون في اقامة دولة يهودية . وليس ما يدل على تعاونهم لايجاد حل سلمي ، واستمرار الهدنة ضار بعرب فلسطين الذين شرد منهم ربع مليون تحت ضغط الارهاب الصهيوني ، وانه من الطبيعي ان يرحب الصهيونيون بتمديد الهدنـة لان ذلك سيؤخر عودة الامن والسلام الى فلسطين .

وقد عقد مجلس الامن جلسة في ٧ تموز للنظر في اقتراح تمديد الهدنة وكان يرأس المجلس مانوليسكي مندوب اوكرانيا . فاثار عاصفة من الاستياء بـين بعض الاعضاء عندمـا خاطب « ايبان » مندوب الوكالة اليهودية ودعاه « مندوب دولة اسرائيل » مما دعا فارس الخوري الى القول « ان الرئيس قد خالف القواعد المفروضة فيه كرئيس حيادي » . ووجه كلامه الى الرئيس قائلا : « انني انصحك بان تتقيد بالاجراءات القانونية وان تدعو الاشياء باسمائها الحقيقية . » وفي ٨ تموز عقد مجلس الامن جلسة اخرى لدراسة تقرير برنادوت بشأن رفض العرب تمديد الهدنـة وقبول اليهود . وتكلم المندوب الاميركي فقال انه يصعب عليه التصديق بان الدول العربية المنضمة الى هيئة الامم ترفض تمديد الهدنة وتتحدى ميثاق مجلس الامن . وقـال ان الدول العربية رفضت الهدنة وهو يعلن باسم وفده ان مجلس الامن ليس امامه سوى اعتبار هذا العمل مهدداً للسلم بموجب المادة ٣٩ من الميثاق . فانبرى له فارس الخوري وقال ان اتهامات

المندوب الاميركي للدول العربية بتهديد السلم لا يمكن السكوت عليها وتساءل كيف يمكن للعرب الخضوع وهم يرون عناصر خارجية مسلحة، تتلقى المساعدات العسكرية والسياسية من الخارج، تعتدي على سكان البلاد الاصليين. وقال ان الصهيونيين شردوا ٣٠٠ الف عربي مسالم من بلادهم. ثم وجه كلامه الى رئيس مجلس الامن قائلا: « كيف يمكن ان تكون هيئة الامم نموذجاً للعدالة اذا اهملت هذا الامر ؟ وهل يعتبر العمل الذي اتخذه العرب للدفاع عن انفسهم خرقا لميثاق هيئة الامم ولا يعتبر عمل العناصر الارهابية الصهيونية خرقا لهذا الميثاق ؟ » ثم تساءل اذا كانت توصيات مجلس الامن باقامة الهدنة مجبرة، فاورد امثلة من النزاع في اندونيسيا وفي الهند والباكستان وفي القضية اليونانية وفي شمال الصين وقال ان الدول لم تهتم بالدفاع عن الميثاق في جميع هذه الامور بينما اوجدت مشكلة في فلسطين بالضغط السياسي حتى اصبحت هذه المشكلة مثار اهتمام العالم وحتى اصبح كل انسان في الولايات المتحدة مستعداً ان يثور ويساعد ويساهم في هذه القضية. وذلك بسبب الضغط الحاصل في نيويورك. ثم قال: « واذا اهمل العرب قضيتهم فلمن يتركونها وممن يمكنهم ان يتأملوا الانصاف ؟ امن الولايات المتحدة او من مدينة نيويورك او من اصحاب السلطة في الولايات المتحدة ؟ وهل هم حياديون او انهم ينحازون الى جانب ويؤيدونه بخطبهم وتصريحاتهم ويتركون الجانب الاخر ليضطهد ويعامل اسوأ معاملة ؟ وماذا فعل العرب من امر منكر حتى يستحقوا هذه المعاملة من الولايات المتحدة، ومن الاتحاد السوفيتي، ومن الدول الاخرى التي تؤيد القضية الصهيونية ؟ ... ان العرب لم يزيدوا قواتهم ولم يغيروا موقفهم خلال الاربعة الاسابيع. بينما كان اليهود يخرقون الهدنة بجميع الوسائل السرية والعلنية وبالرغم من وجود المراقبين ...... لقد اتينا الى الامم المتحدة نطلب الانصاف فماذا وجدنا ؟ لقد فرضت الدول العظمى مشروع التقسيم واستعملت جميع انواع الضغط لجعله مقبولا. ولكن مجلس الامن وجد انه لا يمكن تنفيذه لانه لا يقع ضمن شروط الميثاق، فاقترحوا الوصاية. ولكن هذه

فشلت . ثم رأوا ان يوافقوا على الامر الواقع فاعترفوا بدولة يهودية في فلسطين واعطوها جميع المساعدات . حتى ان الجيوش والمحاربين يدربون فى الولايات المتحدة وفي كل اوربا ثم يهربون الى فلسطين . ان العرب يشعرون انه اذا لم يكن من عدالة في العالم فليس امامهم الا ان يدافعوا عن حقوقهم بوسائلهم الخاصة ولا يهمهم ماستكون النتيجة . فاذا هلكوا على يد الامم المتحدة والدول الكبرى فليكن . انهم لا يطيقون العيش في ظروف مذلة كهذه » . ثم يذكر قدوم الامدادات الى فلسطين من مختلف بلاد العالم حتى ان احد كبار الضباط من الذين قتلوا وهو يقود القوات اليهودية هو مواطن اميركي . « فاذا كانت الولايات المتحدة تريد اتباع هذه السياسة كما بدأت وان تدخل في سباق مع الاتحاد السوفيتي لكسب رضى الصهيونيين فهذا شأنها . ولكن العرب لا يمكنهم قبول ذلك » . ثم يتكلم عن معاملة العرب الحسنة لليهود بينما كانت دول اوربا تضطهدهم . ويذكر دخول آلاف اللاجئين الارمن الى سورية حيث اصبحوا مواطنين ومنهم نواب في البرلمان . واخيراً يقول : « واذا كنتم تريدون العمل بموجب الفصل السابع من الميثاق فاعملوا به ، ان العرب مستعدون ان يقتلوا حتى بقنابلكم الذرية فيما اذا شئتم ان تذهبوا لهذا الحد وتستعملوها . واذا رغبتم في ان تدوسوا جميع مبادىء العدل والانسانية ، فافعلوا ذلك . فالعرب مستعدون ان يموتوا باسلحتكم واسلحة الاتحاد السوفيتي اذا شاؤوا ان يشاركوكم في هذا العمل المخجل » . وانهى فارس خطبته بقوله ان حكومته ستنظر في الموقف ، وانها مع سائر الدول العربية ستتخذ القرار المناسب ، وان هذه الحكومات هي من اعضاء الامم المتحدة . ولكن من المؤسف ان تؤدي بها عضويتها الى هذه الحال .

بينما كان فارس الخوري يثور لكرامة الدول العربية في هذه الخطبة التي القاها وهو في سن الخامسة والسبعين في مجلس الامن كانت امانة الجامعة العربية تذيع في نفس النهار (٨ تموز ١٩٤٨) مشروع الدستور الذي ستنشأ على اساسه حكومة فلسطين في المستقبل . وينص على دولة ديموقراطية موحدة . وهو مبني على المقترحات

التي عرضت على مؤتمر لندن في عام ١٩٤٦ . وفي صباح ٩ تموز استأنفت الجيوش العربية القتال في فلسطين لتحقيق الاهداف التي دخلت من اجلها في ١٥ ايار . وفي العاشر من تموز ارسلت الجامعة العربية مذكرة اخرى الى مجلس الامن تجدد فيها رفضها لتمديد الهدنة واستئنافها القتال في فلسطين . وقد ذكرت فيها ان العرب حافظوا على عهدهم وصبروا على تنفيذ شروط الهدنة الى النهاية بالرغم من حوادث الاستفزاز المستمرة في جانب اليهود خلال فترة الهدنة . كما ذكرت انه بينما كانت سيول المهاجرين تتدفق على فلسطين خلال الهدنة كان اللاجئون العرب يخرجون جماعات من فلسطين هاربين من اضطهاد الارهاب اليهودي . وقد قالت المذكرة ان الهدنة في وضعها الراهن ليست عملية وهي في صالح جانب دون آخر ، وتمديد الهدنة يصيب العرب بابلغ الضرر . وجددت المذكرة املها في ان يجد الوسيط الحل المناسب وان يحصل العرب على العدالة عن طريق التطبيق العادل لميثاق الامم المتحدة .

وفي ١٣ تموز عقد مجلس الامن جلسة استمع فيها الى تقرير قدمه الوسيط برنادوت واقترح فيه ان يصدر مجلس الامن امرا بوقف القتال . وان تجرد القدس من الصفة العسكرية حتى يسهل الوصول الى الهدنة واستخدام الوساطة . ويؤدي جميع ذلك الى اجراء استفتاء عام بين الشعبين العربي واليهودي . وعلى اثر الاستماع الى هذا التقرير تقدم المندوب الاميركي بمشروع قرار يقرر فيه مجلس الامن ان الحالة في فلسطين تهدد السلم بمقتضى المادة ٣٩ من ميثاق هيئة الامم ، ويأمر الحكومات والسلطات صاحبة الشأن بالامتناع عن اي عمل عسكري ، ويراقب الوسيط الهدنة ، ويقرر المجلس ان الهدنة ستظل سارية المفعول حسب قرار ٢٩ ايار الى ان يتوصل الى تسوية للقضية الفلسطينية. وقد عارض فارس الخوري الاقتراح الاميركي باصدار أمر بوقف القتال . والقى خطبة طويلة ابان فيها ان العرب غير معتدين وقال انه بنتيجة انتهاء الانتداب كان ينتظر ان يقوم سكان فلسطين بادارة بلادهم متحدة مستقلة ، وانه ليس للاقلية ولا للاكثرية ان تقرر مصير البلاد بدون استفتاء السكان ، وقيام

مجلس تأسيسي ، ووضع دستور يقره اكثرية السكان . وكل عمل يقوم به قسم من السكان يعتبر غير مشروع . ويجب ان يرفضه اولئك الذين يقولون باحترام ميثاق هيئة الامم . ولكن بدلا من الاخذ بالميثاق ، واعطاء فلسطين حقها الطبيعي في تقرير مصيرها ، يسمح للاقلية ان تأخذ جزءاً من البلاد وتعلن انشاء دولة فيه . ثم ذكر فارس ان مثل هذا القرار يخلق اضطرابات في البلاد ذات الجنسيات المتعددة . ويمكن ان يستفيد منه الهنود في جمهوريات اميركا مثلا حيث لهم حق في اراضيهم اقوى من حق اليهود. وسأل فيما اذا كان في ميثاق الامم المتحدة ما يسمح لاقلية ان تعلن استقلالها على الرغم من ارادة الاكثرية . وتكلم عن اليونان حيث اعلنت اقلية شيوعية قيام حكومة لها فكانت الولايات المتحدة اول من اعلن ان عملها غير قانوني . فلماذا تقف الولايات المتحدة موقفين متناقضين من قضيتين متماثلتين ؟ ثم قال ان العرب لم يرفضوا تمديد الهدنة الا تحت ظروف خاصة اعترف الوسيط نفسه بانها كانت قد افادت اليهود دون العرب . واضاف الى ذلك بان مجلس الامن لا يستطيع ان يصدر اوامر الى اية دولة من الدول لوقف القتال . وانما يصدر نواهي فقط . وانه في هذا الاقتراح الاميركي يطلب من العرب ان يقبلوا قرارا يغل ايديهم بينما يترك ايدي اليهود حرة ، ويمنع العرب من الدفاع عن انفسهم بينما يترك خصومهم احرارا . وقبل ان ينتهي فارس من خطبته عاد فكرر اقتراحه باحالة القضية الى محكمة العدل الدولية لتقرر : اولا — اذا كان اعلان الدولة يتفق مع القانون الدولي والعرف العام ، ثانياً — هل يشكل استعمال القوة من قبل اليهود تأييد هذه الدولة اعتداء ؟ وثالثا — هل تشكل مقاومة العرب لهذا الاعتداء حالة ينطبق عليها الفصل السابع من الميثاق ؟ وقد اكد فارس ان العرب مستعدون للتقيد بما تحكم به محكمة العدل الدولية .

عاد مجلس الامن فعقد جلسة في ١٤ تموز لمناقشة الاقتراح الاميركي القاضي باعلان الهدنة من جديد في فلسطين . فتكلم مندوب مصر محمود فوزي بك فقال : « ان العرب لا يمكنهم الموافقة على اقرار هدنة في فلسطين دون قيد ولا شرط والى

اجل غير مسمى » . ورجا ان لا يتردد المجلس في قبول الاقتراح الذي قدمه فارس الخوري ممثل سورية بشأن استشارة محكمة العدل الدولية . وتكلم غروميكو مندوب روسيا فأيد قرار التقسيم وحمل على تقرير برنادوت ، وعلى بريطانيا لانهما يعملان لالغاء قرار التقسيم واتهم العرب بانهم قضوا مدة الهدنة في الاستعداد للقتال . ورفض ان يكون الوسيط مراقباً للهدنة . وفي جلسة ١٥ تموز عادوا الى مناقشة الاقتراح الاميركي . وعاد فارس الخوري ومحمود فوزي بك الى معارضته . وبعد مناقشات طويلة تقدم مجلس الامن للتصويت على الاقتراح فقرة فقرة . فنال الاكثرية وقد جاء فيه ان الامتناع عن وقف القتال قد يجر الى امكان فرض عقوبات . وان جميع الحكومات مدعوة للتعاون مع الوسيط لابقاء السلم . وان يتوقف القتال دون قيد ولا شرط في ظرف ٢٤ ساعة . وقد ابلغ هذا القرار الى الجامعة العربية في نفس اليوم . فاجتمعت اللجنة السياسية وتداولت في الامر واضطرت تحت ضغط سياسي شديد ان تقبل قرار مجلس الامن واصدرت بياناً بذلك .

وعاد فارس الخوري في جلسة ٢٧ تموز في مجلس الامن فالقى خطبة اخرى طلب فيها من اعضاء المجلس الموافقة على الاقتراح الذي تقدم به بشأن عرض مشكلة فلسطين ، وشرعية حكومة اسرائيل ، على محكمة العدل الدولية . واتى بجميع النصوص والمواد القانونية التي تسمح بعرض هذه القضية على محكمة العدل . وجرى التصويت على الاقتراح فنال ستة اصوات . وامتنعت اربع دول عن التصويت وصوتت واحدة ضده . ولذلك لم ينل اكثرية الثلثين واعتبر مرفوضاً وكان اشد المعارضين له روسيا والولايات المتحدة .

وعلى ذلك فقد اقيمت هدنة ثانية في فلسطين . واتى المراقبون الدوليون لمراقبة الحالة الراهنة . ولم ينجح الوسيط في حل المشكلة الاساسية . غير ان الدولة التي اعلنها اليهود بقيت قائمة وتابعت خرقها للهدنة . وزاد عدد اللاجئين العرب حتى بلغ اكثر من نصف مليون في اواخر ١٩٤٨ . وقد تركوا وطنهم الذي احتله اليهود . وتفرقوا في

البلاد العربية المجاورة . وتابع فارس دفاعه عن فلسطين وخطب في مناسبات عديدة في المجالس الدولية ورد التهم الموجهة الى العرب بخرق الهدنة . واخذ يظهر للملأ كيف تساهلت هيئة الامم والدول الكبرى مع اليهود . وكيف انهم لا زالوا متمادين في اعتدائهم على حساب العرب . وعندما اقامت مؤسسة اليونسكو دورة صيفية في شهري تموز وآب ١٩٤٨ لموظفي هيئة الامم المتحدة وغيرهم للتعرف على شؤون هذه المنظمة دعي فارس الخوري للكلام مع سائر كبار الشخصيات في هيئة الامم . وقد القى محاضرته في ليك ساكس في ١١ آب ١٩٤٨ وكان عنوان هذه المحاضرة التي تستغرق ٣٥ صفحة « فلسطين كمحك لمبادئ هيئة الامم المتحدة » . وقد طبعت نسخ من محاضرته ووزعت على ستماية مستمع وتشكلت لجنة مؤلفة من ٢٢ عضوا لانتقاء الخطب الثلاث الاولى التي القيت في تلك الدورة الصيفية ، وكانت خطبة فارس بينها ونالت اكبر عدد من الاصوات . وقد احتوت هذه المحاضرة على شرح مستفيض لمشكلة فلسطين وعلى رد دعوى الصهيونيين فيها . وذكر المحاضر الدور الذي لعبته هيئة الامم المتحدة في هذه القضية فقال : « ان هذه المنظمة تألفت للمحافظة على السلم ولمنع الحروب في العالم . ولكنها في هذه القضية عملت بصورة معاكسة لاهدافها ورسالتها باهمالها مبادئ العدالة والقانون ، وبالتصرف حسب سياسة القوة بشكل يثير العداء ويقلق السلم في الاراضي المقدسة وفي الشرق الاوسط » . ثم قال ان المسؤولية الكبرى تقع على رجال السياسة في الدول الكبرى الذين شجعوا الصهيونيين بالاعتراف بموقفهم الخاطئ ، والذين اشاروا عليهم بان يمضوا في اعمالهم غير المشروعة . واثقل قسط من هذه المسؤولية يقع على رجال السياسة في الولايات المتحدة الذين وضعوا كل نفوذهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي بجانب الصهيونيين . « وانه لمن المؤسف ان العرب الذين يرغبون باخلاص في توطيد علاقات الصداقة مع الشعب الاميركي قد عوملوا بهذا الشكل . فقد وضعوا بترولهم وسائر مواردهم تحت تصرف الدول الغربية . ومع ذلك فقد كافأهم سياسو الولايات المتحدة على هذا الشكل ، وضحوا بمبادئ العدل والحق والانصاف على مذبح الانانية » .

وفي شهر تشرين الاول ١٩٤٨ عقدت جلسات مجلس الامن في قصر شايو في باريس. وقد خصص بعضها لبحث بعض المشاكل المتعلقة بخرق الهدنة في فلسطين. وكان فارس الخوري لا يزال مندوبا عن سورية في المجلس • وقد وقف في جلسة ٢٦ تشرين الاول وهاجم مجلس الامن وسكوته عن اعتداءات اليهود، وخرقهم للهدنة، ومهاجمتهم منطقة النقب تمهيدا للاستيلاء عليها. وقد ذكر ان بعض الدول، وبعضها في مجلس الامن، قد شجعتهم على هذه الاعمال. ثم تعرض لسياسة الامر الواقع التي تتبعها هيئة الامم • فاذا استولى احدهم على منطقة، حتى ولو كان استيلاؤه مجرد اعتداء، وتمكن من احتلالها، فان هذه المنظمة الدولية توافق على ذلك. ولقد حصل اليهود على منطقة الجليل الغربية بهذا الاسلوب حتى اثناء الهدنة • فهاجموا عكا والناصرة التي ليس فيها يهودي واحد حتى استولوا على كل الجليل. « وانه من المستغرب ان اولئك الذين يسرعون بتقديم الاقتراحات ضد العرب عندما تقدم شكوى ضد اليهود لا يفعلون نفس الشيء الآن. وانه لمن المناسب ان يتخذ مجلس الامن بعض الاجراءات في هذا الشأن ». ثم ذكر ان العرب مستعدون للدفاع عن انفسهم. ولكنهم ليسوا واثقين انهم اذا حاربوا في جميع الجبهات لا يؤاخذهم مجلس الامن على ذلك. بل بالعكس فانه عندئذ يسرع الى طلب معاقبتهم باقصى الطرق.

وبعد يومين من القاء هذه الخطبة عاد فارس فالقى خطبة اخرى في نفس المكان مبرهنا على ان العرب قد حافظوا على الهدنة بينما لجأ اليهود الى سياسة الامر الواقع. وقد ذكر انه منذ الهدنة التي اقرت في ١٧ نيسان ١٩٤٨ جرى الاتفاق على ان النشاط السياسي والحصول على الفوائد اثناء الهدنة لا يجب الاعتراف به لانه غير مشروع • ومع ذلك فقد احتل اليهود في شهر نيسان وفي الاشهر التي تلته مدناً عربية صرفة مثل عكا ويافا وغربي الجليل وفي ظل الهدنة وخلافا لشروطها حتى بلغ عدد اللاجئين العرب المشردين نصف مليون. « وبينما كانت الحالة تستوجب النظر في هذه الامور فان ممثل

اليهود اخـذ يتكلم عن حائط المبكى . وما هي دعواه في حائط المبكى ؟ هل احتل اليهود هذا الحائط وهل يحتله العرب الآن ؟ ان هنالك احجارا قائمة وهي لاتزال هناك منذ العصور القديمة ولا يمسها احد . فماذا يريدون ؟ انها في مدينة القدس القديمة ولا تزال في مكانها وليس من احتلال هناك » . ثم تحدث عن دعوى اليهود ضد الجيوش المصرية التي تجتاز حدود فلسطين واصفة عملها بانه اعتداء. فقال : « ان الجيوش المصرية تدخل فلسطين من اراضي مصر المتاخمة لاسباب تبرر دخولها ، اما الجيوش اليهودية فمن اين اتت ؟ لقد عبرت جيوش اليهود البحار والمحيطات والجبال وتهافتت من كل بلاد العالم لتهاجم فلسطين ، وتوطد اقدامها فيها . فهل يمكن اعتبار اولئك المعتدين الذين اتوا لغزو شعب مسالم في عقر دارهم انهم يعملون بحق . بينما يعتبر المصريون القادمون الى اخوانهم ليوطدوا الامن ويعيدوا اللاجئين الى اوطانهم كجماعة معتدين ؟ » ثم ذكر ان اعمال اليهود تفيد بانهم يريدون احتلال النقب كله. واتى على ما قاله ترومان وسائر المرشحين لانتخابات الرئاسة بشأن العودة الى مشروع التقسيم مع بعض التعديلات التي تقبلها اسرائيل . فقال : ان هذه التصريحات لا تبشر بخير في مستقبل فلسطين وتتنافى مع قرار الجمعية العمومية . وانهى خطبته بقوله ان اليهود قد شجعهم اهمال مجلس الامن عندما احتلوا يافا وغربي الجليل اثناء الهدنة . وهم يعلمون انهم كلما حققوا احتلالا جديدا يبقون في مراكزهم ولا تبذل اية جهود لارجاعهم الى خطوطهم السابقة .

ظل فارس يناضل على هذا الشكل في مجلس الامن وفي الدورة الثالثة لهيئة الامم المتحدة في باريس . وكانت اطول خطبة تلك التي ارتجلها في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٨ امام اللجنة الاولى (السياسية) لهيئة الامم والتي تستغرق ٥٤ صفحة . وقد شرح فيها مزاعم الصهيونية ورد عليها ، واتى على تطور المشكلة امام هيئة الامم وعلى تأسيس دولة اسرائيل المزعومة المبنية على الاعتداء . وذكر مطامع الصهيونيين الى ان قال :

« ان العرب لا يمكن ان يخدعوا لهذه الدرجة . وان عليهم ان يكونوا على حذر، وان يفتحوا عيونهم وآذانهم وان يكونوا مستعدين . وذلك ليس لسنة واحدة ولا لسنتين ولا لعشر سنوات بل لقرون اذا اقتضى الامر حتى يتجنبوا الخطر الذي تجابههم به الامم المتحدة . وسوف لن يطشنوا ولن يخضعوا لهذه التهديدات ولهذه الحالة كما انهم سوف لن يعترفوا بها » .

لم ينته جهاد فارس الخوري في قضية فلسطين ولا في غيرها من المشاكل التي تهم العرب وتهم الانسانية والعدالة بانتهاء عضويته في مجلس الامن في نهاية عام ١٩٤٨ . فهو لا يزال يرأس وفود بلاده الى هيئة الامم حتى هذه الساعة . وهو لا يزال يناضل في سبيل السلم والعدل والانصاف في جميع المشاكل .

الفصل الحادي عشر

مكانته وجهوده في القضايا العربية والدولية منذ ١٩٤٩

عودة فارس الخوري من مجلس الامن والثناء على جهوده : انتهت عضوية سورية في مجلس الامن في نهاية عام ١٩٤٨ وبدأت عضوية مصر . وقرر فارس الخوري ، بعد ان مثل سورية مدة سنتين في ذلك المجلس ، العودة الى بلاده . وقد اجمعت الصحف العربية على انه لم يكن طيلة العامين (١٩٤٧ — ١٩٤٨) ممثل سورية في مجلس الامن ورئيس وفدها في هيئة الامم فحسب ، بل كان صوت العروبة المدوي في كل ندوة دولية . وانه كان العميد الذي لم ينازعه منازع للوفود العربية والشرقية ، والمستشار الخبير الذي يلتمس الجميع رأيه في كل ما يغمض عليهم من امر . فيتلقون قوله حكما فاصلا في ما يعرض لهم من هذا الامر او ذاك . ولذا لم يكن غريبا ان تطبق شهرته الآفاق ، وان يكسب لسورية من السمعة ما لا تستطيع كسبه الفتوحات . وكان من اظهر ما دل على مكانته السامقة في القلوب ذلك الاجماع على تسميته في كل قطر عربي بلسان العرب ومحامي قضية العدل الدولي . وكل قضية لا تجد اذنا مصغية وضميرا يقظا . ولقد ازجت له صحافة العالم بالاجماع عظيم الثناء . واعتبرته مواطناً عالمياً انسانياً مثالياً كما اعتبرته رجل منطق وتشريع وقانون [1] .

---

(١) راجع اقوال بعض الصحف ووصف حفلات الاستقبال في جريدة الف باء بدمشق اعداد ٢ — ١٤ كانون الثاني ١٩٤٩

ولقد كتب مراسل جريدة المصري في باريس في ٣١ كانون الاول ١٩٤٨ رسالة جاء فيها: «اليوم ينتهي عام ١٩٤٨ وينتهي بانتهائه عضوية بعض الدول في مجلس الامن وتبدأ عضوية دول غيرها .. واذا كان علينا ان نودع دولة من هذه الدول التي تنتهي عضويتها لا نجد غير سورية ... نودعها في شخص ذلك الرجل الذي مثلها، ومثل العرب اجمعين، وهو دولة فارس الخوري بك البطل العربي الذي يبلغ من العمر ٧٦ سنة، والذي كانت وفود العالم كلها تنظر اليه على اعتبار انه مثل يضرب للنشاط الذي لا يكل، والشجاعة التي لا يؤثر فيها شيء . . . . . ان دولة الخوري بك رجل حقق المعجزات، وسلك طول عمره طريقا واحدا لم يحد عنه — طريق الانسانية الحقة، الانسانية التي تتلخص في حق كل بشر ان يعيش حرا محتفظا بكرامته . انه الرجل الذي يتمتع دون سائر الناس باحترام الجميع وهو الذي يجله ويعرفه كل رجل في كل مكان، هو الرجل الذي احتل مقعدا في كل قلب عرفه . وسيبقى كذلك في قلوب الناس دائماً . لا يستطيعون ان يسمحوا لغيره بان يحتل مكانه في قلوبهم .

« ولقد احتضن القضية العربية . بل وقضية العالم الاسلامي كله منذ بداية هيئة الامم المتحدة اعمالها ... وكان يدافع عن الحق اينما وجده . ويتمسك به ولا يسمح للباطل ابدا بان يتغلب عليه . ان فارس الخوري سيبقى على مدى التاريخ مثلا للمدافعين عن الحق والحرية . ولن تستطيع هيئة الامم في يوم من الايام ان تدعي انها حققت للانسانية هدفاً من غير ان يكون دولته احد اصحاب الفضل في ذلك . واذا سألت احدا في دوائر هيئة الامم المتحدة عن الرجل الذي يحبه الجميع ويفديه الجميع، ويهتم برأيه الجميع، فان الجواب على سؤالك هو فارس الخوري . ان دولته يعفى الليلة من هذه المهمة التي كان بطلها، وهي تمثيل بلاده في الميدان الدولي ... وان العالم العربي ثم اسرة جريدة المصري ليهمها ان تقول لدولته : « لقد قمت بواجبك . بارك الله فيك واطال في عمرك ».

وقد اذيع رسمياً في دمشق في ٩ كانون الثاني ١٩٤٩م انه تألفت لجنة برآسة لطفي الحفار نائب رئيس مجلس النواب لاعداد برنامج الاحتفال الرسمي المقرر لاستقبال فارس الخوري واتخذت هذه اللجنة جميع التدابير لتنظيم الاحتفال الرسمي تنظيما يتلاءم مع



فارس الخوري في رئاسة مجلس الامن في حزيران ١٩٤٨

الخدمات الجلى التي قدمها لسورية وللجميع قضايا العدل والانسانية في هيئة الامم ومجلس الامن . وعرف ان استقباله لن يقتصر على الهيئات الرسمية، بل ان الهيئات الشعبية ومختلف طبقات الامة تعد له افخم استقبال . وستزحف لاستجلاء طلعته وللاعراب عن التقدير والاجلال الذي يكنه الجميع لدولة لسان العرب ومحامي قضية العدل » .

وفي مساء الاحد في ٩ كانون الثاني ١٩٤٩ رفعت الاعلام السورية على المؤسسات الرسمية وعلى طول الطريق من مطار المزة حتى القصر الجمهوري استعداداً لاستقبال فارس .

وزحفت الجماهير الشعبية في صباح ١٠ كانون الثاني الباكر الى مطار المزة. وقبيل وصول الطائرة وصل شكري القوتلي رئيس الجمهورية، وخالد العظم رئيس الوزراء والوزراء وجميل مردم بك، ولطفي الحفار نائب رئيس مجلس النواب، والنواب وغيرهم كثيرون. وفي الساعة الثامنة وصلت الطائرة ودوى التصفيق. ولما ترجل فارس عانقه رئيس الجمهورية عناقاً حاراً تبادلا خلاله قبلات الاخوة. ثم صافح المستقبلين وسأل نجله عن الطربوش الذي اوصى به. فناوله الشيخ بهجة البيطار عمامته فاعتم بها بين موجات التصفيق. ثم ذهب على يسار الرئيس الى القصر الجمهوري. ثم غادر القصر الى منزله. وكان رجال الامن على طول الطريق يؤدون التحية الرسمية. وكانت الشوارع المحيطة بداره حاشدة بالجماهير. وتوقفت حافلات الترام والسيارات عن السير. وبالجملة فقد كان يوم ١٠ كانون الثاني من الايام الخالدة. وكان موكب الاستقبال ضخماً حتى ان اوله اطل على قرية المزة بينما لم يتحرك آخره من ارض المطار.

كان فارس قد انتخب رئيسا للمجلس النيابي الجديد في ٢٧ ايلول ١٩٤٧، عندما كان يمثل سورية في مجلس الامن. ولم تمض ثلاثة ايام على وصوله الى دمشق الا وكان يقوم بواجبه في رئاسة المجلس. وقد كان ظهوره في جلسة ١٣ كانون الثاني ١٩٤٩، وترؤسه جلسة المساء، مفاجأة ذهل لها النواب والمتفرجون، واستقبلوها بسرور وحسن اهتمام. وقد وجه كلامه الى النواب فقال:

« قبل افتتاح الجلسة ارى ان اقدم مزيد الشكر ووافر الامتنان على الثقة التي منحتموني اياها طيلة السنتين الماضيتين عندما انتخبتموني في غيابي رئيساً لمجلسكم رغم عجزي عن القيام باعباء الرئاسة. وكنت اتمنى بعدما حدث من احداث لو كان لقائي بكم في ظروف غير هذه الظروف. ولكن مع الاسف فان الاقدار قد قضت بان يُمتحن هذا الجيل بهذه المحنة في فلسطين، التي كنا نكافح في الغرب لكي ندفع عنها النكبة. كما كانت الحكومات العربية تكافح في فلسطين عصابات غزاة مجرمين تمدهم دول اجنبية بالسلاح والمال.... واذا ما خسرنا في العراك المسلح الجولة الاولى

فلا يعني باننا نكون خاسرين للجولات التالية . وانني لست يائساً من نتيجة تعيد الحق الى اصحابه ، اذا استفدنا من النكبة ، واعتبرنا بها ، وعرفنا مواطن الخطر فينا ، ونقاط الضعف في عملنا ، واعددنا انفسنا خير عدة على ضوء التجارب المؤلمة الماضية للجولات التاليات . والحق لايضيع متى كان وراءه مطالب . وقد علمتنا التجارب بانه يجب علينا الا ننتظر الوصول الى حق في المنظمات الدولية الا اذا كانت تدعمه القوة ، والقوة المحلية التي كانت تدعم حقنا في فلسطين لم تكن مع الاسف كافية . ولكني آمل بان العرب في المستقبل القريب باذن الله سيحصلون على القوة الكافية التي تعيد اليهم حقهم . وقد كافحوا مدة مائتي سنة محنة مثل هذه المحنة وحاربوا غزواً مثل هذا الغزو وخرجوا بالنتيجة ظافرين (في الحروب الصليبية) . علينا ان نتحد وهذا هو الواجب الاول . ثم علينا ان نوّحد بين ملوك ورؤساء العرب . ثم نوّحد الحال بين الشعوب العربية لنقف جميعاً في صف واحد موحدي الكلمة تجاه الخطر الاجنبي » .

بعد ان انهى فارس كلمته تكلم محمد نوري الفتيح معبراً عن فرح النواب بعودة دولته ، وعن شكرهم له ولما قام به من اعمال تعجز عنها الجماعات . ثم تلاه لطفي الحفار فاعرب عن سرور المجلس لعودة رئيسه وعقله المفكر وقال : « ان المجلس اذا كان قد خسر رئاستكم فقد استعاض عنها بما قمتم به من خدمات كبرى في الغرب » . وتكلم بعد ذلك الدكتور ناظم القدسي قائلاً : « ارى من واجبي ، نظراً لما جاء في خطابكم من ان جهودكم لم تكلل بالنجاح ، ان اقول : « ان الرجل الذي يخدم بلاده لا يستحق الشكر بنسبة نجاحه بل بنسبة نيته وصدق اخلاصه » . ثم قال خالد العظم رئيس الوزراء : « يهم الحكومة ان تشارك المجلس والامة في اكبار وتقدير دولة الخوري لما قام به من اعمال مجيدة سجلها تاريخ جهاده الحافل ... وان تقدير الامة السورية والامم العربية هو اعظم وسام تستطيع الامة والعروبة ان تقلده لدولة الخوري » .

وقد رد فارس على هذه الخطب راجياً الاختصار في الكلام والشكر قائلاً : انه لم يقم الا بالواجب الذي كان يقوم به اي واحد من الامة يكلف بما كلف به . وتقدم نسيب البكري باقتراح خطي ينص على تأليف لجنة للعمل على ايجاد اسلوب لتخليد

اسم فارس الخوري «رجل العرب العظيم». ورد فارس على هذا الاقتراح فقال: «انني اقول لكم ان الشخص ما دام حيا فهو مكلف بتخليد وتكريم اسمه وعندما يعجز عن ذلك يقوم غيره بهذه المهمة». ثم رأى ان يفتح الجلسة فقال: «ان ما حدث حتى الآن خارج عن جدول الاعمال ولهذا فانني الآن افتتح الجلسة وسيتلو امين السر خلاصة الجلسة السابقة».

على هذا الشكل اعربت صحافة البلاد العربية والامة السورية عن تقديرها لجهود فارس الخوري. ولكنه كان كلما اغرقوا في مدحه يزداد تواضعاً. ولا ادل على هذا التواضع من عبارات الشكر التي وجهها الى المهنئين بقدومه بعد وصوله بعشرة ايام حيث قال: «خادم الامة الضعيف فارس الخوري يتقدم بالشكر والامتنان لجميع الذين تفضلوا باستقباله في مطار دمشق في العاشر من هذا الشهر (كانون الثاني ١٩٤٩) والذين جادوا عليه بالبرقيات او بالزيارة، وما رافق ذلك من عبارات الحفاوة والتقدير مما يحسبه فوق المتناسب مع الواجب الوطني، الذي كان له شرف القيام به. ويرجو من حضرات الجائدين المفضلين ان يقبلوا اعتذاره عن الاجابة الشخصية لكل منهم بالابراق او بالزيارة مما هو له امنية عزيزة يتعذر عليه بلوغها ولهم الشكر والمنة المشفوعة باوفى شعائر المودة والاحترام».

فارس الخوري في السياسة السورية والعربية بعد ١٩٤٩: كانت الفترة التي انقضت منذ عودة فارس الخوري من مجلس الامن حافلة بالاحداث في تاريخ سورية وسائر البلاد العربية. فقد ادت الحال في سورية الى تسلم الجيش زمام الامور في فترات مختلفة، والى حدوث ازمات وزارية شديدة، بنتيجة عدم الانسجام بين السلطات القائمة. ففي ٣٠ اذار سنة ١٩٤٩ حدث الانقلاب الذي قام به الجيش على يد حسني الزعيم، وادى الى استقالة شكري القوتلي من رئاسة الجمهورية، والى حل المجلس النيابي السوري، وتشكيل لجنة لتعديل الدستور وقانون الانتخاب. وتشكلت وزارة برئاسة حسني الزعيم قائد الجيش والقوى المسلحة في ١٦ نيسان. وتطورت

الامور بحيث اصبح حسني الزعيم نفسه رئيساً للجمهورية في ٢٥ حزيران ، ومحسن البرازي رئيساً للحكومة . على ان هذا الانقلاب لم يأت بالاصلاح المنشود . ولذلك قام الجيش بزعامة سامي الحناوي وانتزع السلطة من حسني الزعيم ومن رئيس حكومته في ١٤ آب . وقد شهد فارس الخوري هذه الاحداث فكان همه الاكبر ان تفرغ في قالب قانوني لكي لاتسيء الى سمعة البلاد ، ولكي لاتفسح المجال للدول الاجنبية للتدخل في الشؤون السورية فتفتح ثغرةً في استقلال البلاد . وقد صرح لحسني الزعيم ان عمله هو خرق للدستور ، ورفض التعاون معه . ولكنه عندما اتاه وزراء الدول المفوضون وقالوا انهم تلقوا تعليمات من حكوماتهم باستشارته بالوضع الحاضر لكي يعلموا اذا كانوا يعترفون بالوضع الجديد ، افهمهم ان ليس لهم ان يعلموا كيف حصل الحادث وليس لهم ان يبحثوا اذا كانت الحكومة شرعية ودستورية ، فالحكومة قائمة ومحترمة . وهكذا حرص فارس على ان يكون الوضع مصونا من الوجهة الخارجية .

وعندما تم اقصاء حسني الزعيم بنتيجة حادث ١٤ آب ١٩٤٩ ، استدعي فارس الخوري وعدد من رجالات سورية للمشاورة . فاستعرض فارس احداث الماضي وحذر سامعيه مما قد يحدثه الحادث الجديد من صدى سيء في الخارج . ثم قال انه طالما وقع فلا بد من افراغه في قالب قانوني . وتشكلت لجنة كان فارس من اعضائها . وكلفت اللجنة هاشم الاتاسي بتشكيل وزارة . ثم قررت الوزارة عقد مجلس تأسيسي لوضع دستور جديد للبلاد . وحصلت الانتخابات لهذا المجلس في ١٦ تشرين الثاني فلم تشترك فيها بعض الاحزاب لاعتقادها ان المجلس الذي حله حسني الزعيم في اول نيسان لا يزال قائماً شرعاً . واجتمع المجلس التأسيسي في ١٢ كانون الاول فكان فيه ٤٩ عضواً من حزب الشعب من اصل ١١٤ عضواً . وقد انتخب رشدي الكيخيا رئيساً للمجلس وبعد يومين تم انتخاب هاشم الاتاسي رئيساً للدولة الى ان يتم وضع الدستور .

وفي ١٩ كانون الاول ١٩٤٩ صدر بلاغ من الجيش بامضاء العقيد اديب

الشيشكلي بتنحية سامي الحناوي عن رئاسة الاركان العامة . وقد ذكر البلاغ ان السبب في ذلك هو « ما ثبت لدى الجيش من ان رئيس الاركان وبعض ممتهني السياسة كانوا يتآمرون على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظامها الجمهوري مع بعض الجهات الاجنبية » . وبعد ثلاثة ايام دعي فارس الخوري من قبل رئيس الدولة وكلف بتشكيل وزارة الا انه اعتذر وشكر ثقة الرئيس الاتاسي . ولا بد ان سبب اعتذاره كان رأيه في المجلس التأسيسي وفي الوضع الدستوري في البلاد بوجه الاجمال . وتشكلت وزارة برئاسة خالد العظم في ٢٧ كانون الاول ، واستمرت حتى ٤ حزيران ١٩٥٠ حين اصبح الدكتور ناظم القدسي رئيس الوزارة . وفي هذه الاثناء كان المجلس التأسيسي يقوم بوضع الدستور . فانتهى من وضعه في ٥ ايلول ١٩٥٠ . ثم اعلن انقلابه في نفس اليوم الى مجلس نيابي . وانتخب هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية ، وتعدلت وزارة ناظم القدسي في ٨ ايلول بحيث اصبحت اكثريتها من حزب الشعب ودامت حتى ٨ اذار ١٩٥١ .

وبينما كان فارس الخوري يعتزل العمل النيابي والوزاري منذ حل المجلس الذي كان يرأسه في اول نيسان ١٩٤٩ ، فانه ثابر على عمله في الحقل الدولي وترأس الوفود السورية الى هيئة الامم . وتابع فيها نضاله في سبيل الحق والعدالة . كما تابع عمله في لجنة القانون الدولي التي انتخب لها كما سنرى . وكان دوماً على استعداد للتشاور واسداء النصح لبلاده والدفاع عنها في الازمات الداخلية والخارجية . وكذلك كان شأنه بالنسبة للبلاد العربية ولقضية الحق والعدالة في العالم . ومنذ شهر ايلول ١٩٥٠ كان يعمل على رأس الوفد السوري في ايك سكسس . وقد رد في ٣٠ ايلول على بيان القاه سليم ساربر رئيس الوفد التركي زعم فيه ان مسألة الاسكندرون لم يعد لها وجود فقال : ان سورية لم تتنازل عن حقها في السنجق الذي ضُمّ الى تركيا دون اي وجه قانوني . وعندما اقام اتشيسون وزير الخارجية الاميركية مأدبة لرؤساء الوفود العربية في الامم المتحدة في ٩ تشرين الاول ١٩٥٠ وطلب من رئيس كل وفد ان يذكر اماني دولته بعدان اعترف بان الولايات المتحدة ارتكبت بعض اخطاء ظالمة

للعرب ، واعلن عن استعداد دولته لتوثيق علاقاتها بهم – اجاب فارس ان الشعوب العربية عادت لا تطمئن الى الكلمات الشفوية التي يتفوه بها الاميركيون ليحاولوا اقناع العرب بصداقتهم لهم ، وان الدول العربية تزداد ادراكا بان عنف القبضة الاميركية اليهودية على عنق العالم العربي اشد واخطر من الحب التقليدي الذي يضمره الشعب الاميركي لمبادىء الحرية والعدالة . ثم قال بصراحة : « نريد اعمالا ولا نريد اقوالا اذا كانت الولايات المتحدة تريد استرداد صداقة العرب وثقتهم » . وعندما اقام فيشنسكي وزير خارجية الاتحاد السوفيتي مأدبة لرؤساء الوفود العربية في ١١ تشرين الاول ١٩٥٠ اقترح الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر على فارس الخوري « عميد الدبلوماسيين العرب » ان يرد باسم الوفود العربية على كلمة فيشنسكي فقام وشكر فيشنسكي وقال انه ينتهز هذه الفرصة ليتبادل مع احد كبار رجال السياسة الروس الآراء بصراحة في مسألة فلسطين وموقف روسيا . ثم انتقد تأييد الروس للحركة الصهيونية واكد انه ما زال باستطاعة روسيا ان تكسب صداقة العرب وثقتهم اذا كانت تتقرب منهم بطريقة عملية تدل على العطف وفهم مطالبهم وحقوقهم .

استقالت وزارة ناظم القدسي في ٨ اذار سنة ١٩٥١ . وتشكلت على الاثر وزارة برئاسة خالد العظم . وكانت قضية اعتداءات اليهود في منطقة الحولة من الامور المستعجلة التي اهتمت بها الوزارة . وقد وقف رئيس الوزراء في جلسة ١٨ نيسان في البرلمان ، فالقى بياناً عن هذه القضية . وقال ان اليهود يعمدون منذ شهرين لتجفيف بحيرة الحولة وفي ذلك خرق لشروط الهدنة ، وضرر لمصلحة سورية ، لان الحولة حاجز طبيعي بين القوات السورية واليهودية ، والتجفيف يجعل لليهود نقطة انطلاق عسكرية ويقيم اليهود مستعمرات فيها . بينما شروط الهدنة تقول انه لا يجوز لاي طرف ان يقوم باي عمل يؤدي الى كسب عسكري او سياسي ، عدا ان قسماً من الاراضي التي بدأ اليهود اعمالهم فيها يقيم فيهـا في المنطقة المحرمة عرب ملاكون او اوقاف اسلامية . وقد ذكر كيف ان اليهود رفضوا اوامر رئيس لجنة الهدنة المشتركة واحتلوا المنطقة المحرمة ، واطلقوا النار على السكان العرب وعلى المخافر السورية ، واجلوا السكان العرب عن قراهم ورحلوهم الى داخل حدود فلسطين . ونسفوا دورهم . ثم ذكر كيف ان الجيش السوري لم يطلق الرصاص حتى اعجب المراقبون

الدوليون بروح الطاعة وضبط النفس التي تجلت فيهم . الى ان وقع حادث الحمة في ٤ نيسان وهو دفاع مشروع لان قوة كبيرة من اليهود قامت بهجوم غادر لاحتلال المنطقة المجردة في الحمة. فردها مخفر الشرطة المحلية. فتحرشت بالمخفر السوري العسكري على الحدود فاطلق عليها النار واعطاها درساً قاسياً . وبعد ان ذكر حوادث الاعتداء اليهودي اتى على ذكر اتصال الحكومة السورية ببعثاتها في الخارج، وبالوفد السوري في هيئة الامم، وان الوفد تقدم بالشكوى الى مجلس الامن ثم قال : « ومن دواعي الارتياح ان دولة فارس بك الخوري لم يزل عـلى راس وفدنا في منظمة الامم التي عرفته اوساطها انهُ من رجال الطراز الاول في كل القضايا القومية التي دافع عنها فكان خير مدافع . فالى الاستاذ الجليل من هذا المنبر تحية اعجاب واحترام عميق . »

وقـد قام فارس الخوري بالاتصالات اللازمة لدفع اعتداء اليهود . وبعث منذ ٧ نيسان بمذكرة وافية الى مجلس الامن حول الموضوع . وطالب بعقد جلسة مستعجلة لمعالجة الخلاف قبل ان يُصبح شره مستطيراً على الامن والسلام في الشرق الاوسط . كذلك اصدر ممثلو الدول العربية في وشنطن، على اثر اجتماع في المفوضية السورية، بياناً مشتركاً ناشدوا فيه الدول المحبة للسلام الزام اسرائيل بالتقيد بقرارات الامم المتحدة . واكد البيان تصميم العرب على رد اي عدوان يتعرضون اليه . وعقد مجلس الامن جلسة لبحث شكوى سورية في ١٧ نيسان . ونهض فارس الخوري فاستعرض الحوادث الاجرامية التي ارتكبها اليهود . وذكر طردهم دون مبرر ٩٨٠ عربياً في قرية البقارة في المنطقة المجردة . وقال ان هذا العمل مخالف لاتفاقية الهدنة، وميثاق هيئة الامم، والقانون الدولي . واستأنف مجلس الامن بحثه في الخلاف مع اسرائيل في ٣ ايار ١٩٥١ وابلغ الجنرال رايلي كبير مراقبي الامم المتحدة في فلسطين المجلس ان مستنقعات الحولة تقع في المنطقة الحرام، وهي لاتخص اسرائيل، وان عمليات التجفيف بدأت دون ان تبلغ هيئة الرقابة الدولية بامرها . وفي ٧ ايار رفع فارس الخوري الى مجلس الامن المذكرة التي وضعتها الحكومة السورية وهي تحدد موقف سورية من العدوان اليهودي . وعـلى الاثر اتخذ مجلس الامن قراره بان يقف اطلاق النار من

الجانبين . ولكن اليهود تابعوا اطلاق النار فاحتج فارس بشدة في ١٠ ايار وسلم رئيس مجلس الامن وتوينفي لي مذكرة الاحتجاج . واخيراً فازت سورية بحقها حيث اجتمع مجلس الامن في ١٩ ايار . وبعد مناقشة اربع ساعات اقر باكثرية عشرة اصوات وامتناع مندوب الاتحاد السوفيتي عن التصويت، مشروع القرار الرباعي الذي تقدمت به كل من الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا وتركيا . وينص على ان توقف الشركة اليهودية التي تتولى اعمال التجفيف اعمالها الى ان يتم الوصول الى اتفاق عن طريق رئيس لجنة الهدنة المشتركة . ويستنكر المشروع قصف الطائرات اليهودية منطقة الحمة والحدود السورية بالقنابل في ٥ نيسان . ويسمح للمدنيين العرب الذين اجلاهم اليهود ان يعودوا الى اراضيهم تحت اشراف لجنة دولية . وقد تكلم فارس اثناء المناقشات ففند مزاعم اليهود . واستشهد بتقارير المراقبين الدوليين . واتهم اسرائيل بالقيام باعمال استفزازية لتعقيد قضية الحدود .

عاد فارس الخوري الى سورية في ٣١ تموز ١٩٥١ بعد غياب طويل يقرب من السنة في المحافل الدولية . فكتب صلاح الدين المنجد احد ادباء الشام الكلمة التالية عنه ليلة وصوله قال : « غداً يهبط الوطن ، قافلا من جهاد شاق وكفاح شديد في محافل السياسة ، الشيخ الرئيس العلامة فارس الخوري بعد ان قضى شهوراً طوالا في مجتمعات الدبلوماسية واندية السياسة ينافح باللسان ويدافع بالحجة ويحبط المؤامرات ويكيد للخصوم ، لم يثنه عن الدفاع والنفاح شيخوخته ولا صحته ، ولم يضعفه ما لقيه من كيد الخصوم وضعف جهاد العرب المناضلين . . . وامس شاهد الناس نجم هذا العلامة يرف ويسطع كأزهر ما تكون النجوم رفيفاً وسطوعاً في سماء السياسة الدولية . لانه استطاع بحدة فطنته ، وقوة حجته ، وسعة علمه ، ووفرة تجربته ، وبالحكمة التي تمشي امامه ، وبعذوبة حديثه ، واتساع افق تفكيره ، وانفساح مدى نظره ، واحاطته بثقافة العصر وطبائع الامم واخبار الناس ، استطاع بهذه الامور جميعاً ان يكون سياسياً عالمياً تتحدث عنه اندية السياسة وتهفو اليه عيون الساسة . . واستطاع دولة الخوري ان يحتل في اميركا ارفع مكانة وان يرفع اسم سورية ليتردد معززاً حتى ان ترومان رئيس الولايات المتحدة قال له يوم استقبل رؤساء وفود البلاد الى هيئة الامم « انني اعجب بكم واتتبع دائماً اقوالكم والاحظ جهادكم . . . . . »

وصل « الشيخ الرئيس » الى دمشق في صباح ٣١ تموز ١٩٥١ وكانت وزارة خالد العظم قد وضعت استقالتها تحت تصرف رئيس الجمهورية لعدم انسجامها مع المجلس النيابي . كما ان اضراب الموظفين كان قد بدأ في اليوم السابق ودام اسبوعاً كاملاً . ومنذ اليوم الذي وصل فيه اتصل به رئيس الجمهورية لاحل حل الازمة الوزارية . وكلفه في اليوم التالي بتأليف الوزارة . وقد تشاور فارس مع الرئيس الاتاسي في حل الازمة



مندوبو الدول العربية في الامم المتحدة بباريس ١٩٥١ اثناء البحث في القضية المصرية .

ولكن يظهر انه لم يجد جواً ملائماً للعمل ففضل الاعتذار . وفي ٨ آب انتهت الازمة موقتاً بتشكيل وزارة حسن الحكيم . على ان الانسجام داخل الوزارة كان مفقوداً خصوصاً بسبب ما كان من اختلاف وجهتي نظر وزير الخارجية فيضي الاتاسي ورئيس الوزراء بشأن مشروع الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط الذي تقدمت به الدول

الغربية وتركيا في شهر تشرين الاول، وبسبب فقدان الانسجام بين الوزارة والمجلس النيابي مما ادى الى تقديم الاستقالة في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥١ . وعلى اثر تقديم الاستقالة دعا رئيس الجمهورية فارس الخوري الى القصر الجمهوري للمذاكرة في الموقف وتمكن فارس من ان يحمل رئيس الوزراء على سحب استقالته . ولكن هذه الاستقالة ظلت تتأرجح حتى اصبحت نهائية في ٧ تشرين الثاني . وحصلت ازمة في البلاد وكلف اشخاص كثيرون بتأليف الوزارة فلم يفلحوا الى ان ألفها الدكتور معروف الدواليبي باكثرية من حزب الشعب في ٢٨ تشرين الثاني . على ان هذه الوزارة لم يكتب لها ان تضطلع باعباء الحكم . ذلك ان الجيش كان يميل الى الرجوع الى الشعب واستفتائه في من يتولى المسؤوليات . ولذلك ادى الامر الى استقالة رئيس الجمهورية وحل المجلس النيابي . وقد اذاع العقيد اديب الشيشكلي رئيس الاركان العامة ورئيس المجلس العسكري الاعلى ، بلاغاً جاء فيه ان مجلس النواب اصبح منحلاً اعتباراً من ٢ كانون الاول ١٩٥١ « بسبب عجزه عن تحمل مسؤوليات توجيه الحكم ، وبسبب ان الاوضاع السياسية التي تواجهها البلاد توجب الرجوع الى الشعب الذي هو صاحب السيادة ، واستشارته في من يتولى المسؤوليات. » وفي ٣ كانون الاول صدر بلاغ باسم المجلس العسكري الاعلى وبامضاء رئيسه العقيد اديب الشيشكلي بتولية الزعيم فوزي سلو السلطتين التشريعية والتنفيذية وبممارسة سلطات واختصاصات رئيس الدولة ورئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع الوطني . على ان يؤازره في ممارسة السلطة التنفيذية الامناء العامون للادارات العامة والوزارات وان تصدر المراسيم التشريعية والتنظيمية وسائر المراسيم عنه وبتوقيعه . وان تصدر القرارات الوزارية بتوقيع الامين العام المختص .

كانت وزارة حسن الحكيم لا تزال قائمة عندما كلف فارس الخوري برئاسة الوفد السوري للدورة السادسة للامم المتحدة التي بدأت في ٥ تشرين الثاني ١٩٥١ في باريس . وقد غادر دمشق مساء ٤ تشرين الثاني فوصل باريس يوم افتتاح الدورة

وزاره فور وصوله عدد من رؤساء الوفود العربية والشرقية • وعندما اعتلى منبر الخطابة في الجمعية العمومية لهيئة الامم في ١٦ تشرين الثاني كانت الازمة الوزارية في سورية على اشدها . وقد بحث في مختلف المواضيع ودافع عن القضايا العربية من جهة ، وعن السلم وصيانته من جهة اخرى . وقد استغرق القاء بيانه خمساً واربعين دقيقة • فشجب مقترحات الدول الغربية (الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا) وتركيا الخاصة بانشاء قيادة للدفاع عن الشرق الاوسط وقال :

« لعل الدول الغربية اهتدت بميثاق هيئة الامم على ما يبدو لانشاء الحلف الاطلسي . اما قيادة الشرق الاوسط فليس هناك ما يبررها في اي قانون او ميثاق دولي ، فحلف الاطلسي هو عبارة عن معاهدة ارتبطت بها اثنتا عشرة دولة بمحض اختيارها ، اما مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط فانه من وضع دول فقط تحاول فرضه على شعوب هذه المنطقة بدون استشارتها . وكان يجدر بالدول الغربية ان تدرك بانه لا يمكن فرض الدفاع عن الشرق الاوسط على شعوبه من قبل اية دولة او دول خارجة عنه» . وتساءل عما اذا كان واضعو مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط يتوقعون ان يقبل العرب بالمشروع في حين يستمر وقوع الحوادث المؤلمة في السويس وفي حين تقف الدول الكبرى واضعة المشروع موقف اللامبالاة في قرار اعادة اللاجئين العرب الى ديارهم في فلسطين. وتكلم عن مأساة اللاجئين المؤلمة وقال ان الدول الغربية بدلا من المساعدة على حل القضايا العربية تجاهلت الوضع الخطير القائم في مصر وتجاهلت القضايا المتفرعة عن فلسطين • واعرب عن تأييد سورية لاماني مصر القومية . واستنكر عدم تنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة بفلسطين .

وقد تباحثت وفود الدول العربية في المقترحات الغربية للدفاع عن الشرق الاوسط وعقدت في ٢٤ تشرين الثاني اجتماعاً في مقر الوفد السوري برئاسة فارس الخوري • كذلك اجتمع فارس في هذه الفترة بالمستر ايدن وزير الخارجية البريطانية. واستعرض معه قضايا الشرق الاوسط ، وخاصة قضية مصر وسائر البلاد العربية . وتبادلا

وجهات النظر . وكان مدار هذه المقابلة السياسية الهامة التأكيد التام على ضرورة صيانة حقوق العرب واحترامها . وكان الاهتمام بقضايا المغرب العربي وامانيه من اهم نشاط فارس في هذه الدورة . فبالاضافة الى تأييده السابق وتوضيحه للقضية المراكشية من زاويتها الحقوقية الدولية ، اهتم بقضية تونس ، كما اهتمت بها سائر الوفود العربية . وقد تألفت كتلة من الدول العربية والاسيوية تضم الدول العربية الست الممثلة في الامم المتحدة وسبع دول اسيوية وهي الباكستان والهند واندونيسيا وبورما وايران وافغانستان والفليبين . وكان من مظاهر نشاطها دراستها لخطورة الموقف



فارس الخوري الى يمين الزعيم الجزائري مصلي حاج في بلدة شانتي في فرنسا اثناء انعقاد الدورة السادسة لهيئة الامم المتحدة في خريف عام ١٩٥١ ويبدو الى يمين فارس رئيس الوفد الاندونيسي فمندوب اليمن فمندوب الباكستان ، والى يسار الزعيم الجزائري الدكتور صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر الاسبق فاحد اعضاء وفد الباكستان وخلفه عبد الرحمن عزام باشا .

في تونس بعد ان رفضت فرنسا مفاوضة الحكومة الوطنية وضع معاهدة جديدة تحل محل معاهدة

الحماية ، وبعد ان بدأت الحوادث الدامية في تونس . وقد رغبت حكومة تونس في عرض قضيتها على مجلس الامن . ولكن فرنسا نجحت على ما يظهر في التأثير على سكرتارية الامم المتحدة بحيث لا تعتبر حكومة تونس مستقلة فلم تعرض شكواها على المجلس . وعلى اثر ذلك اجتمعت الوفود العربية والاسيوية وقررت مقابلة الدكتور باديا نيرفو مندوب المكسيك ، ورئيس الجمعية العمومية لهيئة الامم لتوسيطه لدى الوفد الافرنسي ليحمل حكومته على تغيير سياستها في تونس وجعلها متمشية مع مبادىء ميثاق هيئة الامم . وقد جرت المقابلة في ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٢ . وقد قام فارس الخوري بادارة الحديث فاظهر اهتمام الوفود العربية بالاحداث الجارية في تونس . وقال ان رأيها منعقد على ان اللوم سيقع على الافرنسيين بسبب اعتقالهم الزعماء التونسيين ، وضغطهم على الباي ، وان من الواجب ان تخفف الحكومة الافرنسية من الضغط في تونس ، وان تدخل في مفاوضات للتسوية . وذكر فارس ان المندوبين الذين استقبلهم الرئيس نيرفو يمثلون نصف عدد سكان الدول الاعضاء في هيئة الامم المتحدة . ولهذا لا يمكن التغاضي عن اقوالهم . وبالفعل فقد اهتم نيرفو بالامر وقابل اعضاء الوفد الافرنسي وباحثهم في المسألة التونسية . ولكن هذه الوساطة لم تنتج اثراً محسوساً . فاجتمعت الوفود العربية والاسيوية وقررت تقديم مذكرة خطية الى رئيس الجمعية العمومية واخرى الى رئيس مجلس الامن يلفتون نظرهما فيها الى ما يجري في تونس من خرق لمبادىء ميثاق هيئة الامم ويطلبون اليهما اطلاع اعضاء هيئة الامم ومجلس الامن على خطورة الوضع . ولما لم تنتج هاتان المذكرتان نتائج ملموسة اجتمعت الوفود العربية والاسيوية مرة اخرى وضمت اليها وفود الحبشة والاريتره . وقررت ضرورة رفع قضية تونس الى مجلس الامن .

وقد كان لفارس الخوري صلة بتوحيد ليبيا واستقلالها ، حيث اتخذت هيئة الامم المتحدة قرارين في ذلك في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ . وقد ولدت المملكة الليبية المتحدة في ٢٤ كانون الاول ١٩٥١ وتتألف من ثلاثة اقسام : برقة وفزان وطرابلس ، وملكها ادريس الاول السنوسي . ولا ادل على ما نالته ليبيا على يد فارس الخوري

من مساعدة وتأييد ، من البرقية التي ارسلها محمود منتصر رئيس الوزارة الليبية ، بعد وصوله الى ليبيا قادماً من باريس ، الى فارس الخوري في ٢ شباط ١٩٥٢ حيث جاء فيها : « يطيب لي الان وقد عدت الى الوطن ، ان ابعث اليكم باخلص آيات الشكر على الحفاوة الاخوية التي شملتم بهـا شخصي وزملائي اعضاء الوفد الليبي . كما يسرني جداً ان اشكركم الشكر العميق عـلى تأييدكم الحازم لقضية ليبيا في دوائر الامم المتحدة ، وعلى المواقف التي وقفتموها في جانب الامة الليبية والتي تركت في نفسي وفي بني قومي اعمق الاثر . ودمتم يا صاحب الفخامة للعروبة فارسها ودام شعبكم الشقيق في حلل السعادة رافلاً » . وقد اجاب فارس بصيغة التواضع المعتادة :

« تفضلوا يا سيدي الرئيس بقبول شكري القلبي على ما جاء فوق استحقاقنا مـن التقدير في برقيتكم اللطيفة ، مع تمنياتي الصميمة بالنجاح والسعادة لكم ولمملكة ليبيا الشقيقة ولجلالة ملكها المحبوب وشعبها الناهض وتحياتي المشفوعة باوفى المودة والاخلاص » .

فارس في لجنة القانون الدولي : اجتمعت لجنة دولية في شهر ايار ١٩٤٧ في مقر هيئة الامم المتحدة للبحث في القانون الدولي . واتخذت قراراً في ٢١ ايار ترجو فيه الجمعية العمومية لهيئة الامم تشكيل لجنة غرضها اتمام تقنين القانون الدولي وفقاً للتوصيات التي ستتقدم بها هذه اللجنة نفسها . وكانت توصيات اللجنـة الدولية ان تؤسس الجمعية العمومية لجنة القانون الدولي على اسس ثابتة . وان يكون عـدد اعضائها خمسة عشر خبيراً في القانون الدولي ينتخبهم مجلس الامن والجمعية العمومية لعدد من السنين على ان تكون عرضة للتغيير من وقت لاخر . وان تطلب الجمعية العمومية من هذه اللجنة المقترح تشكيلها وضع مشروع قانون يشتمل على مبادىء القانون الدولي وعلى مواد تتعلق بصيانة السلم والامن الدوليين من العدوان ، وتخويل اللجنة حق مراجعة المؤسسات الوطنية والدولية لجمع المعلومات او التحقق من صحتها في كل ما له علاقة بمهمتها ، وان يحال الى اللجنـة المقترح تشكيلها اقتراح يتعلق

بحقوق الانسان ومسؤولياته تقدمت به بناما ، وان تعنى اللجنة ايضاً العناية كلها بمنع الافناء الاجماعي للجماعات العنصرية او السياسية او الدينية او سواها .

وقد اتخذت الجمعية العمومية في دورتها الثانية قراراً بشأن هذه التوصيات في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٧ وهو ينص على تشكيل لجنة تعرف بلجنة القانون الدولي ، على ان تعد هذه اللجنة مسودات اتفاقيات تتبناها الجمعية العمومية ، وان لا تصبح لهذه الاتفاقيات قوة القانون الا بعد تصديقها من قبل الدول الاعضاء وان لا تكون للجمعية العمومية بموجب احكام الميثاق قوة فرض هذه الاتفاقيات وانما توصي بها فقط .

وقبل ان يحصل انتخاب الاعضاء الخمسة عشر للجنة القانون الدولي طلبت هيئة الامم من كل دولة من اعضائها ان ترشح اثنين من مواطنيها واثنين من سواها من الدول للعضوية . وقد ارسلت الدول اسماء مرشحيها وكانت حريصة على انتخاب اعضاء من رعاياها حتى انها كانت تبذل جهودا لانتخابهم بالكتابة الى دول اخرى موصية بترشيحهم . وحصل الانتخاب في الدورة الثالثة في باريس في خريف عام ١٩٤٨ ولم يقم فارس الخوري باية دعاية لنفسه ولم ترشحه دولته كما انها لم ترشح سواه . ولكن اصدقاء فارس من مختلف الدول والمطلعين على سعة علمه وفضله رشحوه . فلما فرزت الاصوات تبين انه نال ٣٩ صوتاً من ٥٩ وهكذا اصبح عضواً في لجنة القانون الدولي ولا يزال من اعضائها حتى اليوم . وقد شارك في اعمالها ودافع عن مقرراتها وفي ٥ تشرين الاول ١٩٥٠ اعلن فى اجتماع هيئة الامم في فليشنغ ميدوز قرب نيويورك ان لجنة القانون الدولي التي يشترك في عضويتها اعدت مشروع ميثاق خاص بحقوق الدول وواجباتها بعد دراسات دقيقة شاملة للمسالة وارسلت صوراً منها الى جميع الدول الاعضاء لابداء رأيها فيها . وعندما اقترحت اغلبية الدول في الامم المتحدة على ارجاء ادراج المشروع في جدول اعمال الجمعية العمومية ايدت جميع الدول العربية ادراجه وقال فارس انه ليس من الحكمة تأجيل هذه المسألة . ولما اقترح مندوب كوبا

ارجاءها تلا فارس نص المادة ١٣ من الميثاق التي تحفز الجمعية العمومية على الاهتمام بالدراسات واصدار التوصيات التي تعين على تقدم القانون الدولي . وفي منتصف ايار عام ١٩٥١ غادر فارس الخوري ليك سكسس الى جنيف للاشتراك في اعمال لجنة القانون الدولي واستغرق عمله فيها اكثر من شهرين .

مكانة فارس في هيئة الامم المتحدة وجهاده في سبيل السلم: اعترفت الصحف العربية والاجنبية بان فارس الخوري الذي كان على اتصال وثيق بالامم المتحدة باستمرار منذ نشأتها هو من المع شخصيات هيئة الامم كما ان الخصوم والاصدقاء الاجانب اعترفوا بمكانته السامية وبمواقفه المشهورة في القضايا العالمية . وعندما اقامت جمعية مراسلي الصحف في هيئة الامم مأدبة قرب نيويورك في ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٠ وكان فارس الخوري ضيف الشرف فيها تولى المستر توماس هملتون رئيس الجمعية تقديمه الى المدعوين . فوصفه بانه بطل القوة الثالثة وهو يعني الدول الصغيرة في العالم . والقى فارس كلمة قال فيها ان القوة الثالثة ليست كتلة منظمة وانما يتعين على الدول الصغيرة ان تستخدم اسلحتها وقواها في سبيل تحقيق العدالة في المسائل المعروضة على هيئة الامم وهي كفيلة بتصحيح الخطأ وتوطيد السلام . على ان فارس كان بطل الدول الصغيرة ولسان حالها فقط اذا كانت هذه الدول تدافع عن الحق وتناضل لاجل الاعتراف بمبادىء الديموقراطية والحرية . وقد كان دوماً يدافع عن مبدأ المساواة في السيادة بين الامم صغيرة كانت او كبيرة . ولذلك لا يعني ان اية دولة صغيرة تساوي اية دولة كبيرة في الاهمية من الناحية الدولية بقدر ما ان المبدأ القائل بان « جميع الناس يولدون متساوين » لا يعني بان جميع الناس يتمتعون بمواهب عقلية واخلاقية متساوية . انما معنى قوله هو تساوي الامم الصغيرة والكبيرة في الفرص بحيث لا يحق لدولة ان تسيطر على دولة اخرى سياسياً واقتصادياً . ولا يجوز استعمال ميزان معين من الخطأ والصواب بحق دولة واستعمال ميزان مختلف بحق دولة اخرى . ذلك ما عناه فارس الخوري واوضحه في اول خطبة القاها في مؤتمر سان فرنسيسكو في ٢ ايار ١٩٤٥ ونال من اجلها تصفيق مندوبي المؤتمر واعجابهم . وهذا ما ردده في خطبته في الدورة الاولى

لهيئة الامم في لندن في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٦ حيث قال : « لا نريد ان تعامل الامم الصغيرة بشكل يختلف عن معاملة الامم الكبرى ولا نريد ان تسوي الدول الكبرى المشاكل بشكل يخالف رغبات الدول الصغرى ، كما اننا لا نرغب في عودة استعمال اساليب القوة في السياسة » .

كذلك كانت خطبه دائماً ملأى بشعور الاخاء العالمي وبوجوب الاستجابة لدعوة الانسانية حتى يكون التفاهم اتم ، والتعاون اوثق . ان هذا الاخاء الذي ينشده يصبح مستحيلا اذا لم يقبل مبدأ المساواة المعنوية بين جميع الامم واذا لم يعترف بان هذه المساواة لا يمكن تحقيقها اذا كانت بعض الدول لا تزال تتمسك بفلسفة سياسة القوة المبنية على التفريق بين دول سائدة واخرى مسودة . ولهذا السبب لم ينظر فارس الخوري الى مشكلة فلسطين مثلا كمشكلة منعزلة عن سائر مشاكل الاستعمار الغربي التي تواجه العالم العربي . كما انه لم ينظر الى مشاكل البلاد العربية كشيء منفصل عن المشاكل التي تواجه العالم كله. ففلسفته الاخلاقية منسجمة وليس فيها تفسيرات ملتوية ولا تعليلات تحاول التوفيق بين ضرورات السياسة من جهة والواجب الاخلاقي من جهة اخرى . وليس فيها اي تحد للنظام الجديد الذي اذيع على العالم ، وهو نظام الامم المتحدة . وليس فيها من خلط بين الواقعية المجرمة وبين الواقعية الاخلاقية التي وحدها يكتب لها البقاء والنجاح . ولقد كان من اهم ما اشتهر به فارس الخوري في هيئة الامم حرصه على ميثاق هذه الهيئة ورغبته في التقيد بنصوصه . وقد رأيناه يعتمد على هذه النصوص ان كان في دفاعه عن قضية الجلاء عن سورية ولبنان ووادي النيل او في نضاله في سبيل عروبة فلسطين او في سائر القضايا الدولية .

كان فارس الخوري ، ومثله كثيرون ، يعتقد ان المائة واحدى عشرة مادة من مجموع مواد ميثاق الامم المتحدة تحوي جميع الوسائل الضامنة لاقرار السلام وتحرير الناس من الظلم والفقر والخوف . وكان يعقد الآمال الكبار على ان هذه المنظمة

ستكون « الاداة الفعالة لتنظيم المجتمع الانساني على قواعد العدل والانصاف واقامة قسطاس المساواة بين الدول والحيلولة دون كل اعتداء ودون تسلط الاقوياء على الضعفاء باستعلاء قوة الحق على حق القوة ومبادىء الاخاء بين البشر كافة بدون تفريق في الجنس او الدين او اللسان او اي اعتبار آخر . »

ولقد وقف بعد خمس سنوات من تأسيس المنظمة يخطب بمناسبة يوم الامم المتحدة في ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٠ ويلقي نظرة على ماضيهـا . فيذكر ما حققت ومـا عجزت عن تحقيقه من الاهداف التي بني عليها الميثاق . وما يتوقع منها انقـاذه في المستقبل [1] . فقال ان الدول العظمى رغما عن تعهدها بنزع السلاح وتحديده بالقدر اللازم للامن الداخلي والدفاع المشروع قد سارت في التسلح شوطا بعيدا كأن الميثاق دعاها الى التهيؤ للوثوب في الدفاع او الهجوم . كذلك اعلن ان ميثاق الامم المتحدة قد اقام الوسيلة لتحقيق الحريات الاربع التي اعلنها الحلفاء المنتصرون ، وعلى رأسهم الرئيس روزفلت . انهم يحققونها للبشر واولها التحرر من الخوف ، ولكن الخوف من الحرب استفحل امره بشكل لم يسبق له مثيل . وبلغ التسلح والاستعداد للحرب في هذه السنين الخمس حدا غريبا باختراع آلات التدمير العجيبة ذات القدرة على المحو والافناء حتى انتشرت في العالم حالة من الذعر والرعب والخوف على المدنية الحاضرة من المحو والدمار . ثم ذكر اخفاق الامم المتحدة في ايجاد القوة المسلحة ووضعها تحت تصرف مجلس الامن لدعم مبادىء المنظمة . وهكذا بقيت المنظمة عاجزة عن اقرار الهيبة في نفوس الدول والشعوب غير الجانحة الى السلام . ولم توجد فرقا بينها وبين عصبة الامم السابقة . ووصف اساس التوتر في العلاقات بين الدول الكبرى وهو الاصطدام بين نظامين اجتماعيين احدهما النظام الشيوعي والآخر النظام الديموقراطي

---

(١) راجـع نص هذه الخطبة في : الامم المتحدة ، دائرة الأنباء والنشر ، القسم العربي رقم ١٦ — ٥٠ .

كما يسميه اصحابه ، وقال ان التوتر بين النظامين العالميين العظيمين المسؤولين عن ادارة الدنيا قد غذته سياسة القوة على اثر الحرب الماضية بان عمد المنتصرون الى اقتسام المناطق المحتلة الى مناطق نفوذ لكل منهم • فاحدثوا بذلك ساحات جديدة لخلق الخلافات المنكرة بين ابناء الشعب الواحد ، كما فعلوا في كوريا وتريستا والمانيا . ثم ذكر الخلاف بين الكتلتين في قضية قبول طلبات الانضام الى المنظمة من الدول التي ما زالت محرومة من هذه العضوية . واكد ان استمرار هذا الانقسام الى معسكرين متعادين متنابذين يقضي على نشاط هذه المنظمة بالعقم ، وعلى كيانهـا بالضعف والانهيار ، وعلى السلام العالمي بالاختلال ، ويشيع الرعب والخوف في اقطار الدنيا .

وقـد قرر فارس الخوري في خطبته ان « افظع مساوىء منظمة الامم المتحدة كان جنوحها الى مؤازرة الغزو الصهيوني لفلسطين • واقرار انشاء دولة ذات سيادة لهؤلاء الغزاة في ارض العرب وقلب وطنهم . واستعملت المنظمة وسائلها لحماية هذا الكيان العدواني الذي خلقته العصبة السابقة، ونفذته مع توسع في مراميه هذه المنظمة الجديدة . فهي تزعم انها تقيم السلام في العالم ولكنهـا قـد خلقت مصدرا للشر والنزاع في الشرق ، واحدثت جرحاً دامياً في الارض المقدسة يتعذر عليها ابراؤه . هذه الضربة القاسية التي تلقاها العرب من المنظمة طغت على كل ما يمكن ان يقال من الفائدة التي نالتها سورية ولبنان بالتخلص من الانتداب ومـا لاقيناه من المساعـدة في تحقيق اهدافنا القومية . فان تلك المساعدة ليست شيئا مذكورا حيال هذه الضربـة القاسية التي لم يرافق محدثيهـا حس من العدل والانصاف او اي احترام لاحكـام الميثاق ومبادىء حقوق الدول وحقوق الانسان » •

على انه بعد ان يذكر مساوىء المنظمة وتقصيرها في تحقيق اهدافها يعود فيذكر بعض حسناتها مما يدل انه لم يفقد تماما ثقته في فائدتها فيقول :

« ولولا ان تكون هـذه المنظـمة منبراً عاماً يتمكن فيه المظلوم من عرض

ظلامته على الدول بمسمع من اقطار الدنيا ، ويحول دون العمل السياسي في الظلام والخفاء ، ويضمن كشف الحقائق ونشرها على الملأ ، لكان يعذر من يقول ان هذه المنظمة لم تحقق شيئا من المنافع التي كان الناس ينتظرونها منها . فهذه العلانية لها فوائد لا يستهان بها بحيلولتها دون التمادي في الظلم من الدول الحاكمة في الشعوب المحكومة ، او دون مؤامرات السوء والعدوان بين الاقوياء لهضم حقوق الضعفاء » .
ويضيف الى هذه الناحية الحسنة ، وهي علانية التظلم من الاقوياء المستأثرين ، تدخل المنظمة في بعض حوادث النزاع بما خفف من سفك الدماء. كما حصل في اندونيسيا وكشمير والبلقان ، وكذلك افاد تدخل المنظمة سورية ولبنان في خلاصها من غائلة الانتداب .

وقد كان فارس الخوري ، بالرغم مما ذكر من مساوىء المنظمة وعجزها ، لا يترك فرصة الا ويناشد فيها اعضاء اللجنة السياسية في المنظمة ، ومندوبي الدول في الجمعية العمومية ، بان يحملوا الدول الكبرى على تسوية المشاكل الدولية ، وتخفيض التسلح حتى يزول شبح الحرب . ذلك انه كان لا يزال يؤمن بفائدة المحادثات بين الدول في ظل هيئة الامم . كما انه كان يدرك هول الخطر الذي تتعرض له البشرية اذا ظلت الدول الكبرى تتسابق في مضمار التسلح . لذلك نراه يقف في ليك سكسس في ١٨ تشرين الاول ١٩٥٠ بينما كان مندوبو الدول يتناقشون في مشاريع السلم فيقول : ان السبب الرئيسي ، الذي يقلق الشعوب في احتمال قيام حرب عالمية ، يعود الى موقف الدول الخمس الكبرى . ولذلك يقترح اتخاذ تدابير شديدة لارغام هذه الدول على الاتفاق . ويؤكد وجوب عقد محادثات في ما بينها . ثم يخاطب اعضاء اللجنة السياسية بقوله : « احبسوهم ودعوهم من غير خبز ولا ماء الى ان يعلنوا انهم على استعداد للاضطلاع بمسؤولية حفظ الامن والسلام العالمي » . وتقدمت سورية والعراق على اثر ذلك باقتراح يطلب من الاقطاب الخمسة بذل جهد جديد لتنفيذ احكام الميثاق المتعلقة بتدابير الامن . ووافقت اللجنة السياسية على الاقتراح السوري العراقي

الذي يدعو الدول الكبرى للاجتماع .

ولم يمض اسبوع على هذه المساعي الا وقدّم فارس الى اللجنة السياسية اقتراحاً يمكن ان يؤدي الى اقرار السلم العالمي ، اذ يدعو فيه الى توحيد لجنتي الامم المتحدة وهما لجنة الطاقة الذرية ولجنة تحديد السلاح . وهذا الاقتراح هو تعديل لمشروع قرار سوفياتي يطلب ازالة خطر الحرب . وقد عرض فارس اقتراحه هذا على الرئيس ترومان على اثر الخطاب الذي القاه ترومان في ذكرى الامم المتحدة ، ودعا فيه الى نزع السلاح والى منع استخدام الطاقة الذرية في الاغراض العسكرية . وعلقت الصحف ومحطات الاذاعة على هذا التعديل قبل ان يقدمه فارس رسمياً الى اللجنة السياسية . وكان لايزال في جيبه عندما اذاع ترومان خطابه ثم فاجأ ترومان والحاضرين بقوله : « هذا يوقد التعديل يا مستر ترومان » . وقد كان فارس كثير الحرص على وجوب مراقبة انتاج الاسلحة الذرية حتى انه قال في احدى خطبه في الجمعية العمومية لهيئة الامم : « ان ترك انتاج الاسلحة الذرية وحيازتها واستعمالها بدون رقابة هو عمل غير انساني وشديد القسوة ويترك العالم عرضة لشبح الخوف والرعب » .

وكان من نواحي جهود فارس في سبيل السلم مساعيه في حل مشكلة كوريا وانهاء الحرب فيها . وقد شهدت الدورة الخامسة (خريف ١٩٥٠) مقترحات وآراء تقدم بها في هذا الشأن . وبعد ان مضت بضعة اسابيع على انعقاد هيئة الامم في فلشينغ ميدوز قرب نيويورك قام فارس في ١٦ كانون الاول ١٩٥٠ وصرح : « ان اهم اعمال الجمعية لم تنته بعد ، وسنكافح في سبيل جعل حركاتنا لنشر السلام في الشرق الاقصى عملية » . وعندما وافقت الجمعية العمومية على القرار الاميركي باعتبار الصين الشيوعية معتدية في كوريا وصوتت له ٤٤ دولة وخالفته سبع دول وامتنعت عن التصويت له تسع دول ، كانت سورية من الممتنعين . وقد قال فارس بهذه المناسبة ان سورية تعتقد ان القرار يعمل على توسيع شقة القتال في كوريا ، وانه لن يمنع نشوب الحرب بل على العكس يزيد في اخطارها ، وسورية لا تريد اتساع رقعة الحرب .

وتابع فارس جهوده في قضية السلم في الدورة السادسة (خريف ١٩٥١) في باريس وذكر في خطبته في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥١ بانـه لا يسمع شيئاً من الدول الكبرى يشعره بالاطمئنان بان الحرب لن تنشب او ان تسابق التسلح سوف يقف وان الاموال التي تنفق عليه ستستخدم في مكافحة الفقر والبؤس وازالة الفوارق بين الطبقات.



اللجنة القانونية التي يرأسها فارس الخوري تعرض علم الامم المتحدة الذي وافقت عليه واوصت الجمعية العمومية بقبوله (ليك سكس ٧ تشرين الاول ١٩٤٧).

وقد تنبأ بصراحة عن فشل مشروع الدول الغربية الثلاث (الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا) في مراقبة التسلح ، وكذلك المشروع السوفياتي لانه ليس في امكان احد الجانبين ان يكشف عن تسليحه بينما يلتزم الاخر الكتمان . واقترح ان يعقد

مندوبو الدول الاربع الكبرى مؤتمراً سرياً في باريس بدون مقدمات من الدعاية بغية تسوية المشاكل الدولية . وقال انه اذا انعدم الوفاق بين الدول الكبرى فان جميع مناقشات هيئة الامم تصبح بدون جدوى .

وكان سرور فارس الخوري عظيما عندما سجل مطلع عام ١٩٥٢ نجاح اقتراح تقدمت به سورية والعراق والباكستان بانشاء لجنة فرعية لتخفيض التسلح مؤلفة من الدول الاربع الكبرى برئاسة باديا نرفو رئيس الجمعية العمومية ، وقد وافقت اللجنة السياسية على هذا الاقتراع بالاجماع . وقال فارس في هذه المناسبة انه يستحيل ان تؤدي سياسة التسلح الى اقرار السلام في العالم . وقد اثبتت حوادث التاريخ ان تكديس الاسلحة لا بد وان يؤدي في النهاية الى وقوع اصطدام . واعرب عن تفاؤله بنتيجة اعمال اللجنة الفرعية التي قررت اللجنة السياسية تشكيلها للتوفيق بين مشروعات الدول الغربية وروسيا حول تخفيض التسلح وقال : « انني ما زلت اعتقد ان خير وسيلة للوصول الى نتيجة ملموسة هي الجمع بين الدول الكبرى وجهاً لوجه ، غير انه ينبغي على كل دولة منها ان تتجرد عن انانيتها لكي يصبح بالامكان الوصول الى الاتفاق الذي ينتظره العالم بفارغ الصبر ».

بهذه المحاولات لنزع السلاح وابعاد شبح الحرب وبهذا الجهاد الاسمى في المحافظة على الحضارة من الدمار انتقل فارس الخوري ، وهو لا يزال يعمل في حقل السياسة السورية والعربية والدولية ، الى اسمى الآفاق ، الى الافق الانساني الذي يجمع بين السياسة والاخلاق ، بين المصلحة والمبدأ . وقد برهن هذا السوري الكبير عن تلك الروحانية الشرقية ، وعن تلك النزعة الانسانية التي ما انفكت ارض سورية وبلاد الشرق تتحف بها العالم منذ اقدم العصور .

الفصل الثاني عشر

عبقريته وقواه العقلية والأخلاقية

عبقرية فارس الخوري: ذكر الاستاذ سامي السراج في مقال كتبه عن فارس الخوري: « انه لم يدع برجا من ابراج المآثر الا استقله، ولا فلكا من افلاك المفاخر الا احتله. فكأنه الرجل الذي عناه المتنبي حين قال:

ويترك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء انمله العشر

« فقد ترك فارس دوياً في الشرق، ودوياً في الغرب، ودوياً في العالم الجديد، لم يتركه سياسي في العهد الحديث. وقد يداخل الانسان العجب فيتساءل: « كيف تم له ذلك، وقد درج من بيت بسيط، في مزرعة متواضعة، تحتضنه طائفة مذهبية عددها نزر قليل؟ » على ان الاجابة عن هذا السؤال هي في اطواء السؤال نفسه. فالبيت البسيط الذي درج فيه قد امده بالقوة على تبسيط المرئيات وبلوغ اكناهها من طرائق غير ملتوية. والطائفة القليلة العدد قد باعدت بينه وبين العجب والاعتداد بالعشيرة دون مواهب الذات ومزايا النفس. والمزرعة المتواضعة قد اكسبه سناؤها عذوبة الروح، وصدق الفراسة، وصحة التخريج، وسلامة الطوية. والماء السلسال الذي ارتشفه من مرافق قريته قد حباه صفاء النفس، وصفاء العقل، ورقة الحديث. كما رفعته هذه العوامل كلها مجتمعة الى تكوين عصاميته وتكميلها بالعلم والدراسة

والاستقراء والاستقصاء والاستبصار . فما كاد يبلغ العشرين من العمر حتى صار مزيجا من ثقافة وعرفان واخلاق وايمان . فنال شهادة الجامعة الاميركية في بيروت متفوقاً على اقرانه ، بارزا في المعرفة والسلوك وحسن البصيرة . وقد اهلته هذه المواهب للانتقال الى صفوف الاساتذة في الجامعة مدرسا كفوءاً يشار اليه بالبنان . ويجيء الدستور العثماني وتتلوه احداث ، فينتقل فارس الخوري عضواً في مجلس المبعوثان في عام ١٩١٤ ، ثم تنشأ الدولة العربية بانتهاء الحرب العالمية ، فيتوسد مكانه عضواً لامعا في مجلس شوراها ، ثم وزير ماليتها . ويعترف به المجتمع السوري كحجة في علم الاقتصاد ، كما هو حجة في علم الحقوق ، وعلوم السياسة وفنون الادب الراقي ، ومناحي الثقافة العامة .

« وكان سبيل فارس الخوري في العمل اوصاف النبل والاتزان وحصافة الرأي وحكمة التصرف . اما الهنات الهينات فلا تحصى عليه ، لغلبة صفات الخير فيه ، ولان الاخلاص مستقر في متنه وحواشيه . وبذلك تمكن ان يحمل الناس على التسليم بنبوغه ، وسعة ذرعه ، وسلامة طويته ، وجمعه بين اطراف الكفاءات »

ويتابع سامي الدراج كلامه عن فارس الخوري فيقول انه من العجب ان يسلم صاحب الترجمة من لوم الخاصة في انداده ، حينما جاء الاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٠ وتبوأ فارس منصب وزير المال في ظل عهده ، وفي ابان جثومه . « ولقد امن علامتنا الخوري من اللوم ثقة من الرأي العام ان فارس الخوري مولع بالنفع والاجداء ، لا بالضرر والايذاء ، اذ ليس الضرر من شيمه . وقد اتفق ان اختلفنا ، نحن اليساريين في الكتلة الوطنية ، التي كان دولته من اقطابها ؛ لكنا حتى في اختلافنا ما فتئنا نقدر فضله . فلم نستشعر عليه حقدا او استيحاشا من مذاهب السياسة . اذ كانت ترمى عن قوس الاخلاص للوطن والتقيد بالمبادىء العامة والاصول التي تهدف اليها .

« ورأس فارس الخوري نقابة المحامين . فارتفع الى اوج الشهرة . ورفعها الى الذروة

بالاضافة الى منصبه كاستاذ في معهد الحقوق بدمشق • ولقد حاول الفرنسيون اقصاءه عنه اذ لمسوا في محاضراته روح التنبه والايقاظ الى طرائق الدفاع عن الحقوق المسلوبة • ولا تزال محاضراته مرجع المستنيرين وموضع اعجاب رجال القانون• وكان في الكتلة الوطنية من الذين تولوا قيادتها العليا كما كان موضع ثقة الشعب وتوقيره • وكان لآرائه في مضطرب المشاكل السياسية صفة الاحترام المرموق • وحين اختاره الشعب رئيسا للندوة النيابية كان رجل السياسة المالك عنانها ، والمانع عواصف العواطف ، فلا يسمح ان يكون النقاش الا هادئاً رزينا • ويمثل سورية رئيسا لوفدها في مؤتمر سان فرنسيسكو ، فيبهر بمقدرته ألباب المندوبين العالميين وتمنحه جامعة كاليفورنيا الجنوبية دكتوراه شرف في السياسة الخارجية »•

وينهي الاستاذ السراج كلامه عن فارس الخوري فيقول : « ولعل من فضول القول ان اذكر تألقه في ليك ساكسيس وباريس ، وكيف حمل عالم الغرب على اليقين بانه اقدر واكفأ من رأس مجلس الامن ، وادار جلساته بحذق وبراعة ••• هذا هو فارس الخوري ما فتئ• فارس الميدان في الندوات يجهر بالحق بعبارات مستطابة ، ونبرات صادقة غير هيابة ، تجمله قدرة بارعة على كشف مداخيل القوم ، وفضح الاعيبهم ، واحباط حيلهم . ولا افتراء في القول ان فارس الخوري ليس رجل سورية فحسب ، بل هو صنديد من صناديد العروبة ، وفلتة من فلتات الزمان • حيا الله المزرعة الصغيرة التي انشأته• والماء الرقراق الذي رواه • والوطن العبقري الذي رباه »•

يتضح من هذه الكلمة التي كتبها سامي السراج ان من مظاهر عبقرية فارس الخوري عصاميته من جهة ، وتعدد نواحي نبوغه من جهة اخرى • فقد ولد في قرية متواضعة في سفح جبل الشيخ • ولم ينفق ذووه على دراسته بل كان يعلم سنة ليوفر نفقات سنة ثانية في الدراسة . ولم تكن المنطقة التي نشأ فيها ولا الظرف الذي نشأ فيه يبشران بمستقبل باهر. فلم تكن هنالك معاهد، ولا مكاتب، ولا مطابع ، ولا مجلات ، في المنطقة التي نشأ فيها . ولم تكن هنالك حكومة تسهر على تشجيع

النابهين فتوفدهم الى المعاهد الكبرى ولا وسائط للتقدم ولا مراقي للعظمة · ومع ذلك فان هذا الفتى الوضيع ، في هذا الظرف الركيك ، والمحيط الضعيف ، قد شق طريقه فاصبح العلامة الكبير ، والسياسي الخطير ، والقانوني العالمي · واصبح الذي كنا نعده مستحيلاً امراً واقعاً · ونشأ فارس وتعلم وتقدم وارتقى وفاز وبرز على الاقران . ونبغ فارس في امور كثيرة فلم تضعف احدى قواه بنبوغ جارتها . ولم يكن ثانياً في فرع من فروع العلم والعرفان · بل كان الاول في كل فرع كما هو ظاهر في كل حياته. اخذ الحقوق عن غير استاذ فكان نقيب المحامين في العاصمة السورية ، واستاذ الحقوق في الجامعة ، وعضو لجنة القانون الدولي في العالم . درس السياسة لذاته ، فكان فارسها في القارات الخمس حتى نال دكتوراه الشرف فيها من احدى جامعات اميركا الكبرى . وهو الى ذلك رياضي وشاعر · ولكن شاعريته ومقدرته الرياضية لم تجنيا على اي من قواه ومزاياه . وفي هذه الناحية يقول الدكتور منير العجلاني احد ادباء الشام ومن نوابها ووزرائها السابقين : « يبقى الاستاذ الخوري دائماً نسيج وحده · لانه مجموعة من الشخصيات في شخص واحد · وكلما حاول قولا او حركة تتزاحم في فكره صور شتى . انظر اليه في المجلس النيابي : يبدأ الكلام بلهجة استاذ في الحقوق ، ويتابعه في اسلوب تعجبه النكتة ، ولكنه لا يترك على نفسه سجيتها لانه يخشى — وهو سياسي — ان يفقد النصراء . فلا يلبث ان يتراجع في ذكاء ودهاء · ثم يستمر في سيطرته على الجلسة ، ويشتد سلطانه عليها ، اذا كان بين المقترحات والمشاريع شيء يهمه ، لانه ينقلب حينئذ الى محام عنيد يفسر المسائل على الصورة التي يحب ويسخر من كل تفسير آخر · »

وقد وصف الاستاذ عباس محمود العقاد ناحية هامة من نواحي عبقرية فارس سماها « عبقرية البيان » فقال : « نكتب عن عبقرية البيان حين نكتب عن فارس الخوري الاستاذ الجليل ، مندوب شقيقتنا سورية فى هيئة الامم ومجلس الامن لان الرجل ، ولا شك ، من اصحاب هذه العبقرية في طرازها الرفيع ··· وعبقرية البيان معادن

والوان ، يعلو بعضها فوق بعض درجات ···· ومنها ملكة التعبير الصحيح ، وفصاحة الحجة ، وحضور البديهة في مواقف الارتجال ، والاتيان بجوامع الكلم في مواضعها لقوة التوفيق بين المعاني الراجحة ، والالفاظ الواضحة ، او قوة التوفيق بين الفكر واللسان ·

« وكل ما قرأناه من كلام الاستاذ الجليل ، او ما قرأناه عنه ، يدل على هذه العبقرية في ارفع طراز عرف به خطيب من خطباء هذا الزمان · فاقتياد اعنة الكلام ولو في لسان غير لسانه العربي ، سليقة فيه منذ صباه الى ايام كهولته وشيخوخته · كتب عنه زميله الاستاذ خليل بك ثابت فقال : انه لم يكن يعرف اللغة التركية فتعلمها بعد ايام دراسته ، وملك ناصيتها حتى استطاع ان يخطب فيها في المحاكم وفي المجالس النيابية · ولم يكن يعرف الفرنسية فتعلمها واصبح من خطبائها . هذا عدا اللغة الانكليزية التي تعلمها في ايام دراسته بالجامعة الاميركية في بيروت ·

« والبديهة الحاضرة في الاجوبة المسكتة ملكة لازمة من ملكات هذه العبقرية وهي عنده على قسط وافر في مقام الجد وفي مقام الفكاهة · روى عنه تلميذه علي الطنطاوي في مقال كتبه في الرسالة قال : ان تلميذاً من تلاميذه في كلية الحقوق سأله يوماً ما هي فائدة هذه الاحرف الاثوية ؟ ولماذا نقول ثاء وظاء فنخرج السنتنا ونضطر الى هذه الفلاظة ؟ فما هو ان سمع السؤال حتى اجاب متهكماً وقال : لا فائدة لها ابدا وسنتركها ونقول : « كسر الله امسالك ! »

« ومن اصغى الى هذا الخطيب المطبوع وهو يتكلم علم ان ادارة البيان قد تمت له حساً ولفظاً كما تمت له بداهة ومعنى · فصوته من تلك « الاصوات الغنية » كما يقولون في اللغات الاوربية لا تحس فيه جهداً ولا حاجة الى الجهد ، لانه يملك عليك جوانب السمع كأن له عشرة اصداء تتكرر معه كما قال الاستاذ الطنطاوي في وصفه وهو يلقي قصيدته الرائعة التي استقبل بها حافظ ابراهيم . ومن تمام ملكات التعبير انه

يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور . ولا شك ان الشعر يدخل احياناً في عداد ملكات الخطابة ، من حيث هو ابانة وتعبير . وقد سلس له قياده بهذا الزمام فجاءت له في تلك القصيدة ابيات من عيون الشعر كقوله :

احافظ حييت الشام تحية يفوق عبير الروض منها عبيرها
والبستها ثوباً من الحمد دونه حدائقها في زهوها وزهورها
وطوقتها بالحب والعطف ربقة قلادة اسر لا يفادى اسيرها

« وهو نفس في الشعر يقصر عنه كثيرون من الخطباء والشعراء . على انه يرتفع بك الى ذروة ملكات هذه العبقرية حين يفرغ الحجة الدامغة في جوامع الكلم التي تملك السمع والعقل دفعة واحدة بغير اعنات ولا مشقة على سامعيه . فليس اسهل ولا اقوى من تفنيده دعوى المندوب البريطاني في مجلس الامن حين زعم ان معاهدة ١٩٣٦ (بين مصر وانكلترا) معاهدة صحيحة ، لانها ابرمت باتفاق الطرفين ، فلا حاجة — كما قال فارس — الى دليل على بطلان هذه الدعوى . لان امة لا تقبل احتلال الاجنبي لبلادها وهي مختارة راضية . ولا اجمع ولا امنع من قوله في هذا الصدد : ان تلك المعاهدة لا تنطوي على التزام تقيد به بريطانيا العظمى . وانما هي تفويض من ملك مصر اذا شاءت بريطانيا ان تتزل عنه فليس في هذا مناقصة لحرمة المعاهدات . نعم فاذا هي لم تشأ فانما ذلك لانها ذات غرض ترمي اليه فلا تفعله لحرمة في تلك المعاهدة تحرص عليها » .

ثم يقارن الاستاذ العقاد عبقرية فارس الخوري البيانية بعبقرية لويد جورج وسعد زغلول فيقول : « ويندر ان تتم اداة العبقرية البيانية هذا التمام لغير الافذاذ النابهين . ففي عصرنا هذا لا نعرف مثلاً لهذه الاداة التامة بين فرسان المنابر السياسية غير رجلين اثنين ، احدهما نابغة الفال لويد جورج الوزير الانكليزي ، والاخر زعيمنا سعد زغلول . هما ايضاً كانا يملكان الحجة المسكتة في مقام الجد والفكاهة . كان لويد

جورج مرة يخطب عن اعماله التي ينوي القيام بها اذا هو ظفر بكرسي النيـابة . فتصدى له لحام سليط اقتحم الجمع بلوثة الفحم والشحم في ثيابه . وسأله ليحرجه قال : دعنا عن كل هذا وقل لنا ماذا تنوي ان ترخص لنا من ضرورات المعيشة ؟ فما هو سمع حتى اجاب بكلمة واحدة : الصابون ! فكان الهرج والسخرية من نصيب السائل دون المسؤول. وكان بعض المتطرفين يقصدون احراج سعد في سياق الكلام عن خزان جبل الاولياء (وكان سعد ضد انشاء هذا الخزان لانه على رأيه يمكن الانكليز من القبض على خناق مصر) فسألوه : اضار الخزان ام مفيد ؟ فاجاب سعد : هو مفيد مع اتحاد المالك . فلم يجرؤ احـد على الاعتراض على من يطالب بوحدة مصر والسودان .

« ويتشابه العباقرة الثلاثة (لويد جورج وسعد زغلول وفارس الخوري) بخاصة واحدة معهودة بين كثيرين من اصحاب العبقرية البيانية . وهي اتصال عقولهم بعقول سامعيهم في عالم العيان . فهم لا يعنون بالتأليف عنايتهم بالخطـاب والحديث . لان عبقريتهم تتصل بالنفوس في عالم العيان ، او حين تتلاقى الحياة بالحيـاة . ولم تخلق للاتصال بها في عالم الفكر المجرد ، او من وراء حجاب » .

قوة العقلية : يقول المثل العربي : المرء باصغريه قلبه ولسانه . والمراد هنا بالقلب غالباً هو العقل . ويقال والعهدة على الراوي : ان فارس الخوري نزل الى السوق ليشتري طربوشا . وعز عليه ان يجد طربوشا يسع رأسه . واخيراً وجد طربوشا حسب مطلوبه . فسأل البائع : كم ثمن الطربوش ؟ فاجابـه : ريال مجيدي . وكان الطربوش يومذاك يباع باقل من نصف هذه المبلغ . فانكر عليه فارس ذلك واعرض عنه قائلاً : لا اشتريه . فقال له البائع : اذا وجدت عند غيري طربوشا يسع رأسك فاشتره بربع ريال مجيدي ، ولكن فارس اجابه : وانت اذا وجدت في دمشق رأساً يملأ طربوشك فاقبض من صاحبه ريالين ! وتضاحكا واتفقا اخيرا على الثمن .

لقد تجلت قوى فارس الخوري العقلية بكرويـة رأسه الضخم ، وسعة دماغـه ، وارتفاع جبهته وبريق عينيه من جهة ، ومن جهة اخرى في سيرته التي تتبعناها واعماله

ومباحثه وصلاته ومناقشاته . فتطورات حياته منذ درج الى الآن هي اعلان كاف عما في ذلك الرأس من قوى . ومن أبلغ ما قيل في قواه العقلية قول علي ماهر باشا رجل الدولة المصري حيث قال : « لقد استحال هذا الرجل الى كتلة دماغية فلم يبق في جسمه اعضاء من عظم يكسوه لحم وانما اصبح كل عضو فيه مدار تفكير وبحث وعمل ونشاط . » ولقد قسم الاقدمون القوى العقلية الى ثلاثة اقسام هي الذهن والذاكرة والارادة . فالذهن عبارة عن القوى المدركة وفيها الفاهمة والواعية والحاسبة والمتصرفة والمبدعة . والفاهمة هي اولى القوى العقلية التي تصل صاحبها بالعالم الخارجي وتمكنه من ادراك اسراره . وقد تجلت الفاهمة في فارس الخوري منذ كان فتى غض الاهاب وما زالت مجاليها واضحة تبدو في ما لا يحصى من اعماله التي تدل على ان الفاهمة في اتم وضع وابدع احكام . فقد ظهرت حين كان طفلاً في المدرسة الابتدائية وكان استاذه يسأله عن عمر هذا الرجل الذي عاش ستين سنة كم ساعة عاش ، فيجيب بسرعة وبدون تردد بعد اجراء العمليات الحسابية المطلوبة . ثم تجلت في دراسته في صيدا وبيروت وفي تفوقه في مختلف فروع العلم ، وبهذه القوة شق طريقه الى العظمة والمجد .

وبعد الفاهمة تأتي الواعية فالمتصرفة . والواعية اوسع مجالاً من الفاهمة واعمق واكثر تدقيقاً . فهي تمضغ التأثيرات المادية والعقلية التي تتناولها من الفاهمة ، والمتصرفة تكمل الاثنتين فتتناول التوجيه والاستغلال . فهي تتم الاعمال العقلية وعملها الخاص التطبيقات وتصريف الامور . وهي القوة الادارية او سياسة الحياة . ومن استعرض حياة فارس الخوري ، وباحثه في علم او فن ، يدرك اولاً ذكاءه وسرعة خاطره . وبهذا يتجلى امتيازه على الاقران . فمتى بدأوا بسرد الحقائق وتلاوة القواعد ، احاط بمعلوماتهم ، وساقها تواً الى الهدف الطبيعي الواجب ان تصل اليه . وقد تجلت قواه الواعية والمتصرفة مثلاً في موقفه امام جمال باشا ، وفي المحكمة العرفية . فقد كان في ارهب المواقف واوفرها خطراً وليس بينه وبين حبل المشنقة قيد انملة .

ومع ذلك فقد كانت الواعية فيه حرة طليقة لها تمام نفوذها . قال له جمال باشا : اذهب الآن الى الديوان العرفي واثبت براءتك . قال جمال ذلك وهو متأكد بان فارس سيعدم ، اذ لا امل في البراءة ما دام الخصم هو الحكم . ولكن فارس كان حاضر البديهة فلم يضطرب ، ولم ييأس ، ولم تخنه الواعية ، ولم تتلبك المتصرفة فقال : « البراءة اصل يا باشا . فعلى المدعي اثبات اجرامي . » فلم يكن من جمال الا ان رفع يده مودعا وانصرف .

وهنالك موقف آخر لفارس الخوري في الديوان العرفي بعد ان قضى مدة في السجن يسمع ويرى ما تقشعر منه الابدان وينقطع بجانبه كل امل في عدالة المحكمة. يقف فارس الى جانب محمد الدرزي ويسمع الشهادة المكتوبة ضده ويوقعها الشاهد . وكانت المحكمة ضد فارس وهي تعمل بايعاز من جمال باشا خصمه ويلتفت رئيس المحكمة ويسأله ماذا يقول في هذه الشهادة . ويعلم فارس ان المشنقة تلامس عنقه . ولكنه لا يرتبك بل يتكلم كأنه يحاضر في معهد الحقوق . او كأنه يناقش امام مجلس الامن فيقول للرئيس « كان عليك اولا ان تجعل الشاهد يقسم اليمين وكل شهادة قبل القسم باطلة . فهل فعلت ذلك ؟ ثانيا ، لا يجوز للمحكمة ان تسمع شهادة الشاهد سراً ثم تتلوها امام المدعى عليه في حضور الشاهد وتطلب منه التصديق . ثالثا ان القانون يوجب على المحكمة العرفيه ان تطبق قانون اصول المحاكمات المعمول به في القضايا الجزائية . فانا اطلب من المدعي العام ان يقوم بواجبه ويطلب من الشاهد ان يقسم اليمين » . هذه القواعد استحضرها فارس واملاها على المحكمة هادئا رابط الجأش . فافحم الرئيس وارتبكت هيئة المحكمة وقررت ان يقسم الشاهد اليمين . ويقسم محمد الدرزي اليمين ويرى عيني فارس تتألق كأنها ضوء صاعقة منقضة . فيذوب قلبه هلعاً ويرتجف ويصيح « والله ان هذا الرجل بريء ، دخيل الله والسلطان ، كل الشهادة التي قرأها الكاتب كذب ! » . ويأمر الرئيس باخراج فارس من المحكمة ويتدبر الامر مع الشاهد، ثم يدعى فارس ثانية ويعود

الشاهد فيؤكد ان شهادته صحيحة . وتستجوبه المحكمة فقرة فقرةً وهو يؤيد ما يذكرونه . وفي النهايـة يسألون فارس ماذا يقول في ذلك . ولم يكن الامر سهلا بعد ان اتضح تعرض المحكمة . وكانت الثورة العربية قائمة والاتراك تزداد نقمتهم على احرار العرب . ولكن حتى في هذا الموقف يثبت فارس ويحول مجرى الشهادة بما اوتي من بلاغة ووعي وحسن تصرف · فيتكلم اكثر من ساعة امام المحكمة . حتى بكي الشاهد وصاح مستغيثاً وقال : « الرجل مظلوم وشهادتي كاذبة . استغيث بالله وبانبيائه وبمولانا السلطـان . لا اقدر ان اتحول عن الحق . عذبوني ، اقتلوني، افعلوا ما شئتم ! » · وكانت النتيجة انه حصل ما يندر ان يحصل في محكمة عثمانيـة اثناء الحرب · اذ اتفق اعضاء المحكمة سرا على تبرئة فارس مهما كان الايعـاز من جمـال باشا · وتواطئوا على كتم الامر عن رئيس المحكمة الى مـا بعد المذاكرة لئلا يطلب الرئيس من جمال باشا سحبهم وتعيين سواهم · واطلق سراح فارس نهائياً فكان ذلك بدون رشوة وبدون محسوبية · وانما كان بالاحتفـاظ بالوعي والاتزان وحسن التصرف .

اثبت هذا الحادث في عهد جمال باشا كما اثبتت حوادث اخرى عديدة في عهد سواه ان القوى التي في راس فارس الخوري من الدرجة الاولى في المتانة والاقتدار . فهـذا الوعي ، وهذه القوة المتصرفة ، هما موطن الرجولة في اسمى نبوغها تضمنان المصلحة والكرامة وتشكلان ركن السياسة . على ان هذه القوى لم تظهر فقط في حياة فارس السياسية . فهو رجل مدبر مقتدر يقود حياته ولا تقوده واجرا.انه حليفة الرشاد حتى انه يتعذر عـلى ارباب المكائد الايقاع به واصابته باي اذى . وقد كان ذلك شأنه في عهد الاتراك وفي عهد الحكم الفيصلي وفي عهد الافرنسيين وفي دور الاستقلال. وقد روى الدكتور احمد السمان الذي خلف فارس الخوري في تدريس الاقتصاد والمالية في معهد الحقوق ان المفوض السامي الافرنسي دي جوفنيل زار معهد الحقوق في دمشق في ابان الثورة السورية في عام ١٩٢٦ وما ان دخل الى الصف ووقع نظره عـلى العلامة

الحوري حتى ابتدره قائلاً : وما شأنك هنا ؟ فاجاب فارس : اني اعلم ! وقال دي جوفنيل : وهل تعلم الطلاب الثورة Révolution ؟ فاجاب فارس : بل اعلمهم التطور Evolution ! فاسقط في يد المفوض السامي وبدا على وجهه الغيظ المكظوم وزاد في خجله وغضبه ان الطلاب جميعهم استقبلوه بادبارهم ظهرياً .

اما ذاكرته فانها قوية جداً . ولقد قسم العلماء الذاكرة الى اربعة انواع : الذاكرة السريعة الحفظ مع استقرار المحفوظات فيها طويلا . والذاكرة البطيئة الحفظ مع استقرار المحفوظات طويلاً . والذاكرة السريعة الحفظ السريعة النسيان ، والذاكرة البطيئة الحفظ والسريعة النسيان . وهذه الاخيرة اسوأ انواع الذاكرة . بينما النوع الاول هو اقوى انواعها ، وذاكرة فارس الحوري من هذا النوع . فهو يذكر ابسط الحوادث في عهد فتوته ، وفي ايام دراسته ، وهو يتلو القصائد التي حفظها في ذلك العهد بدون تردد ، كأنه حفظها بالامس . هذه الذاكرة التي يتحلى بها افذاذ الرجال في كل علم وفن ، قد مكنت فارس الحوري من تحصيل اللغة الفرنسية والتركية والحقوق بذاته . وهي التي اتاحت له ان يقوم من فراش المرض ليرتجل في ليك ساكسس خطبة في الدفاع عن عروبة فلسطين مدة ساعتين ونصف حملت مجلس الامن على رد توصيات الهيئة العمومية للامم المتحدة المتعلقة بالتقسيم .

ومن مظاهر قواه العقلية سداد رأيه . ومما يمكن ذكره في سداد هذا الرأي ايماؤه الى الملك فيصل ، قبيل مبايعته ملكاً على سورية ، بلزوم الاعتماد على اعتراف الدول العظمى او احداها على الاقل ومؤازرتها ، والا كانت العاقبة سيئة . وقد حصل ما كان يحذره فارس وانتهت ملكية فيصل بعد خمسة اشهر من اعلانها . كذلك نصيحته الى علاء الدين الدروبي قبل حادثة خربة الغزالة اذ حذره من العمل باشارة المفوض السامي الافرنسي ونصحه بان لا يذهب الى حوران . وكانت النتيجة ان حصل ما توقعه فارس وقتل علاء الدين الدروبي ، ومعه عبد الرحمن باشا اليوسف . ومن مظاهر اصالة رأيه موازنته بين الفرار والاستسلام عندما دعي الى المحكمة العرفية

في عهد جمال باشا . فقد اوعز اليه متصرف حوران ان يهرب ويلجأ الى جبل الدروز . ولكنه فضل ان يستسلم بالرغم مما ينتج من الخطر على حياته . فقد فكر بانه اذا هرب وقبض عليه اتخذ هربه دليلاً على جرمه وهو بريء . ثم فكر بانه قادر على الدفاع عن نفسه وان له اصدقاء يمكنهم دفع التحامل عنه . ولذلك جابه المحكمة العرفية وفاز بالبراءة . كذلك من مظاهر سداد رأيه المقترن باللباقة قيامه باحباط مساعي الافرنسيين لتعديل معاهدة ١٩٣٦ تعديلاً يخل بسيادة سورية . فقد عرض على المجلس النيابي سلسلة قرارات بنتيجة مناقشة بيان جميل مردم بك رئيس الوزارة في جلسة ٣١ كانون الاول سنة ١٩٣٨ وافق عليها النواب بالاجماع . وقد قطعت هذه القرارات الطريق على كل من يرغب في تبديل المعاهدة وفي تحويل الامة عن رغبتها في الاستقلال التام . واننا لنرى فارس الخوري صاحب الرأي السديد في كل ما شغل من المناصب ، وفي كل ما شرع من الاعمال . فاذا رجعنا الى تاريخ البرلمان السوري الذي راسه طويلاً ، وكذلك اذا راجعنا اقتراحاته في هيئة الامم وفي مجلس الامن ، فاننا لا نقف على رأي ضعيف او سعي باطل . وخطبه ومناقشاته في قضية الجلاء عن سورية ولبنان وفي الدفاع عن قضية مصر وعن عروبة فلسطين تشهد بذلك .

صفاته الاخلاقية : يحتاج الانسان مع مواهبه وقواه العقلية الى مبادىء واخلاق متينة . ذلك ان المواهب والمزايا لا تضمن كرامة الانسان اذا اعوزها الخلق الحميد . وفارس الخوري ليس بصحته وعقله وذكائه واقتداره فقط ، بل قد لازم هذه الصفات ما هو من ضروريات الرفعة وهو المبادىء والاخلاق . فما هي المبادىء والاركان التي بنى عليها شخصيته ورفعته ، واستند اليها في محاربة المشاكل والصعاب؟ انه يخاف الله ويخشاه ، فهو امين على ما وهب الله ، يصون هذه الهبات ويستغلها في طريقها الواجب . ومن صفات فارس الخوري الحرص ، فهو حريص على صحته وماله وعقله وعمله وقوته ووقته ، حريص على الحق والقانون والصواب ، والحرص يرافق حياته من المهد . ففي المدرسة يشهد رفاقه بانه لم يكن كاكثر الرفاق مبذراً مستهتراً

ولم يضع اوقاته في الملاهي والعبث . كان يغتنم كل فرصة للمطالعة والتأليف والتفكير وقد عرف بذلك بعد ستين سنة في هيئة الامم المتحدة حيث كان يقضي ما قبل اوقات الجلسات وما بعدها في حديث مفيد ، او في تحصيل علم جديد ، او في عمل انساني مجيد . وهذا شأن اعاظم الرجال اوقاتهم اثمن من الجوهر .

ليس فارس الخوري بخيلاً ولكنه حريص . والحرص من الفضائل التي كان لها اليد البيضاء في رفعته . فهو لا ينفق الدرهم الا في ما يفيد ولا يضر ، فلم ينفق على المسكر ولا على الخلاعة . تلك امور لا صلة لها في اوشاج حياته . له تسلية هي المطالعة وله خلان وهم الكتب . فاذا خلا لنفسه فانه يطالع ويراجع . والمال جزء من الذاتية ، وحسن استعمال المال قاعدة من قواعد الحرص على الذاتيه والاحتفاظ بالكرامة . ولا عاقل في الارض يزري بكرامته ويبذر امواله . وفارس الخوري لم يبذل الاموال لاقتناء المدح والتقريظ . وثقته بما في نفسه ترفعه فوق شهوة الشهرة والامتداح . وليس حرصه على ماله ومواهبه بحرص ضعيف يخشى الحاجة ، بل حرص عاقل يقدر الواجب . وقد اشتهر وهو في رئاسة المجلس النيابي بحفاظه الشديد على مالية المجلس . وحدث ان راجعوه بشأن شراء دواة فخمة لاحد النواب في احدى اللجان فقال ولمَ الدواة ؟ قالوا للكتابة وللنائب الفلاني . قال : ولمَ يحمل النائب قلمه في جيبه العليا فليكتب به، ولا حاجة لهذه الفخفخة الفارغة !

عرف فارس الخوري في الاوساط الدولية بانه رجل العدالة والانصاف واعطاء كل ذي حق حقه. والعدالة كما بحثها افلاطون في كتاب الجمهورية هي اقتصار الانسان على ما يخصه وعدم تدخله في ما هو من خصائص الاخرين ، والتعدي هو تجاوز المرء حده . فالعدالة تصون كمال النفس وتؤدي الى سعادة الحياة فمن نبذ العدالة لا يكون حكيما . وفارس الخوري « صاحب الدولة » ليس لانه كان رئيس وزارة او رئيس مجلس نيابي . بل هو صاحب الدولة بالمعنى الفلسفي الافلاطوني،

صاحب الدولة المثالية ، صاحب العدالة بمعناها الفلسفي اي الذي يقتصر على ما هو من اختصاصه ولا يتدخل في ما هو خارج حدود اختصاصه . هذه هي عدالة الرجل الحكيم ، وبها ربح محبة الناس وثقتهم واعتبارهم . فهو سيد نفسه ، بعيد عن الدعوى الفارغة والفضول ، وهو رجل قانون سلاحه الحجة والبرهان، وهدفه الحقيقة والاقناع. عند هذه الحدود يقف ولا يدخل في ما وراءها او ما يغايرها ، فهو ليس رجل ثورة ، ولا يستعمل القوة في نشر آرائه ، وليس العنف من مبادئه ، وهو لم يكد لاحد ، ولم يتدخل في مصالح الآخرين ، ولا رشى ولا ارتشى ، ولا احتال ، ولا تملق . لان هذه العيوب من صفات الضعاف ٠ اما الرجل القادر على سياسة حياته واعماله فلا يعمد الى العوج ٠

وعرف فارس الخوري باستقلال ذاتيته . ولكل انسان ذاتية او شخصية ، هي الحيز المعنوي الذي يصون ضمنه كيانه الذاتي ، ولكل ذاتية حدود تصان ضمنها ٠ فالمرء اولى بحق نفسه . وله خصوصيات لا تدخل في متناول غيره ، وله حرمة وعزلة واسرار . والناس في سلم الاستقلال الذاتي في درجات عديدة . وقد اكد الذين عرفوا فارس الخوري منذ حداثته ، وخلوا به في موضوعات شتى ، انه لم يعرض مرة بشيء من خصوصياته ٠ وهو يزور ويزوره الكثيرون ويحدث كثيرا ويسمع كثيرا . ولكن لم يسمعه احد يحدث في بيته او عمله او ماله . وهو متواضع الى ابعد حدود التواضع لكنه لا يعرف التبذل اليه سبيلا ، والذي يجعلك تتهيبه هو ذلك الحاجز المتين الموضوع بين ذاتيته وبين كل انسان ٠ على ان تواضعه يعزز ذاتيته فهو لا يتصاغر امام جليس. ولم يشعر احد ممن جالسه بانه اعظم منه ذاتيةً ولم يذكر له موقف ذل لدى كبير او صغير ٠ ولذا كان على الدوام سيداً مهيباً ، واثقاً من نفسه ، شاعرا بذاتيته ، محتفظاً بمكانته ٠ يحدث عن سعة وفيض علم واختبار ، ولا يعرقله ضعف ولا قصور ؛ ولم يلامس موكب النقص نفسه ، فلم يحسد ، او يزاحم ، او يغتاب ، ولا تحسر على نعمة نالها غيره ٠

ومن صفاته الهامة اتزانه وهدوء روحه، والاتزان صفة ملوكية لا يمتلكها السوقة والغوغاء. تجلت هذه الصفة في مقابلته للجنرال ساراي يوم ذهب للتسليم عليه وكان فارس يومذاك نقيبا للمحامين. وكان ساراي مفوضا ساميا في سورية ولبنان. كان الفرق كبيرا بينهما في المنصب، وكذلك في الاخلاق. فساراي ترق ارعن، وفارس رصين هادىء الروح. طلب ساراي من فارس وصحبه الخروج من القاعة لانهم كانوا قد احتجوا على المحاكم الاجنبية. ولكن فارس ترصن واجاب بكبر وعظمة: «جئنا بدعوة رسمية من مندوب فرنسا بدمشق لتكريم المفوض السامي الافرنسي. ولن نخرج ما لم نتم واجبنا؛ ولو انا غير مرغوب فينا فما كان مندوبكم دعانا». قال ذلك بدون غضب، ولا انفعال. فما كان من ساراي الا ان اجاب «اذا كنتم لا تخرجون فانا اخرج!». وبرح القاعة الى غرفة مجاورة وانتظر الى ان خرج فارس وصحبه. مر اكثر من ربع قرن على هذا الحادث ولم يندم فارس على ما قال. اما ساراي فقد ندم في اليوم التالي. واعترف لنقيب المحامين في حلب بانه اساء فيما فعل وطلب تبليغ فارس اسفه. كذلك تجلى اتزان فارس عندما استقال هاشم الاتاسي من رئاسة الجمهورية في سنة ١٩٣٩، بسبب تجاوز فرنسا صلاحياتها. وعندما ورد في ذات اليوم قرار المفوض السامي «بيو» بتعليق الدستور احتفظ فارس بهدوئه ورصانته وفطنته. وكتب احتجاجا الى المفوض السامي يعتبر آية من آيات السياسة والقانون وحسن التصرف. وقد اوردناه في غير هذا المكان. ويمكن ذكر موقف فارس في البرلمان يوم تذمر بعض النواب من بعض اجراآت وزارته واتهموه بمخالفة الدستور. سمع فارس الاتهام الشديد فلم يحنق، ولم يغضب، بل امتلك نفسه ازاء المثيرات وخطب موضحا الامور وبرهن على انه محتفظ بالدستور ولا يخالف له نصا ولا روحا. فازدادت مكانته في عيون كل من حضر الجلسة. هذا هو شأن فارس في المواقف المختلفة، هادىء الروح، مالك عنان طبعه، يصحب ذلك الهدوء ذكاء وابداع وفيض في الروح وحب للخير، وبيان واضح وحجج مقنعة لا تستند

الى سخط ، ولا تتسلح بتهديد . ففارس محبوب ومحترم ليس لانه صياح سخاط بل لانـــه هادیء الروح وقور ، ينطوي ولا ينكسر ، يقنع الخصم ولا يصخب . ولا يعتقد فيه سامعوه غير الاخلاص . روى لطفي الحفار عن ذكريات منفاه مع فارس في الحسجة [١] قال : « واني لاذكر ايام منفى الحسجة اذ كنا واياه والمرحومين سعد الله الجابري وفوزي الغزي كيف كنا ذات يوم في تلك « الخرابة » التي خصصت لمأوانا وهي مؤلفة من لبن وطين . ففاجأنا وابل من الرصاص يساقط من حولنا على شكل تجفل له القلوب وترتعد الفرائص . فاذا بالاخ فارس بك يصيح بأعــلى صوتــه : « يا ويلهم ... انهم يقصدون الى قتلنـــا ... تبسطوا الارض ... تفرقوا ... خذوا وضعكم العسكري » . وما شعرت وهو يلقي هذه الكلمات الا انه القائـد الساحر ، يلقي صارم الاوامر . ثم ما زال الرصاص ساقطاً علينا نحواً من ربع ساعة بحجة ان هنالك فتنة بين الجنود أدت الى تبادل اطلاق النار في مــا بينهم ، ولكن الرصاص كان موجهاً الينا ولا يتحول عنا . . . ولم نستغرب مثل هذه الدعوى وكم للفرنسيين من مثلهــا ، وكانت عين الله ترعانا فنجونا من كيد الكائدين » . هذا هو شأن فارس تلقاء الكوارث ، يتلقاها برباطة جأش وهدوء .

كذلك عرف فـــارس الخوري بكبر نفسه وابائه والمحافظة عــلى مبدئه فهو لم يتوسل الى نيل المناصب بوسائل منكرة او غير قانونية بل كان يدخل الامور من ابوابها . وفي اغلب الاحيان كانت الوظيفة تطلبه ولا يطلبها . فلما صار رئيس وزارة لم يكن ذلك بسعيه ورغبته بل قبلها شبه مرغم نزولا عند رأي لم يمكنه رفضه وفي ذلك يصح قول افلاطون : « ان الحاكم الجدير ليس الذي يسعى الى منصة الحكم

---

(١) انظر مجلة « كل جديد » عدد كانون الاول ١٩٤٧ ص ٥

بل الذي يتهرب منها » . وعندما انتخب نائباً ورئيساً للمجلس النيابي في عام ١٩٤٧ كان غائباً عن سورية في مجلس الامن . فلم يكتب لاحد بانتخابه للنيابة او الرئاسة ولكنه مع ذلك انتخب نائباً بالتزكية وانتخب رئيساً للمجلس بالاجماع . وقد طلبت منه الحكومات على اختلاف نزعاتها ان يمثل سورية في اجتماعات هيئة الامم المتحدة وفي مجلس الامن وهو لا زال يقوم بهذه المهمة حتى كتابة هذه السطور . ومن امثلة محافظته على مبدئه استجوابه للحكومة العثمانية عن مصير النائب الارمني زهراب في مجلس المبعوثان ، كما مرّ معنا . ومعارضته للحكومة في الامور التي تضر بالمصلحة العامة وحقوق العرب خاصة . وقد روي انه طلب في مطلع الحرب الكبرى من طلعت باشا ان ينقل اخاه الاصغر فائزاً من جبهة القفقاس الى جبهة اخرى نظراً لعطفه على اخيه الذي كان يعتبره بمنزلة الابن بعد ان اهتم بتربيته والعناية به . ولكن طلعت طلب منه لقاء ذلك ان لا يعارض في بعض القضايا التي تبنتها الحكومة . على ان فارساً لم يقبل المساومة ولم يتوقع بان يتقاضاه طلعت بدل معروفه . ورفض مبدأ المقايضة خدمة بخدمة . وكان اخيراً ان اجاب طلعت باشا طلب فارس الخوري بدون ان يعدل فارس عن معارضة الحكومة . كذلك يظهر كبر نفس فارس واباؤه حين كلم الجنرال غورو في تلك المأدبة التي اقيمت في قصر المهاجرين في عام ١٩٢٠ وقد سمع غورو يذكر اسم الملك فيصل بما يشعر بالتشفي والاستصغار ، فقال له فارس ما معناه : « نعم لقد حل هذا القصر قبلكم اشخاص مختلفون ولكنهم ذهبوا ونحن باقون » . وكأنه يقول له : « لا تتعاظم ولا تستصغر من ذهب فستكون انت ايضاً من الذاهبين » .

ومن اركان رفعة فارس عفافه . والعفاف يكون في نواح كثيرة منها العفاف فيما يتعلق بالمسكر والمال والمرأة . والمعروف عن فارس انه كان عفيفاً في جميع هذه النواحي . وقد لزم العفاف ففاز بالصحة والمال والكرامة ، وصان عقله وحريته وضميره ونفع اهله وصحبه وبلاده والامة العربية جمعاء . فالعفاف مجلى العظمة واساس الفلاح

وعنوان الكمال . وهو شعار المكانة والرسوخ في القوة الروحية . ولقد أكثرت كتب الادب في امتداحه وايدت ذلك الكتب السماوية خدمة لمصلحة الانسان .

ومن صفات فارس البارزة صدق مودته . والمودة شأن عظيم في الهيئة الاجتماعية وهي من الاركان الاساسية في مكانة اعاظم الرجال ، لان صدق مودتهم يعلي منزلتهم في القلوب ويزيدهم نفوذاً ونفعاً . وبقياس رفعتهم تزداد مودتهم قيمة . وان الجمع بين سمو المنزلة والمراتب السياسية وبين المودة والاخلاص ليس بالامر السهل ، وقليلون هم الذين يتمكنون من الجمع بين الامرين . وفارس الخوري هو من اولئك القلائل . ومن شواهد صدق مودته علاقته بالدكتور عبد الرحمن شهبندر . فقد عرف فارس والشهبندر صديقين اصيقين مدة اربعين عاماً ، جمعت بينهما اواصر الثقافة والمساعي الوطنية منذ عهد الاتراك . ولقد تعرضت صداقتهما مراراً للانقباض والابتعاد ولكن ليس من عامل يقوى على نزع المودة من قلب فارس الخوري . وحين برز بعض الاختلاف في الرأي بين الشهبندر والكتلة الوطنية التي كان فارس عرقها النابض ، كان يتلقى انتقادات صديقه بصدر رحب ومودة صادقة . ولما ذهب الى باريس مع وفد المفاوضة لعقد معاهدة ١٩٣٦ ، اصر على اعادة المبعدين الذين كان من اولهم عبد الرحمن الشهبندر ، وكان يوافيه يومياً بما يتم من مفاوضات بين الوفد السوري ورجالات فرنسا . وكان يفعل ذلك ليس من باب الالتزام والترابط السياسي بل من باب المودة والاخاء . ولما عاد الشهبندر الى سورية كان يدعوه فارس « الزعيم الاوحد » وعرض عليه ان يتنازل له عن رئاسة البرلمان . وحصل بعد ذلك توتر شديد بين الشهبندر والكتلة الوطنية لكن ليس بينه وبين فارس . وعندما حالت الكتلة الوطنية دون دخوله دمشق واوجبت عليه البقاء في بلودان ، لم تكن لفارس يد في الامر ولا احب هذه المنازعة . وابلغ الشهبندر كل ما رآه ضروريا لحفظ كرامته . وغادر الشهبندر الى مصر ثم عاد الى دمشق يمارس مهنة الطب . ولكن ائمة مجرمين اغتالوه فبكاه صديقه فارس وذرف على وفاته الدمع السخين .

وكان لفارس صديق حميم من اهل الادب في دمشق يدعى انيس سلوم . وكان فارس يوقره ويلوذ بـه عشرات السنين . توفي انيس سلوم وترك في بيته اختا عجوزا مصابة في رجلها تعجز عن المشي واخا عاجزاً . واظلمت انوار الانس في قلب الاثنين بعد ان كان بيتهما في حياة اخيهما كعبة القصاد . واصبح لا يقرع بابهما الا القلائل ممن حفظوا عهد الصداقة مع اخيهما المتوفي . ويعود فارس الخوري من مجلس الامن ويهرع الناس الى بيته للسلام عليه . ولا يكاد يبقى له وقت للعزلة والانفراد ويتعذر عليه رد الزيارات نظراً لاعماله المتراكمة . ولكنه وهو في هذه الحراجة من الوقت يذكر الاخوين العاجزين ويذهب لزيارتهما . فيذرفان الدموع لهذه العاطفة الرقيقة التي بدت منه وللمودة التي تجلت في زيارته الطويلة .

اما نزاهة فارس الخوري فقد تجلت في كيفية ارتقائه المناصب حتى بلغ الذروة ، وفي تصرفه في تلك المناصب وكذلك في حياته واحاديثه . ولقد ذكرنا ان وسيلته الوحيدة لبلوغ المناصب كانت جدارته واهليته وانه لم يستغل وظيفة، ولا حاول ان يجلب لنفسه نفعاً. وهو لم يعمد الى الشتم والقذف والدعاية ليرفع نفسه على الاخرين او ليبلغ منصباً مستحباً . ولا يذكر اصدقاؤه انه عاب انسانا ولا اغتاب احدا من العاملين معه . وفي احاديثه ترى النزاهة مجسمة . ولا ترى فيها اثر دعاية او مغامز او حزبية . فهو يدعو الى الحق والنظام والخير . وكما انه لا يتناول الشخصيات بقلمه فانه كذلك لا يتناولها بلسانه . والسر في نزاهة فارس انه يتسامى بذاته . فلا يستغل الآخرين ليعلو عليهم او ليسفلوا عنه . ذلك مظهر ضعف يأتيه عديمو الجدارة وصغار النفوس .

ولقد كان فارس الخوري اميناً في كل ما زاوله من الاعمال ، وما تبوأه من المناصب . والامانة شرط الكفاءة الاساسي في من ينبري لخدمة الانسانية . وعديم الامانة عديم الجدارة ، وغير اهل للكرامة . ولا يصلح لمناصب الدولة غير الامناء . وقد يحتمل كل عيب او نقص في المرء الا عدم الامانـة . كان فارس الخوري امينا تلميذاً ، واستاذا ، ومديراً ، ومحامياً ونقيباً للمحامين ، ووزيرا ، ونائبا ، ورئيسا

للمجلس النيابي، ورئيساً للوزارة، ومندوبا في الهيئات الدولية . كان اميناً لعائلته ولجيرانه، ولموكليه، ولامته . ولقد اتهم كثيرون من رجال السياسة بالارتكاب واستغلال الوظيفة والخيانة. ولكن اسم فارس الخوري لم يرد يوما في لائحة ارتكاب. ولم يتهم قط بعدم الامانة . لما وقف امام جمال باشا في عام ١٩١٦ قال له : « لقد خدمت الدولة كاتبا ونائبا، ولديكم مجلس حربي جمع كل شاردة وواردة من من الخيانات والارتكابات، وعندكم اسماء الوف ممن لكم في امانتهم ريبة فهل ورد اسمي في كل ما اجريتموه من التحقيقات ؟ » وقال المحقق : « ان مثلي لا يسأل عن هذه الوشاية الملفقة . لانني اكبر من ان اسعى في الظلام » . كان فارس ينتقد الدولة العثمانية في مجلس المبعوثان بحضور وزراء الدولة واركانها . ولم يخطر ببال وزير ان يحقق في تهمة ارتكاب مع فارس الخوري . وان خصمه الوحيد الذي اثار عليه القوم واراد ازالة نعمته عنه قال فيه ما يلي : « ان فارس الخوري يظهر في مجلس المبعوثان في كل جلسة وفي كل مناقشة ويبدي مقدرة وعلما . وانتم (يخاطب بعض النواب) اصبحتم لا شيء بالنسبة اليه . لانكم وقد ارتفع عنكم صرتم منخفضين، فيجب ان تخفضوه لكي ترتفعوا » . هذا ما قاله خصم في فارس فلم يتهمه بارتكاب او خيانة او تقصير او عيب .

كان فارس يهتم بالخير العام ولذلك نظر الى الامور نظرة شاملة . فلم يتناول المفردات دون المركبات ولا الجزئيات دون الكليات . ولا يقصر بحثه ولا نظره بالحاضر والقريب بل تمتد اشعة نظره الى المستقبل والبعيد . ويتناول اطراف المسائل وشواردها . لما كان رئيس الوزارة السورية كان الانتقاد الوحيد الذي وجه الى سياسته هو اللطف واللين في معاملة المخالفين، فخطيئته لم تكن انه ظلم ولكن انه رحم . وهو يؤثر دائما في حل المشاكل ان تكون بالحسنى والتفاهم دون العنف والارغام . وهذا ناشيء عن النظر الشامل الذي يتناول الخير العام .

ومن صفاته المعروفة ثقته بنفسه. وهو واثق بنفسه لا اعتداداً بالذات وتكبراً،

بل شجاعــة واستقلالا . لقد كان يثق بنفسه عندما ذهب الى مجلس المبعوثان نائبا ولم يتعلم التركية عند انسان بل درسها لنفسه . واخذ يخطب فيها ويجابه الحكومة الاتحادية صاحبة الامر والنهي بدون خوف . كذلك كان واثقا من نفسه عندما بقي معتقلا خمسة شهور في عهد جمال باشا ولم يوكل عنه محاميا ولا حاول ان يبذل المـال لرشوة احد . وقد ساعدته هذه الثقة بالنفس على الوقوف في وجه اقطـاب السياسة الاوروبيين والاميركيين يدحض حججهم ، ويفسد خطتهم ، في المجـالس الاوروبيـة والدوليـة ، ان كان في دفاعـه عن الجلاء عن سورية ولبنان او عن مصر ، او عن فلسطين العربية . لم يكن له مشير ولا نصير وانما كانت ثقته بنفسه مصدر شجـاعته وحزمه . وهذه الثقة لم تكن مبنية على الجهل والدعوى الفارغة . وانمـا كانت عين الحكمة . لانه جرب نفسه وعرف حدود مقدرتها . ففهم انـه يقدر ان يثق بهـا فوثق ولم تخيبه ثقته .

وثقة فارس الخوري بنفسه اعطته صفـة الاركان والاطمئنان والوقار . فهو لا يُحمل بأي ريح . ولا تراه ابداً قلقاً مضطرباً ، يخشى ما تخبئه الاقدار ، او ما قـد يصيبه من ماكر غدار . فاذا جالس او حادث لزم الوقار والاتزان ولذلك لم يؤثر عنه الهزء والتهكم في كل نكاته ، بل تغلب فيه صفة الجد حتى في مباذله . فهو يحترم نفسه ولذلك يحترم الناس . راقبه في حلقات لا تحصى محاطا بالخاص والعام في المواقف الرسمية والعادية . فلا تجد للهزء والسخف محلا في نطقه وفي روحه . فهو لا يحقرخصماً ولا ينتزل الى خصومة ، ولا يرفع صوتا الا في الوعظ والارشاد ، وفي المناقشات السياسية . وفي هذه لم يؤثر عنه النزق والحدة . بل هو كالنهر الهادىء دلالة عـلى عمقه . وهو وقور لا يستخفه مدح ولا يهمه ذم . فان له في نفسه موازنة تمكنـه من الاحتفاظ بالاستقرار فلا تغلبه ثورة نفس او انفعال . وهو يقدر الرجال فلا يحتقر عظيماً ، ولا يعظم حقيراً ، ولا يستضعف قوياً ، ولا يستقوي ضعيفاً . ولا تثني عزيمتـه المشاكل والصعاب . فوقاره وقار بناء لا هدم فيه ولا جمود وراءه . وهو مظهر حكمة وروية

وثقة بالنفس واحتفاظ بالكرامة ·

واشتهر فارس الخوري بطلاوة حديثه ، وصدق روايته ، ووافر ابداعه ، وحضور نكته · فلا يمل سامعه ولا يتأفف عشيره ، حديثه خصب يروي غلة السامع . فاذا هو أبان فانه يحسن البيان ، واذا شرح فهم كل سامع وزالت كل ريبة · وفيه كياسة تامة ورقة ممتازة ، واذا لم يتمكن من اقناع الخصم ختم كلامه بنكتة لطيفة تصرف خصمه عن الغضب وتقوده الى الرضا بما حصل · اشتهر بذلك في احاديثه العادية وفي مناقشاته السياسية · روي عنه في مجلس الامن انه كان يحاول ان يرفع قضية فلسطين الى محكمة العدل الدولية · وقد تكررت منه هذه المحاولة · فحدث ان ترق فيشنسكي مندوب الاتحاد السوفيتي ، وقال له غاضباً : « الى متى تحاول ان ترفع هذه القضية الى محكمة العدل ؟ فانا لا نريد ذلك · » فرأى فارس ان الامر كاد يفضي الى الخصومة فعمد الى النكتة ليصرف الامر بالحسنى فقال : « الم تسمع يا مسيو فيشنسكي قصة الزوجين عند القاضي ؟ » فاجاب فيشنسكي : وما هي ؟ قال فارس « حكي ان زوجين تخاصما وانتهى بهما الامر الى رفع دعواهما الى القاضي ، فتقاضيا وقال الزوج يا مولانا القاضي ، ان زوجتي هذه لا تشعر بشعوري ولا تقدر وضعي المالي· فهي في كل صباح تطلب مني جنيهاً وتصر في طلبها · فقال لها القاضي ، ولماذا لا تقدرين يا سيدتي وضع زوجك ؟ فمن اين له ان يدفع الك جنيهاً في كل صباح ؟ اجابت الزوجة : انني يا مولاي لم اطلب منه جنيهاً كل يوم ، بل مطلبي كل الزمان هو جنيه فقط فهل اعطاني اياه واعدت الطلب في اليوم التالي ؟ فسبب الاصرار هو انه لم يعطني الجنيه ولو اعطاني اياه لما اعدت الطلب ولكان انتهى النزاع ! » قال فارس لفيشنسكي : « هذه واقعة حالنا معكم فهل قبلتم الاقتراح و كررناه ؟ » يسمع منه فيشنسكي ذلك فيتحول عن الغضب الى الضحك وانتهى الامر بتصافي الجانبين ·

كذلك لجأ فارس الى النكتة اثناء النقاش في جلاء الجيوش الاجنبية عن سورية ولبنان ، فقد قال بيدو مندوب فرنسا ان دولته لا تسحب جيشها بينما يبقى جيش انكلترا ، فالجيش الافرنسي باق لمراقبة الجيش الانكليزي. وقال كادوغان مندوب

انكلترا : ان الجيش الانكليزي باق في سورية ولبنان ليحول دون اصطدام الجنود الافرنسيين بالسوريين . فوقف فارس وقال ان هذا الوضع ليذكرنا بحكاية القنديل الاحمر في الشارع ، حيث سأل رجل مر بجانبه عن سبب وضعه هنالك ، فاجيب بانـه وضع ليرى المارة القاعدة التي نصب فوقها القنديل فلا يعثرون بهـا ، ثم سأل : ولمـاذا وضعت هذه القاعدة ؟ فقيل له : لكي ينصب فوقها القنديل الاحمر . قال فارس : « ان واقعة حالنا معكم تشبه هذه الحكاية . فالافرنسيون يبقون جنودهم في سورية



فارس الخوري بين الامير فيصل آل سعود والبانديت نهرو في هيئة الامم .

ولبنان بسبب وجود الجنود الانكليز ، والانـكليز يبقون جنودهم بسبب بقاء جنود فرنـا . فالصواب هو ان ينسحب الفريقـان فلا تبقى ثمة حاجـة لبقاء احدهمـا » . وتبسم الحاضرون وارتاحت الافئدة لهذا التشبيه .

ومن الصفات التي بنيت عليها عظمة فارس الخوري تواضعه • والتواضع صفة جميلة في الرجال وخاصة في اعاظم الرجال وارباب المراتب العالية • وقد اجمع الذين عرفوا فارس الخوري على انهم لم يروا فيه قط مظاهر العنجهية والشموخ • فهو في حديثه يسرد الوقائع باسماً ، لتأخذ مكانها في الاقناع • ولا يفكر في اثناء ذلك بنفسه ورفع قدره ومنزلته في قلوب سامعيه • وهو يسلك غير مسلك احد الوزراء المعروفين في التاريخ الذي كان يسأل زائريه ابداً عما لا يعرفونه تخجيلاً لهم . فاذا زاره فقيه سأله مسائل في النحو والعروض • واذا زاره شاعر سأله في التاريخ . واذا زاره قاض سأله في البيان . اما فارس فانه يسأل كل واحد في دائرة اختصاصه ، ويحدث كل انسان في فنه . فيبعث النشاط والسرور في قلب سامعيه ، وسبيل الرشاد في مسايرة القوم ان يحدثهم في ما هو من شأنهم • الا ترى ان الانكليز يفتحون دائماً احاديثهم في الطقس لانه موضوع عام لجميع الناس ولكل انسان فيه حظ . لم يعرف عن انسان خرج من حضرة فارس مغتاظاً . بل جميع الناس يخرجون من حضرته مسرورين راضين ، فهو لا يكسر خاطر احد ، بل يجبر كل قلب كسير ويؤاسي كل مصاب حزين . ومن مظاهر تواضعه ما كتبه الى نجله سهيل قبيل عودته من مجلس الامن يقول : « انك لتعلم انني ارغب عن الحفاوات والاستقبالات فدع يوم قدومي مجهولا . وقسماً لولا انني اخشى ان اصل دمشق واجد داري موصدة الابواب لما ارسلت اليك هذا الخطاب ! »

العبرة في سيرة فارس الخوري : بعد ان اوردنا سيرة فارس الخوري وذكرنا المبادىء التي ارتكزت عليها نريد ان نستخلص العبرة من هذه السيرة • واول ما يمكن استنتاجه هو امكانيات الامة السورية التي انما فارس الخوري حلقة في سلسلة عبقرياتها • على ان صاحب الترجمة ليس رجل سورية فقط ، بل هو رجل العروبة ، وقد دافع عن الامة العربية ومختلف دولها في كل ارض ، وتحت كل سماء ، وفي كل مرحلة من مراحل حياته . وسيرته تعطينا اساساً راسخاً للثقة في امكان تقدم السوري والعربي وارتقائه في مختلف الاوساط والاحوال الى ما وراء الحدود المرسومة في اذهاننا وفي اصطلاحنا .

والعبرة الثانية في هذه السيرة هي ما جاء فيها من تأييد الامثلة : « كل من جد وجد » ، « وكل من سار على الدرب وصل » ، « ومن طلب العلا سهر الليالي » . فقد بدأ فارس حياته فتى اعزل لا مال ولا جاه ولا عصبية . بدأ بهمته وعزمه ، وبما اولاه الله من مواهب ومزايا ، وبهمته القعساء خاض المعامع وخرج منها فائزاً . وما كان يظن انه سيبلغ ما بلغ من المعالي . ولكن شموس نجاحه تغيب امامها اقمار كثيرين من اكابر رجال الجهاد والفوز في معترك الحياة .

والعبرة الثالثة في سيرة فارس الخوري هي ان العقبات لا تحول دون بلوغ المنى . وقد رأينا في القسم الاول من سيرته من العقبات ما قد يثبط الهمم ويقعدها عن طلب المعالي . فوالده لم يكن يأذن له بان يقضي السنين الطوال في المدارس العالية لتحصيل العلم . والمرسلون الاميركيون ارادوه معلما ابتدائيا يخدم مدارسهم البسيطة . ولم يفكروا بان يمكنوه من الدراسة العليا في الجامعة . وقد توفي والده وهو في الثانية والعشرين من العمر وله اربعة اولاد وثلاث بنات ، كان على فارس ان يعتني بهم ويعلمهم ويهذبهم . وقد حالت الاوبئة دون دخوله الجامعة الاميركية ببيروت اولا ، وكذلك حالت دون ذهابه الى مصر فيما بعد للحصول على مركز يؤهله للتقدم العلمي . وقامت الحواجز والسدود في طريق تقدمه ودخوله الحياة السياسية . فهو يجهل اللغة التركية ويجهل اللغة الفرنسية ولم يدرس الحقوق . وزيادة على ذلك فهو من اصغر طائفة مسيحية في سورية . والاعتبارات الطائفية لها وزن في الحياة العامة وخاصة في الانتخابات النيابية . كذلك قام جمال باشا يسد في وجهه ابواب النجاة ويضيق عليه ثم ينفيه من البلاد . وبعد ذلك تأتي فرنسا وتقف له بالمرصاد . فتعتقله وتنفيه الى ارواد والحسجة والكورة وتصليه حربا عوانا كمحام وكأستاذ في كلية الحقوق وكنائب وكوزير وكرئيس برلمان . وتقوم بعض الصحف تحاربه وتدعو لانتخاب سواه من ابناء طائفته في ١٩٤٣ وتعطيه لقب علامة وتكتب بحروف كبيرة « انتخبوا العلامة فلانا » ، ولكن فارساً يفوز . وبعد كل ذلك يقوم في سبيل فارس انزلاق الكتلة الوطنية التي هو من اركانها فتسوء سمعتها في الادارة وضبط الامور ، ويفلت الحكم من ايدي رجالها ويفوز عليها خصومها . كل ذلك واكثر من ذلك صدم فارس الخوري ولكنه تغلب على

جميع هذه العقبات . وها هو اليوم في اوج المعالي لم يهو من حالق مجده . ولا غربت شموس فوزه ولا وقفت مواكب تقدمه . وهو اليوم في نحو الثانين من العمر وما يزال يسير الى الامام والى العلاء .

والعبرة الرابعة هي مكانة الاخلاق في بلوغ الارب وتكوين الشخصية. فالاخلاق هي اساس المجد والعظمة والخلود. ومن رام بلوغ المعالي بدون الاخلاق العالية فقد رام المحال . والذي رفع فارس هو اخلاقه ـ امانته وعفافه ونزاهته ومحافظته على الحق والقانون . والشخصية هي كالجميل يصب فيه الماء فلا يمتلىء ما دام مثقوبا ولكي يمتلىء يجب سد الثقوب . فمن استهان بالاخلاق باع نفسه رخيصة . ولا بد ان يلقى الخيبة والهوان .

والعبرة الخامسة هي ان الاعمال بالاكمال والامور بخواتمها . فحياة الكثيرين تتطور بحيث يعرجون في شيخوختهم عن سنن الاستقامة التي لازموها في صبوتهم وكهولتهم وتنتهي امورهم والمناصب التي شغلوها الى غير ما كانوا يؤملون . والتاريخ يحوي امثلة عدة عن هؤلاء . غير ان فارس الخوري صاحب هذه الترجمة لزم خطته الاولى ولم يحد عن مبادىء الاستقامة . ولذلك رأيناه وهو في رحاب السبعين ينتقل من فوز الى فوز كما كان في صبوته وكهولته ، ولا يزال وهو في نحو الثانين في كامل عبقريته وفي تمام قواه العقلية والاخلاقية وفي اسمى درجات نفعه .

ملحق: بعض قصائد فارس الخوري

١ ـ قصيدة نظمت في ١٩١٦ على اثر اعدام شهداء ٦ ايار ١٩١٦

كان التجلد في البلوى يؤاتيني فما له حين ادعو لا يلبيني
ضاق الفؤاد بآلام تبرحني وفاجعات بنار الوجد تكويني
وطارد الهم عن عيني الرقاد وهل تنام مقلة موتور ومغبون
اين الصفاء الذي قد كنت امنحه للنفس من خفرات القيد والعين
مع كل مناعة باتت تسامرني من خمرة الحب اسقيها وتسقيني
قضى على صفو ايامي وبدله من امره الامر بين الكاف والنون
اصبو لكل كئيب في الديار ولا آوي الى غير محروب ومحزون
اجيب دعوة من يدعو لمأتمة وان دعيت للهو قلت خلوني
و كفكفوا لحظات النور عن بصري فنظرة من شعاع الشمس تؤذيني
فانني حلف هم لا يفارقني ورب قلب على الاحزان مرهون
كيف السبيل الى يوم تصح بـه جروح قلب برمح الجور مطعون
بل كيف يهنأ لي عيشي ويسعدني دهري وتعبثني الدنيا وترضيني
ومعشري بين مطرود ومنتبذ عبر الفيافي ومصلوب ومسجون
ابكي ومعذرة عيني اذا ذرفت على الغطاريف منا والاساطين
على النجوم الدراري التي افلت واطلعت من دموعي كل محزون

على ظلال الافانين التي قصفت   وا طول شوقي الى ظل الافانين
على الشيوخ على رهط الفتوة بل   على الليوث على الغر الميامين
على مناهل فضل غاض كوثرها   وخلفت ورد زقوم وغسلين
فياصل الحزم غراء شمائلهم   معالم للهدى شم العرانين
بيض الصحائف ما هانوا ولا غدروا   انقى واظهر من زهر البساتين
قد عابهم بقضاء الترك انهم   اصحاب قلب بحب العرب مفتون
ضحوا بهم واسروهم الى حفر   في الرمل من غير تكفين وتلقين
رب التتار اله الظلم ما نظرت   عيناه اشرف من تلك القرابين
فاستنطق الرمل عما ضمن حفرته   من كل ندب بقاع الرمل مدفون
ما كان افجعه صبحا طلعت به   يا يوم بيروت بل يا يوم جيرون
ما لاح نورك الا بعد ان غربت   فينا شموس الهدى والعزم والدين
مع كل اروع عنوان المضاء به   يمشي الى الموت لا يمشي الى الهون
كيف التأسي اذا طلت دماؤهم   فالدمع مهما تجارى لا يؤاسيني
وهل تجلد موتور بدمعه   قبلي لاقنع منه اليوم بالدون
اريد قوماً مغاويرا لثأرهم   في معقل النسر او في معصم النون
ابكي على امة لج الشقاء بها   تجري الى طالع بالبؤس مقرون
العز غادرها والذل جاورها   والدهر ساورها بعد ابن هارون
ولى الزمان عليها كل معتسف   من طينة البغي والطغيان معجون
من معشر جعلوا جلى مفاخرهم   منهاج جنكيز او اغاط نيرون
مثل الزرازير في ادبار دولتهم   وعند اقبالها مثل الشواهين
بيارق في رقاع الشوم رافعة   رؤوسها فوق هامات الشواهين
قالوا سياستهم والغدر ديدنهم   سياسة العدل والاحسان واللين
يستدرجون بحلو القول مأربهم   وفي حلاقيمهم سم الثعابين
لاحت لهم فرصة في العرب سانحة   فنكلوا واستباحوا كل قانون

دسوا لنا كل مغتر يعيث بنا ... نهبا ويجمع في اموال قارون
تحللوا السلب والتمثيل فانبعثوا ... وخربوا كل معمور ومسكون
جاحوا البلاد بفعل ليس يقحمه ... اضرى الوحوش ولا اطغى الشياطين
لم يكفهم برجال العرب ما فتكوا ... حتى محوا آية الزيتون والتين

. . .

يا ليت شعري اما سارت فضائحهم ... لصاحب التاج في علياء برلين
فكيف يرضى على دعواه من شرف ... بان يكون حليفاً للمجانين
ما كان حالفهم لو لم تكن ثبتت ... له مناسب طوران وطوطون
عليه نقمة اهل الارض قاطبة ... ولعنة الله من بين السلاطين

. . .

قل للاولى عفروا حر الوجوه على ... اقدام طاغية دامي السكاكين
ومنهم الشاعر المطبوع علهم ... حني الرؤوس لدى تمثال تنين
انخفض الرأس اجلالا ومكرمة ... لرسم مفترس دامي العرانين
قل للشقيري مفتيهم ورائدهم ... بل قل لزيد وعمرو والغلاييني
وزمرة مثل ملاط ورفقته ... من سوقة الشعر عبدان الدهاقين
وكل من حملوا الاقلام واندفعوا ... جريا الى السبق في تلك الميادين
ماذا دهاكم وفيكم اهل منزلة ... حتى اشدتم بتمداح الملاعين
ما احدثوا في ديار العرب موبقة ... حتى صدحتم بتحبيذ وتحسين
هل سركم صلبهم احرار امتكم ... ام راقكم هتك اعراض الخواتين
اما سمعتم شهيق الباكيات ولا ... شكوى السجين وانات المساكين
ولا اطلعتم على ما كان من عهد ... منشورة بين بيروت وصنين
سلوا فلسطين تنبئكم حوادثه ... وما جرى فيه من يافا لجيرون

الآمنون به صارت مقابرهم ... حواصل الطير او جوف السراحين
وما رثيتم لنا في يوم نكبتنا ... وقد رثى فيه اهل الهند والصين
هي المنافع قد اعمت بصائركم ... وانطقتكم بقول غير موزون
حتى تركتم لكم في قومكم صحفا ... مشؤومة بين دفات الدواوين
فكلما ذكرت اسماؤكم لعنت ... كرا على الدهر من حين الى حين
فاستهدفوا لنبال الذم دامية ... وراقبوا يوم تحرير الموازين

. . .

واضاف اليها في حفلة ذكرى الشهداء في ١٩٢٥ ما يلي :

حيوا معي اليوم ارواحا مطهرة ... عنوانها بيننا اسمى العناوين
حيوا معي العصبة الغراء من رفعت ... لنا الفخار على ارسى الاراكين
حيوا معي الهمم الشماء رائدها ... عالي الرمايا على هام الشواهين
هم الاولى فتحوا باب الجهاد لنا ... بما اصطفوا من اكاليل الرياحين
بكيتهم وجدار السجن يحدق بي ... وعين حافظه بالشزر ترميني
وصاحب الحكم يمليه الكاتبه ... وناصب الحبل في الميدان يدعوني
الحظ قدمهم عني واخرني ... حتى ارى دول التاميز والسين
تسدي الوعود بتحقيق العهود لنا ... عن كل حق بالاستقلال مضمون
لا بد ان يرجعوا للشام وحدتها ... من بعدما فصلوها عن فلسطين
من الفرات الى الاردن رابطة ... مثل التي بين صنين وقيسون
انا ندين بما دان الشهيد به ... من جرأة ومفاداة وترصين
حتى تنال بظل العدل بغيتنا ... وحافظ العدل يحميكم ويحميني

. . .

٢ قصيدة انشدها عند عودته من المنفى الى دمشق في ٢٤ شباط ١٩٢٨ تليت في محطة البرامكة في الحفلة التي اقامها المستقبلون للعائدين :

سلام على الفيحاء في غض غابها سلام على ارجائها وهضابها
سلام على ما حفها من خمائل سلام على معمورها ويبابها
سلام على الاشجار تكتظ حولها سلام على انجادها وشعابها
سلام على الاشبال تزأر دونها سلام على اشياخها وشبابها
سلام على انهارها وجنانها سلام مشوق واقف عند بابها
سلام على المغوار فوق جواده سلام على الحسناء تحت نقابها
سلام على الفيحاء من بعد فرقة براني الذي لاقيته من عذابها

. . .

سلام محب غالبوه ببعدها فاوشك ان ينهار دون غلابها
ولكنه في غير فرقة صحبه صبور على مر الحياة وصابها
وقد خاطبته الحادثات بروعها فما وجدته عاجزا عن جوابها
يذكره الخابور عذب مياهها وواسعة البيداء وسع رحابها
اذا انشبت فيه الخطوب لاجلها فلا بأس من ظفر الخطوب ونابها
فكل مصاب عن بلادي محبب لدينا اذا افضى لدفع مصابها
صبرنا لها صبر الكرام هوادة وفي النفس من حمل المغارم ما بها

. . .

سلام عليكم ما احب لقاءكم لنفس محب طال عهد اغترابها
احبي بقومي عصبة عربية تصاحب نبلا فاخرا باصطحابها
بخلق يعير الحسن زهر رياضها وخلق يعير اللطف ماء سحابها

عبرنا اليكم في الثلوج ولم تكن   لتطفىء اشواقي وحر التهابها

. . . .

بني وطني ان البلاد تريدكم   فسيروا على نهج الهدى في ركابها
تريد من الابناء كل مبدع   يرد خواطي عزمها لصوابها
من الفتية الغر الذين تبينت   عزائمهم في بؤسها واكتئابها
احلتهم ارواد غور كهوفها   وعلمتهم الصحراء ماء سرابها
وها قد دنا يوم الموازين عندنا   وكل يمين قد اتت بكتابها
وما كانت الافعال ذاهبة سدى   وكل يد مسؤولة عن حسابها
سلام على الاخيار فوق ظهورها   سلام على الاحرار تحت ترابها

٣ ـ تأبين الفقيد فوزي الغزي نظمها صباح يوم الدفن في ٦ تموز ١٩٢٩ وتلاها على ضريحه مساء ذلك اليوم :

سلوا القبور عن الصحب الاولى ذهبوا   فخر العروبة والصيابة النجب
ولوا غضابا عن الدنيا وما ظلمت   وخلفوا رفقة تبكي وتنتحب
عاشوا وللحق في افواههم رسل   ماتوا وللعهد في ايمانهم كتب
ماتوا كراما وما في موتهم عجب   حياة من عاش مظلوما هي العجب

. . .

لا كان يوم تلا الناعي به خبرا   ثرنا عليه وقلنا انه كذب
قالوا قضى المدره المحبوب طالعه   قضى الزعيم الجري الفيصل الذرب
فيا له من حديث تستثار به   كوامن النفس والآلام والغضب
حتى فشا فرأينا الشام واجمة   تكاد من مسعر الانفاس تلتهب
مصيبة ضاق عنها طوق واصفها   عم البلاء بها والويل والحرب

لئن تكن نابت الفيحاء ما سلمت بيروت منها ولا حمص ولا حلب

. . .

يا راحلا وقلوب الناس تتبعه وكل قلب له في سعيه ارب
احسنت للناس صنعا فاصطنعتهم والناس عشرة احسان اذا نسبوا
يبكيك احرار سورية وانت اخ يبكيك دستور سورية وانت اب
من للصعاب اذا اشتدت معاضلها من للخطابة يا ملسان من خطبوا
من للشؤون اذا ضاقت مسالكها من للكتابة يا نحرير من كتبوا
فكم اصبت ورب الرأي مرتبك وكم عصمت وحبل الناس مضطرب
عرفت فيك سجايا كلها شمم عرفت فيك حديثا كله ادب
شهدت فيك نشاطا ما به خور وهمة صلبة ما شابها تعب
كهوف ارواد مدت بيننا نسبا يا حبذا السجن بل يا حبذا النسب
حر الجزيرة اذكى من مودتنا فؤاد حر قلوب حشوها لهب
اخا السجون اخا المنفى اخا وصبي ها فرق الموت ما قد الف الوصب

. . .

يا خازن الدمع ها قد جاء موعده اخلق بدمعك هذا اليوم ينسكب
لمن يصان وصنو الروح مضطجع بين الصفائح تحثى فوقة الترب
هذا الذي كان نورا يستضاء به من صمته حكمة من نطقه ذهب
اولى النيابة تشريعا وتضحية ورب نواب قوم كلهم نوب
ما بات عنا بهذا الخطب محتجبا من المكاره الا اليأس والهب
ان مات فوزي فما ماتت قضيتنا ردى المطالب لا يودي به الطلب
ان ادركت سيدا منا منيته فما علينا ونحن السادة العرب
قد عودتنا البلايا خوض لجتها الى الخناجر اما غاصت الركب
لنا من الصبر درع لا ينهنهه ريب المنون ولا السيف الذي خضبوا

. . .

٤ — قصيدة الشيخ في الحفلة التي اقيمت بدار المجمع العلمي العربي لتكريم حافظ ابراهيم وكان معه خليل مطران في ١٧ حزيران ١٩٢٩

يبدأ بالاسف على الشباب :

اسفت على عهد الشباب ولم تعد   تثير لنفسي مقلة وفتورها

ثم هنالك قطعة لم يتلوها في الحفلة يذكر القاري، انه لا يزال ذا همة عالية :

واني اذا قارعت خصما قرعته   وخصمي من اسد البيان هصورها
فلي من جناني جرأة لا تخونني   ولي من بياني حجة لا اعيرها
اطامن حسادي بسن يراعة   يبز صليل المرهفات صليلها

ثم يتخلص الى وصف حافظ وكيف اثار فؤاده :

همام على الستين حافظ بأسه   يشد على السبعين وهو قريرها
وليس يضير المرء شيب شعوره   ولكنما شيب العزوم يضيرها
همام له في النائبات مواقف   يقصر عنها كهلها وطريرها
وقفت احييه عن المجمع الذي   له رتبة فيه قليل نظيرها
ومن لي بتحليق الى اوج فضله   واين لهذا همتي وقصورها

ثم يخاطب حافظ :

احافظ حيتك الشآم تحية   يفوق عبير الروض منها عبيرها
رفعت لها الشعر النفيس عرائسا   يجانبها تخفى وتخجل حورها
والبستها ثوبا من الحمد دونه   حدائقها في زهوها وزهورها

واوليتها فخراً على الدهر خالداً يعز به لبنانـــها وسنيرهـــا
وجئت ايا حر السجية داعيـــاً لوحدة سورية وهذا ضميرهـــا
قضية احرار يريدون نجحهـــا الا فاهتفوا يحيا السفير سفيرهـا

ثم يذكر شهرة حافظ الادبية :

دمشق تحيي فيـــك حراً بشعره تغنت وتاهت غيدها وطيورهـــا
وقد طالما اشتاقت لزورة ماجد روت شعره ابهاؤها وخدورهـــا
فكم من فتى في الشام انت سميره وكم من فتاة انت ايضاً سميرها
نثرت على العرب الكرام منازعاً برغم خصوم العرب تنمو بذورها
الست ترى عنـــد الشبيبة نزوة الى المجد والعلياء انت مثيرهـــا
الست الذي ان انشد النيل شعره تردده انهارنـــا وخريرهـــا
تلونا على الخابور من معجزاتـــه فانعش والصحراء خف هجيرها
وجدناه في اوراد مطلعاً عـــلى دياجير هاتيك الكهوف ينيرها
وكانت قوافيه على ماء زحلة كما فعلت بالشاربين خمـــورها

ثم يذكر الشعراء الثلاثة :

هنيئاً لهذي الدار بعث فخارها فاخطلها في عقرها وجريرها
ولو كان شوقي معها احرزت به فرزدقها والكل منهم اميرها
ثلاثة اركان وقى الله شملهم بهم عزت الفصحى وعز عشيرها
فيا شعراء النيل ان قريضكم خزائنه عند الشآم صدورها
اقتم لاهل الضاد في مصر دولة اريكتها انتم ونحن ثغورها
نقدمكم طوعاً ونعرف قدرنا وما آفة الاقوام الا غرورهـــا

ويذكر اعلاماً آخرين من مصر :

وفي ذمة الله الامام محمد منار الفتاوى الصائبات ونورها

تخطى الى اب القضايا فدلنا ... عليه وقد الهت سواه قشورها
وسعد ومحمود وصبري وقاسم ... وامثالهم ممن اجنت قبورها
واحياؤهم رهط التجدد والعلى ... تباهي بطون الارض فيهم ظهورها

ثم يطري صفات اهل الشام ومصر :

وحييت في قطر الشآم غضارفاً ... هُمُ للاماني النبيلة سورها
يحيون في احيائه مصر ضياغما ... تجاوب في اقصى البلاد زئيرها
همُ في تلافيف الدحال ليوثها ... وهم في تضاعيف السماء صقورها
اذا حملوا ضيما فان صدورهم ... على الضغن والاحقاد تغلي قدورها
وان صبروا صبر الحكيم على الاذى ... فما فاز بالآمال الا صبورها
لهم عزمات ان توارت هنيهة ... فلا بد ان تبدو ويلظى سعيرها
وترجع حقاً ضائعاً انصابه ... وصدق الاماني والاله ظهيرها

ثم يخاطب خليل المطران :

ويا شاعر القطرين مطران بيعة آل ... قريض لديك اليوم يذكى بخورها
لك الحمد ان ابلغت شأنك منية ... يحن اليها شيخها وصغيرها
توسلت بالترغيب حتى ازرته ... وما كان لولا ان فعلت يزورها

ثم هنالك ملحق للقصيدة لم يتل في الحفلة يقول فيه :

بني العرب لا يقضي الفلاح لامة ... تدين لمهزول البغاة نسورها
لنا وطن منذ القديم تسلسلت ... عليه الدواهي واستمر مريرها

ثم يريد ان يقول ان تقيدنا بالماضي واكتفاءنا به بعد ان ولت حسناته ولم تبق الا شروره سيؤدي الى سوء المصير :

الا فاقطعوا بالماضيات صلاتكم ... فتلك عهودٌ قد تداعى عميرها

مضى معها ما كان من حسناتها ولم يبق للاحفاد الا شرورها
طوى صفحات العز تحت رموسه خورنقها لما هوى وسديرها
يغلكم الماضي وما قال جدكم باغلال بؤس لا يفادى اسيرها

• • •

٥ ـ من قصيدة الفيت في حفلة تأبين رشيد نخلة في الباريزو الكبير بيروت في ٨ كانون اول سنة ١٩٤٠

يتكلم عن الموت ويصفه :

وهل في الموت من حدث غريب وغاية كل حي للحود
بكر على الكبار ويحتويهم ويقتنص الصغار من المهود
يدهدي لاجئ الكوخ المعرى ويصرع ساكن القصر المشيد
وهل تحنو علينا الارض الا كما يحنو اللهيب على الوقود

ثم يصف ابناء هذه الارض وطموحهم وشرورهم :

وانكى الشر فيها من بنيها وفيها كل جبار عنيد
وطماح الى الاحجار يرنو لمحو مناوئيه من الوجود
يهلل راقصا طربا وبشرا على اشلاء مظلوم كميد

ثم يذكر وصول خبر الوفاة واثره :

ولم اك احسب الاحداث تلوي قناة تجلدي وتلين عودي
الى ان جاءني يوماً بريد لحاه الله عني من بريد
به منعى الرشيد وليس خطب اشد علي من نعي الرشيد
نظرت الى العروبة وهي تاسى لمصرع سيد فيها سديد
دمشق لفقده تبكي خدينا ولبنان ينوح على عميد

على الدري اهوى من علاه   على القمر المغيب في الصعيد
ذرى لبنان ابكي طود عز   ولا حرج عليك ان تميدي
فقدت حصافة وفقدت حزما   وفضلا ما عليه من مزيد

ثم يصف شعر رشيد نخلة :

اجدت النظم في زجل طلي   رشيق السبك منسجم القدود
وهذا الشعر شعر الشعب اجدى   لهُ من شعر كعب او لبيد
قصائده الروائع ساريات   وكل بيوتها بيت القصيد
عروس الشعر مهما انشدتنا   بدائعه نقول لها اعيدي

ثم يعتذر عن شعره :

فحول الشعر معذرة فاني   جفاني الشعر من عهد بعيد
وما ذاك الجفاء الا لاني   عييت به عن الشوط المجيد
اريد الشعر منخولا فيعصى   وما اقصى المراد عن المريد
ولو هان العصي علي منه   وجن الشعر كانت من جنودي
رصفت عميق احزاني نشيدا   على لهوات أسوانٍ عميد

محتويات الكتاب

تصحيح الاخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٣	التي تعتبر	الذي يعتبر
١٢	٢٢	الخنفساء	الخنفساء ».
١٧	الاخير	حيفا	عكا
١٩	٢٣	اليانية	اليابانية
٢٠	٥	ومفتشي	ومفتش
٢٠	١٠	الاش	الابش
٢٠	١٣	المستر	المشير
٢٠	٢٣	وصار	وعاد
٢٣	٢٤	ورعب	ورغب
٢٦	٥	المركزية	اللامركزية
٢٧	٦	ان يستحقوا فعل	ان يسحقوا فعمل
٤٦	٦	ترضى	ترضي
٤٧	١٠	حنى	حني
٥٢	الاخير	اروبا	اوربا
٥٧	١	في نفس القاعة	في نفس هـذه القاعة
٦٩	٢	ردي	ردى
٧٠	٥	رغماً	ورغماً

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٠	١٦	٢٢	٢٣
٧٠	١٦	١٢	١٣
٧٣	٢٠	والدكترو	والدكتور
٧٧	١	دلوس	دلبوس
٨٠	٨	واكثر	اكثر
٨٠	١٧	مثبوتاً	مبثوثاً
٨١	١٣	مما جاء	وكان مما جاء
٨٢	١٠	السوريةماتصبو اليه	السورية برجوعها الى الحق ومنح الامة السورية ما تصبو اليه
٨٢	١٦	فبهذا	فهذا
٨٢	٢٢	السايق	السابق
٨٣	١١	ارتباط	ارتباك
٨٤	٧	مساعده	مساعدة
٨٤	١٥	المنطقتين المذكورتين	المنطقتين بعد تنفيذ نصوص المعاهدة . وقد حصلت بعض الاضطرابات في المنطقتين المذكورتين
٨٤	١٦	اثارتها	اثارتها
٨٤	٢٢	نسلم	تسلم
٨٤	٢٣	لاقليات	الاقليات
٩٠	٧	اقترع	اقترح
٩٥	١٥	الاجتماع	للاجتماع
١٠٤	١٦	وبعد	وبعد
١٣٢	١٥	الافرنسين	الافرنسيين
١٣٢	١٧	وبدأ	وبدء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٧	٩	مرين	أمرين
١٥٢	١٦	فيقول : « انه	فيقول انه
١٥٥	١١	ويحين	ويحصل
١٥٦	٦	فايدوا	فابدوا
١٧٨	٣	كان الجلاء	فان الجلاء
١٨٣	٥	ومندرب	ومندوب
١٨٣	١٥	ينسى	ينسَ
١٨٨	١٢	« العربية	العبرية
١٨٩	١٤	Show	Shaw
١٩٢	١٧	Baltimore	Biltmore
١٩٣	٦	مملوءاً	مملوء
١٩٧	٩	لي والشعبي	لي واغا لشعبي
٢٠٢	١١	لحل	لمثل
٢٠٣	٨	دولة	دولتين
٢٠٩	٧	عن	على
٢٠٩	٢١	ووضع	وضع
٢٥٥	٤	الجمرورية	الجمهورية
٢٥٨	٣	من اهم نشاط	من اهم نواحي نشاط
٢٥٨	٨	شانيتي	شانتيي
٢٦٢	١٧	ولذلك	وذلك
٢٧١	٧	مالتيتها	ماليتها
٢٧٦	٢	لحام	فحام
٢٨٦	٩	فائزاً	فائزاً
٢٩٠	٢٢	تثني	تثني

[illegible]